

د. عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمُبْدِي

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تاريخ الجراحة عند العرب

البحث الحاضر على مباشرة د. شمس الجهورية الجزائرية
في الطب العام ١٩٩١

دار النشر والنشر والتوزيع

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

تاريخ الجراحة عند العرب

د. عبد العزيز البدي

البحث الحائز على جائزة رئيس الجمهورية الجزائرية
في الطب لعام ١٩٩١

المقدمة لاتحاد الاطباء العرب.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

٦١٧٠٩

عبد عبد العزيز اللبدي

تاريخ الجراحة عند العرب / عبد العزيز اللبدي .-

عمّان : دار الكرمل ، ١٩٩٢

(٣٥٣) ص

ر.أ (٢٩٩٢/١٢/٩٣٩)

١- الجراحة - تاريخ عربي أ - العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

محتويات الكتاب

رقم الصفحة

| | |
|-----|--|
| ٣ | محتويات الكتاب |
| ٥ | المقدمة |
| ٧ | تقديم (١) |
| ١٥ | تقديم (٢) |
| ٢٧ | مراجع وهوامش التقديم |
| ٣٠ | حول تاريخ العرب |
| ٣٩ | الفصل الأول: تطور مفهوم الطب عبر العصور |
| ٤٧ | الفصل الثاني: الطب في بلاد ما بين النهرين |
| ٥٧ | الفصل الثالث: الطب المصري القديم |
| ٦٧ | الفصل الرابع: الطب اليوناني |
| ٧٧ | الفصل الخامس: الطب في الجزيرة العربية |
| ٨٥ | الفصل السادس: الجراحة عند العرب |
| ٩٧ | الفصل السابع: التشريح عند العرب |
| ١١١ | الفصل الثامن: التخدير عند العرب |
| ١٢١ | الفصل التاسع: المبادئ العامة للجراحة عند العرب |
| ١٤٣ | الفصل العاشر: في الكي والقصد والحجامة |
| ١٥٣ | الفصل الحادي عشر: الجراحة العامة |

| | |
|-----|---|
| ١٧٥ | الفصل الثاني عشر: جراحة المسالك البولية |
| ١٨٥ | الفصل الثالث عشر: جراحة الأطفال |
| ١٩٥ | الفصل الرابع عشر: جراحة الأورام |
| ٢٠٩ | الفصل الخامس عشر: جراحة العظام |
| ٣٣٥ | الفصل السادس عشر: جراحة الحروب |
| ٢٣٧ | الفصل السابع عشر: الآلات الجراحية عند العرب |
| ٢٦٧ | الفصل الثامن عشر: حول الجراحة عند العرب |
| ٢٧٥ | الفصل التاسع عشر: الزهراوي |
| ٢٨٥ | الفصل العشرون: ابن سينا |
| ٣٠١ | الفصل الواحد والعشرون: ابن القف |
| ٣١٥ | الخاتمة |
| ٣١٩ | ملحق الطب عبر التاريخ |
| ٣٢٧ | مراجع البحث العربية |
| ٣٣١ | المراجع الأجنبية |
| ٣٣٣ | الفهرس |

المقدمة

لم أكن أدري وأنا أدخل المكتبة لشراء بعض الكتب لمرافقتي اثناء اقامتي في المستشفى، اني سأشتري كتابا يستفزني ويجعلني انهمك في الرد عليه سنين عديدة.

لقد اشتريت كتاباً عن تاريخ الجراحة وكان باللغة الالمانية، وبعد أن فرغت من قراءته صممت أنه لابد من الرد عليه ذلك أن الكتاب لم يتحدث عن الجراحة عند العرب بأكثر من صفحتين من ضمن حوالي ٤٠٠ صفحة في الجراحة حول العالم .

وهالني أن أجد ذلك التقصير أو الاستهانة بتراث العرب الطبي، وارجاع ما علمه العرب فقط الى اليونان، واهمال الابداع العربي في العمل وحتى في النقل. بدأت اقرأ كتب التاريخ الطبي لاكتشف ما سأعرضه في هذا الكتاب من حقائق علمية مثيرة عرفها العرب وعلموها للعالم. وتشعب في البحث واضطرت أن أرجع الى التاريخ القديم لأجد أن الشعوب «السامية» القديمة، شعوب عربية وأنها هي التي علمت أوروبا منذ الحضارة اليونانية اصول الطب والجراحة خاصة بالاضافة الى جميع العلوم المتعلقة به. وقسم ابوقراط موجود عند البابليين العرب، وشعار الحية حول السيف الذي يعتبر شعار إله الشفاء اسقلايوس عند اليونان، هو الشعار البابلي العربي منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد وأشياء كثيرة أخذها اليونانيون عن الطب المصري والطب العراقي في قديم الزمان، ولهذا فاني ابدأ بتعريف العرب حتى أحسم هذه المسألة، واتضح لي أن معارفي ومعلوماتي التاريخية التي تعتمد على المدرسة ليست كافية ولا تعطيني صورة واضحة عن أصل العرب.

كذلك استعرضت تطور الجراحة بشكل خاص عند الشعوب القديمة، ابتداء من حضارة الرافدين الى الحضارة المصرية القديمة والعربية في الجزيرة، بالاضافة الى الطب اليوناني الذي أدخلته في جملة التطور في منطقة البحر المتوسط، باعتباره وسيطاً بين مرحلتين عريبتين قبل اليونان وبعدهم ، ثم تعرضت للتشريح والتخدير كعلمين مهمين في تقدير مستوى الجراحة.

ثم عرضت للجراحة عند العرب بالمعنى الحديث، أي بعد الاسلام، وذلك بصفتي جراحاً وليس كعالم تراث عربي. وقد اعتمدت في بحثي على قراءة ثلاثة من الأطباء العرب الذين مارسوا الجراحة عملياً، وهم: الزهراوي شيخ الجراحين العرب، بل مؤسس علم الجراحة الحديث، وكتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» والجزء الثلاثين منه بشكل خاص. وابن سينا صاحب «القانون» الذي يعتبر من أعظم ما كتب في الطب في العصور الوسطى والذي ظل يدرس في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر. والكتاب ليس متخصصاً في الجراحة ولكنه يتعرض لكثير من الأمراض الجراحية والعمليات الجراحية. وابن القف وكتابه «العمدة في صناعة الجراحة» الذي يعتبر أول كتاب كامل وضع في الجراحة كعلم وكرس جميعه للجراحة فقط بل ولعله أول من استخدم كلمة الجراح والجراحي في أدبنا.

هذا بالإضافة الى العديد من الكتب والمقالات باللغات العربية والانكليزية والالمانية.

ومع أهمية اثبات المصدر التاريخي للمعلومات الطبية والجراحية بقدر، فقد كان مهم ايضاً ملاحظة مستوى التقدم في الطب والجراحة، فمثلا لم يهمني مصدر علم التخدير بقدر ما هممني ان الجراحين العرب استخدموه في جراحاتهم.

وقد نشرت الفصول تباعا في مجلة بلسم ولكني عدلتها ونقحتها وأضفت عليها.

وكلي أمل ان يشكل كتابي هذا إضافة نوعية الى المكتبة العربية والى توضيح تراثنا الذي بقي قرونا طويلة مباحاً للمستشرقين، لا يحافظون عليه فحسب بل وفي بعض الأحيان يعيشون فيه فساداً. واني أضم صوتي الى أصوات المؤرخين العرب الذين يطالبون باعادة كتابة التاريخ العربي من منظور عربي ووفق المصلحة العربية حتى نسلمه للأجيال القادمة سليماً فيستطيعون توفير جهودهم الى بحوث وعلوم مستقبلية نساها في صنع مستقبل عربي أكثر اشراقاً من مستقبلنا وحاضرنا. والله الموفق.

عمان في ١٩٩١/٥/٢٤ .

تقديم (١)

بقلم د. نبيه معمر
رئيس جمعية الجراحة الاردنية سابقاً

من البديهيات الملازمة للفكر الحديث تلك الدلالة الراسخة بأن اسس الحضارة المعاصرة قد أقيمت على تراث ومنجزات سابقة كما أن تقويم النواحي المختلفة من الحضارة الراهنة والحكم على مستوى تقدمها وصحتها إنما يتم بعد تفحصي الاسس التي قامت فوقها. وبطبيعة الحال فإنه يتوجب على الباحث أياً كان موضوع بحثه أن يتتبع ويعي المراحل الصعبة والدروب الشاقة التي مر بها، إضافة الى ذلك معرفة العقبات والصعوبات التي اعترضت الطريق، وبالتالي فإنه يتوجب على الباحث التعرف إلى الأساليب العلمية والتجارب السالفة التي استطاع الانسان بواسطتها التغلب على تلك الصعوبات الى أن وصل الى حاله الراهنة من المكتسبات والرقى الحضاري.

وباعتقادي ان سلوك هذا النهج الذي يطلعننا على مسار تطور العلوم يكشف لنا بوضوح تام ان ابسط قانون علمي أو عملية جراحة والتي نعتبرها من الأمور البديهية في عصرنا الحاضر نجد انها قد مرت بمراحل متعددة من التغير والتبديل والتنقيح عبر التاريخ، كما انه قد اسهم في استنباطها وتحسينها عدة حضارات سابقة، إضافة الى ذلك فإن هذا الأسلوب في البحث يؤكد لنا استمرارية الاختراعات والاكتشافات منذ أولى الحضارات القديمة في وادي النيل والرافدين وغيرها. كما ان الحضارة اللاحقة من الزمن تبدأ من حيث انتهت اليه الحضارة السابقة لها، ويحضرني هنا قول الجاحظ في كتابه «الحيوان» لولا ما اودعت لنا الأوائل من كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من انواع سيرها حتى شاهدنا ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وادررنا ما لم نكن ندركه الا بهم. ما حسن حظنا من الحكمة وينبغي ان يكون سبيلنا عن بعدنا كسبيل ما قبلنا لنا»

اما الظاهرة الأخرى فإنها تكشف لنا بأن تطور العلوم والمعرفة وتقدمها قد خضع

الى قانون التسارع الذى اعتمد اعتمادا وثيقا على تطور العلوم في مختلف فروعها مجتمعة ولذلك كان التقدم في العصور الأولى يسير بطيئا ويتعرض لانتكاسات وتراجعات قد استغرق قرونا طويلة ولكنها استطاعت ان تتخطى تلك العقبات وان تختصر الزمن حيث وجدت الطريق ممهدة في باقي العلوم فأخذت المهارات والمكتشفات تتراكم قرنا بعد قرن ثم زاد التسارع فصارت تتقدم جيلا بعد جيل ثم عاما بعد عام ثم يوما بعد يوم وهذه ظاهرة الربع الأخير من القرن العشرين وقد شمل ذلك مختلف المعارف وخاصة العلوم الطبية التي هي أقدم اهتمامات الإنسان منذ بدء الخليقة.

وقد يبدو للبعض ولأول وهلة أن دراسة تاريخ العلوم ومن ضمنها تاريخ العلوم الطبية والجراحة لا تغنينا مطلقا كونها قد وصلت في عصرنا هذا الى مراحل متطورة واصبح الماضي بعيدا عنا والرجوع اليه مضيق للوقت، ولا تلائم هذا العصر المتميز بزخم المعرفة والتقنية المتطورة عصر ارتياد الفضاء والحاسوب والليزر والاكتشافات المذهلة في الجراحة المعقدة والعلوم البيولوجية وغيرها، فالهروب للماضي دلالة على العجز وعدم وضوح الرؤيا للمستقبل والتقصير في استيعاب التطور الحديث.

لا شك ان مدارك المعرفة قد توسعت وتشعبت واستطاع الانسان ان يسخرها في التقدم الصناعي والتقني وان يبحث في مكونات الكون الواسعة سواء في الفضاء الواسع أو في دقائق الجزيئات والذرات وان يسبر غور اليابسة واعماق البحار ونتيجة لهذا التوسع الهائل في المدارك والمعارف اصبحت ظاهرة التخصص حتمية في مختلف العلوم ومن ضمنها العلوم الطبية وعلى سبيل المثال فقد كان الطبيب في مطلع هذا القرن باستطاعته أن يقرأ أي مجلة طبية وأن يستوعب محتوياتها من أولها إلى آخرها، ولكن في النصف الثاني من هذا القرن فقد وصل عدد النشرات المختلفة في العالم الى أكثر من سبعة آلاف مجلة في العالم الواحد فلم يعد الطبيب قادرا على استيعاب ذلك الزخم الواسع واصبح مفروضا عليه أن يقصر اهتمامه في حقل اختصاصه الضيق كي يستطيع متابعة ما يجري في مراكز البحوث العلمية المنتشرة في أرجاء العالم المتطور.

وعلى ضوء ما تقدم فإنه من الواضح أن أي طالب للعلم سواء كان على مقاعد الدراسة في الجامعات أو في مرحلة الدراسات العليا أو استاذًا في قاعة المحاضرات أو مهنيًا

يعتمد عمله على تطبيق الآلة المعقدة أو أبسط مرافق الحياة لا بد له من اللحاق في الركب الحضاري وان يستوعب التطور الحثيث وان يغنيها بابحاثه وتجاربه وإلا فاته قطار الزمن وتخلف عن الركب.

ومن هنا فلا بد من وقفة تأمل، ووعي ثاقب لطبيعة المرحلة كي نجد الاسلوب الصحيح من اجل الوقوف على ارض صلبة والتحفز للمستقبل وتجنب التقليد الأعمى واللهاث وراء الحدث المستورد والاعتماد على نتاج الدول المتقدمة في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والصناعية ونبقى مجتمعا استهلاكيا مسلوب الإرادة.

إن من المعروف ان النهضة الحديثة في العالم العربي بدأت في منتصف القرن التاسع عشر عندما افادت من غفوتها بعد سبات عميق ومعاناة مريرة على مدى قرون طويلة تعرضت فيها الى غزوات مدمرة ومختلف اشكال الذل والاستبداد وصنوف الاحتلال والقهر والاحباط، صرفها كل ذلك الى الدفاع عن الذات من اجل الصمود والبقاء، فأوقفتها تلك الظروف القاسية عن المسيرة في مضمار الحضارة والبناء والنهل من العلم والمعرفة فانعكس ذلك على مستوى المعيشة في نواحيها المتعددة وأثر ذلك سلبا في أسلوب الفكر بسبب الظروف المظلمة التي تحيطه، ولكن من المعروف أيضا ان الحياة أمر ديناميكي فقد جاء الوقت الذي فتح المجال بسبب المتغيرات العديدة والعوامل الجديدة التي فتحت المجال لنهضة الأمة من كبوتها ولتصحو من الكابوس المضني فبدأت تنشط وتتصل بمن سبقها لتدرك السابقين وتشارك في أخذ دورها الصحيح من خلال عوامل عديدة منها الاحتكاك المباشر مع العالم المتطور بفضل سهولة المواصلات ومن خلال البعثات الدراسية ومن خلال التراحم التي بدأت تزدهر بفضل نهضة ابنائها الرواد وغير ذلك من تحسن في الظروف الاجتماعية والاقتصادية.

لقد كان هناك مكتسبات كبيرة وايجابيات مشرقة تمكنت فيها الأمة العربية البدء في تلمس الطريق الصحيح للوصول الى ما تطمح اليه كأمة عريقة تاريخا وحضارة، ولكن كان هناك هفوات أدت إلى سلبيات اثرت في تعثر المسيرة، وأهمها وقوع معظم الباحثين والدارسين ومعظم معاهدنا وحتى جامعاتنا العربية بخطأ فادح حيث بهرتهم الحضارة الغربية بسبب زحم العلوم وتقدم الصناعة وتطور التقنية المذهل فقلدوها تقليدا

أعمى ولم يتنبهوا الى التعمق في البحوث استقصاء مصادرها والأسس التي قامت عليها ومعرفة أصولها واعتمدوا على الفكر الغربي في جميع المجالات الى درجة الاستسلام بكل ما يطرحون وكأن التاريخ بدأ من عندهم ولم يتنبهوا لاستقراء التاريخ وربط الحضارات بعضها ببعض ومعرفة تسلسل الرقي والاطلاع بشكل واضح كيف تمكن الغرب من البدء بنهضته الحديثة وكيف استطاع بعد ذلك أن يني صرحها على اساس صلب متين، فلم يتنبه العرب لمعرفة الأصل من الفرع واكتفوا بالتقليد فقط.

فدراسة التاريخ والتراث ليست مجرد الإطلاع على الماضي فحسب ولكن من اجل استيعاب الأسس السليمة والقاعدة الصلبة التي بنيت عليها المعارف والعلوم وعندها تكون نتيجتها اغناء حاضرنا بوضوح الرؤى كي نتمكن من المسير على الطريق بخطى ثابتة واهداف واضحة المعالم.

يقول كروتشه: ان اهمية دراسة التاريخ يجعلنا نفهم واقعا بشكل افضل فالتاريخ بأجمعه «معاصر» فهو يتألف بصورة أساسية من رؤية الماضي من خلال عيون الحاضر وعلى ضوء مشاكله وان العمل الأساسي للمؤرخ ليس فقط التدوين وانما بالدرجة الأولى «التقويم» وما تحمله هذه الكلمة من معنى.

لقد بدأت النهضة الأوروبية الحديثة في منتصف القرن الخامس عشر ولكن زخم التقدم ظهر جليا مع بدء الثورة الصناعية في القرن السابع عشر واستطاعت ان تتبوأ المركز المرموق في جميع نواحي الحياة وسخرت العلوم والمعارف لتطوير الصناعة ورفاهية المعيشة، ولم تقم النهضة الاوربية من فراغ فقد تأثرت بالحضارة اليونانية القديمة والحضارة العربية الزاهرة بالعلوم وما يعنينا هنا يختص في العلوم الطبية وبالتحديد علم الجراحة.

فقد كان للطب العربي طابعا مميزا حيث حافظ العرب على علوم الأولين من بابليين ومصريين ويونانيين وغيرهم واستطاعوا ان يقدموا تلك الكنوز الثمينة بعد ان اغنوها بنتائجهم الفكري الذي تواصل بالرقي والتقدم على مدى عشرة قرون من الزمن فقد نشط التأليف والترجمة والنقل والابداع خاصة في عهد الأمويين والعباسيين واصبحت مدن دمشق وبغداد والقاهرة منارات يشع نورها على أرجاء واسعة لا بل العالم كله، وقدموا

هذه العلوم الى اوروبا وقد كانت النهضة العلمية عمل افراد ودول ومثلما ازدهرت في الشرق العربي فقد بلغت في الأندلس قمة المجد ما بين عام ٧٥٦ - ١٠٣٠ م. وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد كان في قرطبة سبعين مكتبة عامة بالإضافة الى المدارس العديدة التي يصح تسميتها بمفهوم عصرنا هذا بالجامعات.

لقد استطاعت اوروبا أن تقتبس من العرب عن طريق الاحتكاك اثناء الحروب الصليبية ومن الأندلس وذلك طريق صقلية التي نزلوها واغنوها بحضارتهم واصبحت مستقلة تتمتع بثقافة ممتازة شملت مختلف نواحي الحياة ونشطت فيها الحركة العلمية وكان للطب نصيب وافر ونبغ من الصقليين نطاسيون لازالت اسماؤهم خالدة الى يومنا هذا مثل ابن جلدجل وابو سعيد ابراهيم واحمد عبد السلام الصقلي وغيرهم.

أما الأندلس فقد كانت أعظم مراكز الاشعاع فاقتبس الغرب وترجم العديد من المؤلفات الى اللغات الاوروبية واللاتينية حتى قدر عددها بأكثر من خمسة آلاف مؤلف فاجتاحت موجة العلوم والثقافة العربية الغرب حاملة في ثناياها نتاج العلوم العربية واليونانية واصبح لبعض الجامعات الأوروبية شأن كبير بفضل تلك المكتسبات العلمية الناضجة واصبحت جامعات سالرنو ونابولي وباروفا في ايطاليا ومونبيلية وباريس منارات لتدريس الطب والجراحة في أوروبا التي تعكس آثار العرب الواردة من طليطلة وقرطبة وغرناطة والشرق العربي.

لقد ذكر المؤرخ لو كرك أن من طليطلة وحدها ترجم اكثر من تسعين كتابا في الطب معظمها لاعلام الطب عند العرب مثل الرازي وابن سينا وابن زهر، اما ما يختص في الجراحة فقد كان لأبي القاسم الزهراوي (١٠٣٠ - ١١٠٦) اكبر الأثر في تعلم اوروبا للعلوم الجراحية حيث بقيت كتبه تدرس في جامعاتها المختلفة عدة قرون. وبقي كتابه المعروف في الجراحة المرجع الأصيل للجراحي الغرب زمنا طويلا حيث تميز بتصويره الآلات الجراحية التي كان جزءا منها من تصميمه فقلدها الغرب وطورها فيما بعد، يقول الدكتور كنوت هيجر من السويد ومؤلف كتاب تاريخ الجراحة: ان الحقبة الظلامية في العصور الوسطى كانت ستطول في اوروبا لولا قبس النور الذي اضاء القارة الاوروبية وخاصة في علوم الطب والجراحة.

وهكذا كانت الحضارة العربية هي الأساس الذي استطاع الغرب أن يبنى على ركائزه الحضارة الحديثة واستطاع ان يغنيها كذلك الى أن وصلت ألى ما وصلت اليه من منجزات مذهلة وعدنا نحن ننقل عنهم من حيث ما وصلوا إليه.

يقول الدكتور طه حسين: ان الزمن دار دورته وعدنا اخيراً ننقل عن الغرب ما سبق ان نقله منا ونأخذ من علمائه كما قد سبق ان اخذوا من علمائنا وكل ذلك لا يضيرنا في ماضينا أو حاضرننا وتلك الأيام نداولها بين الناس^(١).

ومن كل ما تقدم فإن على الباحث العربي الذي يصبوا الى غد مشرق ان يعي كل ذلك وأن يهتم بالأصل ثم بالفرع حتى يستطيع ان يأخذ دوره ليس فقط من اجل استيعاب المعرفة بل يستطيع أن يغنيها بدوره ولا يكتفي بالتقليد وتوقع الفكر.

ان المهتمين بدراسة التراث وتاريخ الطب في عالمنا العربي لا يزالون قلة بل ندرة اذا ما قارنا عددهم ونتاجهم باتساع العالم العربي وزخم المادة المخزونة في المكتبات والمخطوطات التي ما زالت على رفوف المكتبات والجامعات الغربية والعربية التي تنتظر من الباحثين تنقيتها ودراستها وسبراغوارها والاطلاع على مكنوناتها حيث لم يتم ذلك إلا بشكل متدن وان القليل منها قد حقق ونشر حسب القواعد العلمية.

يقول الدكتور سليمان قطايا وهو من الباحثين في دراسة التراث الطبي العربي بأننا نستطيع القول أن كل ما نشر عن الطب العربي حتى الآن لا يعدو كونه محاولات للإطاحة بالموضوع ولكن الموضوع كله لم يطرح جدياً بعد.

ولكن من دواعي التفاؤل ان نرى بوادر تدعو الى التفاؤل حيث انشئت بعض المؤسسات المتخصصة في هذا المجال مثل معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب ومعهد المخطوطات المصورة في الكويت والمعهد العربي العالمي في باريس ومؤسسة العلم والحضارة في العالم العربي والإسلامي.

(١) جريدة الجمهورية عدد ١٤ يناير ١٩٦٠ .

ويجني كتاب «الجراحة عند العرب» مثالا حيا على بؤادر مشرقة من ابنائنا المتطلعين الى مستقبل مشرق رغم ما نمر به من صعاب واحباطات تهمل الافراد والمجتمع وان هذه التحديات التي ادت الى الشعور بالاحباط وخيبة الأمل لكنها كانت الحافز الذي يدفع بالمتعلمين والمثقفين من الجيل الجديد الى تحديد الأولويات واعادة النظر واتخاذ الاسلوب العلمي الصحيح مسارا من اجل التقدم والبناء.

فقد استطاع المؤلف بما بذله من جهد شاق واطلاعه على العديد من المراجع العربية والغربية المتوفرة ان يسبر غورها وان يقدم لنا تلك الكنوز بأسلوب شائق وكشف لنا بكل وضوح ان ما كتبه الغرب وما نقلناه عنهم قد بنى على اساس وضعها الجراحون العرب ويجد القارئ ان الكثير من العمليات الجراحية المتطورة التي لا يزال يمارسها الجراحون في يومنا هذا لم يطرأ عليها أي تغيير وان الكثير من الأدوات هي استنباط الجراحين العرب. ان من يقرأ الكتاب يتمعن وتروي لا يسعه إلا أن يدهش للتعرف على المنجزات الهائلة وان يكتمل اعتزازه وانبساطه للأمة العربية العريقة بأصالتها والغنية بتاريخها المشرق وحضارتها الإنسانية وكذلك طريقنا نحو غد مشرق.

تقديم ٢

بقلم الدكتور سامي خلف حمارة
أستاذ تاريخ العلوم عند العرب
جامعة اليرموك - الأردن

لقد تعرفت إلى الأخ الزميل الدكتور عبد العزيز اللبدي في عمان عام ١٩٨٧، وكنت آنذاك استاذاً زائراً في جامعة اليرموك - اربد بالأردن، أقوم بتدريس مادة تاريخ المهن الصحية وآدابها منذ مطلع ١٩٨٤ م. وفي العام اللاحق، أهداني المؤلف نسخة من الطبعة الثانية المنقحة والموسعة لكتابه الفريد من نوعه والمتميز، جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، والذي ملأ فراغاً في هذا الموضوع، وقد تقرر آنذاك جعله بين المراجع في تدريس تاريخ التمريض وآداب المهنة في الجامعة. وهو الذي وافق أيضاً على نشر مقالتي الصغيرة بعنوان: «الطبيب الصيدلاني أبو عبدالله التميمي، أول طبيب عربي من بيت المقدس له آثار خطية باقية» بلسم، العدد ١٦٦، السنة ١٥ (نيسان - ابريل ١٩٨٩) ص ٦-١١^(١).

ومنذ ذلك الحين كنت أتابع سلسلة المقالات التي كان الدكتور اللبدي يكتبها في مجلة بلسم، خلال السنين الأخيرة في تاريخ الطب والجراحة. وكنت شخصياً فخور بهذا النشاط المركز، ومشجع لمثل هذه الومضات اللامعة بهدف احياء تراثنا الطبي الخالد. وفي هذه الاثناء عام ١٩٩١ أنجز الدكتور اللبدي بحثاً قيماً جامعاً تحت موضوع: الجراحة عند العرب، وكان واحداً في أربعة عشر بحث قدمت آنذاك إلى اتحاد الاطباء العرب، لنيل جائزة الرئيس الشاذلي بن جديد، رئيس الجمهورية الجزائرية، وذلك في المؤتمر السابع والعشرين الذي عقد في العاصمة التونسية، وكان الفائز في هذه المباراة الدكتور عبد العزيز اللبدي. وكان أنه بعد أن نقح هذا البحث وزاد عليه اضافات اساسية وضرورية، أصبح هذا هو كتاب الجراحة عند العرب، المعد للطبع.

في هذا الوقت طلب مني الدكتور اللبدي متلطفاً مشكوراً لاقوم بتقديم الكتاب

للقراء، وأني أفعل ذلك راضياً لما بيننا من وحدة الرأي وتطابق في الرؤية وصدق العزم في ضرورة تقييم تراثنا في المهن الصحية بموضوعية نافذة وإيجابية رزينة. ذلك من خلال خبرات الماضي واحداث الحاضر بالاضافة الى دراسة مخطوطات قيمة ووثائق تاريخية واثرية رافدة.

وقد قمنا كلانا، كل على حدة، بمراجعة النصوص المحققة والكتب المطبوعة منذ مطلع القرن التاسع عشر، لكشف الغطاء عن وجدان حضارتنا العريقة وسبر اغوارها والتبصر في عبر تاريخها حتى الحاضر وتقلباته، لتتقدم بخطى وئيدة تمهيداً لمستقبل حضاري أفضل من منطلقات ماضية وحاضرة، عجره وبجره، ومحنه العصيبة وانتصاراته المذهلة، ومحاولاته وتحدياته لامور واقعنا يحفزنا ما قام به الاجداد من اعمال مجيدة، وبارشادها نرتقي الى غد أكثر اشراقاً.

وبالنسبة لي شخصياً فقد كان أول تغير جذري لمسيرة حياتي الفكرية حدث في العام الاكاديمي ١٩٥٦ - ١٩٥٧م، في جامعة Wiscosin في ديار العم سام، حين تفتحت أمام عيني آفاق جديدة لم أدرها، للتخصص في تاريخ العلوم الطبية وآدابها. وكنت منذ صغري شغوفاً بآداب العرب، لغتهم وتاريخهم، فتحقق لدي بانخراطي للدراسات العليا فيها امكانية تطبيق ما كنت أحلم به واصبو اليه ضمن هذا التخصص في تاريخ وفلسفة هذه المهن وآدابها. وفي عام ١٩٥٩م كانت موضوع اطروحتي التي تقدمت بها وتم الموافقة عليها لدرجة الدكتوراة تدور حول بعض انجازات الطبيب والصيدلاني الجراح أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي وكتابه التصريف والذي تناول شرحه في الجراحة وتطبيقاتها الدكتور اللبدي في عدة فصول من هذا الكتاب^(٢).

وفي تكريسي لحياء التراث هذا مع أنني خسرت من الناحية المادية وهذا أمر بالنسبة لي ليس بذي بال، ولكنني ربحت الكثير بالغوص للاعماق في هذه الحضارة من جوانبها الطبية، والتي تقديري لها يزداد يوماً فيوماً مع مر الايام والسنين. وكم آسف أن الكثيرين من أبناء جنسنا المثقفين لا يقيمون لهذا التراث وزناً بسبب جهلهم به والتنكر له، مع أنه طريق ميمهد للابداع في العمل المجد والبحث النزيه وكمنهج للتقدم العلمي والفكري السليم.

وكذلك يتساءل المؤلف مستغرباً من الواقع المحزن باغفال تقييم التراث وتجاهل اغراضه في الاوساط العلمية، اقليمياً ودولياً، فكأنه لم يكن أو أنه عديم النفع قليل الاعتبار يمكن الاستغناء عنه، وهو جذورنا الحضارية المتكاملة. فاذا كان الاستياء من ابناء شعبنا، فما بالك بالغريب والمعاند الذي يعيب عليه النقص، والذي يفرق في عدم انصافه او التزامه بالحق من أي مصدر كان. من أجل ذلك، فاني أقف بكل قوتي واقتناعي مع الدكتور اللبدي للمضي قدماً ننصر حاضرننا معتبرين من ماضينا، متطلعين لمستقبل أكثر اشراقاً في استمرارنا ببناء تراثنا عبر تاريخنا الطويل.

ويبدأ المؤلف من حيث ينبغي في شرح، ولو باختصار احياناً، المفهوم الطبي والجراحي عبر العصور ولا سيما فيما يسمى اليوم بمنطقة الشرق الاوسط، والذي ضم أعظم الحضارات القديمة: بلاد ما بين النهرين منشأ أروع حضارة عرفها الانسان يتبع ذلك مباشرة ومتزامناً معه التقدم الحضاري والمعماري والمهني العلمي والتقني في البلاد المصرية أولاً ثم السورية وبقية بلدان اقليم الهلال الخصيب وشعوبها، ومن بينها شعوب سامية وعربية تمتد في أعماق التاريخ لآلاف السنين.

ويتابع المؤلف المسيرة الميمونة حتى يتوقف عند نهضة الأمة العربية الاسلامية التي صنعت بدورها التاريخ في تلك الحقبة، وبلغت عصرها الذهبي. وقد سجلت في تطوير المهن الصحية مستوى عالياً ربحت فيها قصب السبق بين سواها من الشعوب، لا سيما بين القرن الثالث حتى نهاية القرن السابع الهجري (من حوالي ٨٠٠-١٣٠٠م).

ويعترف المؤلف بأهمية الطب اليوناني، الذي جاءت اصوله الحضارية الهامة من التطورات الممهدة والمتفوقة في بلدان الهلال الخصيب التي سبق ذكرها. وان ما يسمى «باعتجوبة الاغريق» اينعت ثماره في تلك المدينيات ونعترف بالفضل لمن له الفضل قابلين الحق من أي مصدر ونقره، وان كان يأتي من بلاد قصية، فهذه هي الشيم والاخلاق العربية الصحيحة. ومن الطب الاغريقي بكافة حقوله وتخصصاته، استفاد العرب كثيراً واعتمدوا عليه وترجمت كتبهم الى لغة الضاد، فدرسها العرب وتفننوا فيها، و اضافوا الشيء الكثير من اكتشافات ومشاهدات وتجارب، وعدلوه وزادوا فيه مما هو جدير بالقبول والتقدير حق قدرة، ومما صار له عميق الأثر وبعيد المنال في الحضارة الانسانية^(٣).

ويحدد المؤلف اتجاهاته في البحث حول التقدم الاكيد الذي تحقق في الجراحة العامة والخاصة عند العرب، لا سيما وأن هذا الموضوع نفسه خطير وشيك، بالنسبة لدقته وجديته في معالجة بدن الانسان وما يتوجب على ذلك من مسؤوليات. فاصول التخدير العام والموضعي لم تكتشف بعد بالمعنى العلمي والتقني الحديث حتى القرن التاسع عشر، وأن المخدرات ومسكنات الوجع من عقاقير نباتية - المرقدات - بنوع خاص لها تأثيرات محدودة، وان الجراح المتمكن كان يواجه مسؤوليات جسام، ومصاعب جمّة حتى كثر المشعوذين، وزاد عدد الدجالين في حقول المعالجة، كما يؤكد المؤلف بأهمية دراسة التشريح وعلم وظائف الاعضاء ونجاح الجراح العربي في هذا المضمار اكااديمياً وعلمياً، ممارسةً وتطبيقاً، وان كان عدد المخلصين المقتدرين بينهم قلة، كما ذكر أيضاً اصول التخدير ومواده الأولية، وما كان منه متيسر في الطبيعة من عقاقير مفيدة، تكشف فوائدها مع الخبرة عبر السنين وما هو متوفر في الشرق والمغرب العربيين.

ويشير الدكتور اللبدي لما قدمه زمرة من أطباء العرب والجراحين في انجاح ممارسة اعمال الكي والفصد والحجامة، والتعرف على أصولها وطرق تطبيقها والمواضع التي يجري تعيينها في البدن الانساني: ذكراً أو أنثى، صغير السن أو كبيراً وفي شتى الظروف والأزمان أو الفصول. وان بعض الجهال منهم كانوا يقومون بها لذاتها وما تجني هذه العمليات من مباح مادية. وأما البعض الآخر من المستنيرين بينهم فقد أحكموا ممارستها بمهارة لاسباب مرضية معينة، وفي أوقات وأحوال واضحة المعالم والأهداف.

ويحاول المؤلف أن يحيط بالاهتمام الذي وجهه أطباء العرب وجراحاتهم في المعالجة، والمداخلات للمسالك البولية ومن أهمها اخراج الحصى من الكلى والمثانة بدقة ومهارة. وطرق المعالجة، ونقل اخبار ذلك بواسطة بعض المؤرخين من عرب وأجانب. يتبع ذلك تكريس وقت لاجراء العمليات الجراحية من أمراض الاطفال والمولودين ورعايتهم، وجراحة الاورام والبثور والقروح بأنواعها وأشكالها المختلفة بما في ذلك السرطاني والخبيث، وما هو حميد العاقبة يمكن شفاؤه تماماً.

ومنذ زمن ابقراط (حوالي ٤٦٠ - ٣٧٧ ق.م) كان الاهتمام بجراحة العظام يحتل مركز الصدارة، أولاً لكثرة حدوثه ولزوم رعايته وتعدد حدوثه، ثم لان معالجته

تؤكد بأكثر سرعة ودقة، قدرة الجراح ومهارته في نجاح عمله أو فشله، وما يترتب ذلك من الالتزامات الخلقية والادبية للطبيب المؤاسي ومهنته. ونذكر أيضاً هنا قيام مدرسة خاصة للمجبرين كتنقابة بحد ذاتها تتخصص في ذلك الحقل وتشرف على نجاحه، كما في أمر الفصادين والحجامين المعروفين في العصر العربي الذهبي، كما استمر ذلك حتى العصور الحديثة، وهذا ينطبق أيضاً على جراحة الحروب.

ويسترسنل الدكتور اللبدي في ذكر فضل أشهر الاطباء الجراحين والمؤلفين هنا، نظير الطبري والعبادي وابن ماسوية والرازي وابن الجزار والزهرابي، وابن سينا ومعاصره ابن الهيثم، وابن زهر وابن رشد وعبد اللطيف البغدادي وابن النفيس وابن القف الكركي. ومعظم هؤلاء الاطباء قد عرفهم الغرب وأقروا بفضلهم، وإن كان الكثيرون منهم قد أغفلوا ذلك وتجاهلوه حينذاك، وكذلك في عصرنا الحاضر، ولكن آثارهم باقية تشهد لهم، ونذكر اثنين منهم على سبيل المثال: الأول، أبو القاسم الزهرابي الذي أشاد الدكتور اللبدي بحسن مدحه وجميل ثنائه، وكيف لا، وشهرته في أوروبا المسيحية فاقت طيب سمعته في بلاد المسلمين منذ وفاته وحتى عصر البعث الاوروبي. أما كتابه التصريف، برسومه التعليمية الوصفية، فات فضله، وقامت على أثر ترجمته الى اللاتينية، نهضة عارمة في الجراحة والعلوم الطبية والطبيعية حتى امتدت شهرته من اسبانيا الى ايطاليا، ومن هناك تنقل آثاره العلماء والجراحون وشيكا الى فرنسا وبقية أوروبا، فكان سبباً في تطور الصناعة الجراحية في الجامعات، وبين الممارسين واساتذة الكليات الطبية مثل باريز ومونتبلير وبادوا. فالزهرابي وكتابه يعتبر مثلاً ساطعاً لنجاح الطب العربي والجراحة، والوصول الى أعلى درجة من الشهرة ولمدة زادت على أربعة قرون من السنين من تأليفه^(٤).

والثاني، أبو القف الكركي، رائد هذه العناية في زمنه بشهرة كتابه العمدة وامتد تأثيره في العالمين العربي والاسلامي حتى خبا نور النهضة الطبية في العربية وانتقل مركز الثقل والاشعاع الى أوروبا المسيحية في عصري النهضة والثورة الصناعية.

ومن خلال نص كتاب الجراحة هذا للدكتور اللبدي، وبعد الفحص والاطلاع على عدد لا يستهان به من المخطوطات الطبية والوثائق الجراحية أو المقتبسات منها، نجد معلومات ومفاهيم جديدة بالذكر لتكون مكملة ومساندة للتطورات والنصوص التي

تناولها المؤلف في حديثه، وضمن الاهداف والتطلعات الايجابية.

فذكر على سبيل المثال أربعة حكماء لامعين أولهم الطبيب أبو الحسن عيسى بن الحكم الدمشقي (حوالي ٧٣٩ - ٨٤٠) الذي عَمَّرَ أكثر من مائة عام، ويعتبر رائداً في الطب والتاريخ الطبيعى. وان رسالته «الياقوتية الكافية» والمعروفة «بالحارونية»، هي التي أهديت الى الخليفة العباسي هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩م)، أثناء اقامة المؤلف في العاصمة العباسية عدة سنين. وفي أثنائها زار الهند وتعرف على أسرار الهند في الطب والمعالجة الدوائية والجراحية، ثم عاد راجعاً الى دمشق مسقط رأسه^(٥).

أما الرسالة الهارونية، فهي أول كتاب عربي طبي متكامل يحوي العديد من الافكار والمشاهدات والخبرات الاصلية في الصناعة، ومنه نسخ باقية حتى زمننا.

ثم أن هذا الكتاب يغطي فترة تزيد على خمسة وثلاثين عاماً حتى ظهرت كتابات يوحنا بن ماسوية يتبع ذلك حنين العبادي والطبري والكندي ومعاصريهم^(٦).

ويخبرنا ابن ابي اصيبعة الدمشقي بأنه هو أول من طبق طريقة الفصد Phlebotomy في عرق الباسليق Basiliق بطريقة معالجة جراحية ناجحة حتى في حالة النزف الشديد، وانه حذر من السماح للمنجمين لمعالجة السيدة غضض أم ولد الرشيد في حالة قولنج مؤلمة ومضاعفات أودت بحياتها^(٧).

وأشار مؤيداً أهمية التشريح للحيوان والانسان للتعرف على سبيل النجاح في هذه الصناعة، واعتبر الحجامه عملية جراحية لازمة تنوب مكان الفصد في كثير من الحالات، وحاول دراسة علم الجنين واعتبر العقل مسكنه في الدماغ، كما أن السمع في الاذنين، ومسكن الروح في القلب والبصر في العينين ومسكن النطق واللذة في اللسان، والضحك في الطحال، والغضب في الرئتين وحاول الدمشقي الجمع بين طب الاجسام وطب النفوس وفلسفة الألم، وان المرء لا يموت، حسب نظريته، حتى يبلغ الألم منتهاه في القلب.

وقال الدمشقي في الانسان، العالم الاصغر، بأنه جسد ونفس وروح، وان الجسد وعاء للروح، والروح وعاء للنفس. وقال بأهمية الوراثه من الاجداد الى الاحفاد وقال بعدد

مفاصل البدن وانها ٣٦٠ كدرجات الفلك. واعتبر في التشريح بأن هناك أربعة أرباع:

الأول في رأس الانسان، وهلاكه الدماغ مسكن العقل والمعرفة والحلم، وكمال
بكمال الجسم، وان الدماغ حار أما النخاع فبارد فيصير بينهما التوازن.

والربع الثاني في الصدر، وفيه القلب مسكن الروح والفصاحة والفتنة والورع كما
والهم والغم ايضاً وهو حار، في حين أن الرئتين مسكن الغضب والخفاء باردتان فيتوازنان
وينسجمان.

والثالث في البطن، وان المعدة بيت الداء والهضم حيث يتحول الطعام الى الكبد،
والذي يعتبر مسكن الرحمة أو العداوة والخازن للكموس (الخلاصة المنهضة Chyme)،
والذي يقوم بعملية التصفية وما يتحول من الحاد صاف يدفع الى الطحال فإلى العروق،
وما ليس منه صاف جيد فيدفع الى الامعاء ولخروجه في الاثقال.

والربع الأخير في الحويصلة المرارية في أسفل البطن، وان الكليتين مسكن حسن
البيان والموهبة الصالحة الرشيدة وهما حارتان والمثانة باردة لانسجام وسلامة البدن.

وأخيراً يصف الامعاء (المصران) وطوله وموضعه من البواب حتى الشرج وأهمية
كل.

ويقول الدمشقي بأن أكثر الاسقام والعلل تأتي من كثرة الاغذية والاطعمة
والتخليط بينها، والبطنة وما يسببه فساد كثرة الطعام والشراب، وأنه خير للبدن الاقلال
من ذلك.

ثم يذكر بأن المذاقات ستة: حلو ومر وحامض وحاد وبشع (أو كريحه) ومالح،
ويقسم الطب الى معنيين:-

المعنى الأول: بالنسبة للعلوم والمعارف الاكاديمية ومن تعلم واقتباس ودرس وتفهم.

والثاني، من صناعة او مهارة نتيجة الممارسة والاحتراف وعلم الحيل والحذق، وما
يحتاج فيها لحفظ الصحة على الأصحاء، وتمتعهم بالعافية من حيث العناية والوقاية من

الامراض، وكذلك مداواة الامراض بالغذاء والدواء أو بالجراحة حتى البرء.

ومن هنا جاء اهتمام الدمشقي الشديد الى الجراحة حسب ما هو متوفر وممكن في ذلك الزمن: من أدوات ومهارة ومعرفة بالتشريح ووظائف الاعضاء كما الاحتياج الى تركيب وصفة الدواء المرقد والحاي على الافيون والخشخاش والخس (وفي النص الاصيلي الخس)، والكزبرة والزعفران والجندبادستر (افرازات راتنجية زيتية مرة الطعم توجد في حويصلات حيوان القندس Beaver or Castoreum)، والشوكران (السيكران وهو الطخماء = Hemlock) والخربق الاسود Hellebore وجوز ارقم (أو الآكثار وهو نوع من الكستناء) والبيروح (وهو سراج القطرب أو تفاح المجانين Mandrake)، وهي جميعها ادوية استعملت اثناء وبعد العمليات الجراحية لتخفيف الألم وتخديره وشفائه^(٨).

وبعد مرور حوالي قرن من الزمن للرسالة الهارونية، ظهر كتاب المنصوري في الطب لابي بكر الرازي في مدينة الري، مسقط رأسه، وقد أوضح الدكتور اللبدي أهمية هذا الكتاب في الطب والجراحة^(٩).

وفي العقد الأول من القرن الحادي عشر (الخامس هـ) نشر كتاب المائة في الطب للحكيم الفيلسوف المتطبب أبو سهل عيسى بن يحيى الجرجاني (حوالي ٩٦٩ - ١٠١٠م). وهو الذي عرف صناعة الطب بأنها: معرفة أجناس وأنواع الامور الصحية والمرضية كل واحد على الانفراد، بما في ذلك ما يختص بالمعالجة الجراحية^(١٠).

والجرجاني يستفسر قائلاً: «وقد يوجد في الناس من يستهين بالصناعة الطبية لانها لا تصل الى تحقيق جميع الاحوال، ولا تقوى على دفع جميع الآفات، وهذا ظلم عظيم، لان كلا التقصيرين ليسا في الصناعة لعجز فيها.. إنما يكون الطالب عاجزاً عن ادراك المطلوب، اذا كان المطلوب ممكن الادراك، واما عجزها عن دفع جميع آفات البدن، لانه بالطبع وبالوجود فاسد وبالضرورة.. وغاية الطب ان يكون بقاء البدن أكثر والصحة أوثق وبالامور الخارجة عن الطبع (كالامراض) أقل.. وأصلح حالاً وأبعد من الآلام والاحداث (الموجعة) فلو أمكن الطب أن يصلح كل فساد ويدفع كل آفة لا يمكن أن يبقى الانسان على شبابه.. ويحفظ بدنه حتى لا يموت أبداً - ولكن هذا محال. فلا يستهان بفائدة

الطب وثمرته، أو يحتقر شيء من العافية والصحة والسلامة، فهذه مطلوبة لذاتها، وهي مبدأ لسائر الخيرات الانسانية. واقتناء الفضائل النفسانية والخارج عنها، ولذلك يجب أن يعتني باحكام معرفة صناعة الطب والتدرب في استعمالها كملكة راسخة في النفس ينتفع بها»، في المعالجة الطبية والطبيعية والجراحية.

وقد كرس الجرجاني فصلاً كثيرة في المواضيع الجراحية من كتابه مثل: الاورام والقروح وعلاجاتها عامة وقروح العين والانف واللحم الزائد والناسور والخراجات وبواسير المقعدة وعلاج النقرس وعرق النساء وامراض الجلد كالحزاز والسعفة والثآليل. وعلاج الخلع وكسر العظام والوثي، هذه التي أيضاً شرحها المؤلف باهتمام كبير^(١١).

أما من جهة أمر جراحة العين، فنذكر على سبيل المثال كتاب المنتخب في علم العين، لابي القاسم عمار بن علي الموصلي الكحال الذي ألفه عام ١٠١٠م في نفس عام وفاة الطبيب الجرجاني. وكان أول من أعطى سيرة ذاتية للموصلي بشكل موضوعي وباختصار هو الطبيب المؤرخ السابق ذكره، ابن ابي اصيبعة (عيون الانباء، طبعة بولاق، ج ٢: ٨٩) وفيه يقول: «كان كحالاً مشهوراً ومعالجاً مذكوراً، له خبرة بمداواة امراض العين ودربه في اعمال الحديد (كالايدات الجراحية والعمليات)، وكان قد سافر الى مصر واقام بالقاهرة ايام الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـ - ٩٩٦ - ١٠٢٠م)، وله ألف كتابه هذا في علل العين ومداواتها»، بالادوية والجراحة^(١٢).

وكان وقد وصف كتاب «المنتخب» ومحتوياته طبيب العين الالماني، جوليوس هيروشبرج عام ١٩٠٥، معتمداً على النسخة الفريدة المحفوظة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا (رقم المخطوط ٨٩٤ والترجمة العبرية المعروفة أيضاً). وقد أشار لاهمية الكتاب علماء وأطباء مشهورين في القرنين الآخرين مثل موريتز شتاينشنايدر ولوسين لوكلير وبانسيير وماكس مايرهوف وفؤاد سنجين ونشأت الحمارنة ومحمد ظافر الوفاثي.

ويعتبر كتاب الموصلي من أكثر كتب العين الجراحية أصالة، مع شروح تعتمد على المشاهدات الدقيقة والملاحظات السديدة التي سبقت غيرها قيمة معنوية في زمنه، حتى بقي هذا الكتاب مرجعاً للكحاليين لما يقرب من ستة قرون بعد وفاته والمنتخب يقع في ١٢٥ فصلاً، تبحث بشكل منتظم في تشريح العين ووظائف اعضائها وامراضها وطرق

المعالجة الجراحية. وفي الربع الاول من هذا القرن ظهرت أكثر من خمسة مخطوطات بالاضافة الى التي في الاسكوريال: في القاهرة وبطرسبرج والرباط.

وفي المنتخب، يقول الدكتور نشأت الحمارنة بأنه اغنى المؤلفات العربية من نوعه بالابداع الشخصي، وفيه عالج الغطش الناجم عن الحول عند الاطفال لأول مرة، وذلك بطريقة تغطية العين السليمة، وفيه أيضاً وصف امتصاص الساد الطري بآبرة معدنية مجوفة لما يسبقه الى ذلك أحد في تاريخ طب العين. أما الموصلي ففيه يصف اسباب الساد أيضاً، وتردد وتعدد حدوثه في كلا العينين، والمدة اللازمة للنضوج والاكتمال بحيث يصبح أمر القيام باجراء العملية لازماً ومحموداً والعلامات المؤشرة الى ذلك لتحقيقه أكيدة ومعتمدة^(١٣).

والمثال الاخير الذي نسوقه في هذه المقدمة هو كتاب الكافي في علم (أو صناعة) الطب لابي نصر عدنان بن العين زربي، الطبيب والمنجم الخاص للخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله اسماعيل (٥٤٤ - ٥٩ - ١١٤٩ - ٩١٥٤)، والذي اعتبر أكثر اطباء علماء في زمانه في مصر، ذا فراسة حسنة وانذارات صائبة حتى التف اليه عدد من الطلبة يدرسون صناعة الطب على يده. وبعد دراسة ما هو متوفر من كتابات ابن العين زربي باكثر دقة نستطيع الجزم بأنه كان من الجراحين القديرين في اجراء العمليات بأصالة جديرة بالاعتبار وتقنية مركزة ومهارة مبدعة وكما كان الأمر مع الطبيب الجراحين أبو القاسم الزهراوي وابن القف الكركي وشرح فضلهما الدكتور اللبدي.

ففي «الكافي»، يصف المؤلف تقرحات الجلد: الحزاز والسعفة لا سيما الغائرة منها والعميقة الوغول كالشهدية، ويذكر علاج الثآليل والسلع، وفي امراض الدماغ يصف السرسام وغشاء السمحاق واذا حدث فيه ورم أو لا، والسكتة وحدوث الفالج وتقليل ذلك ايجابياً. ثم يصف جراحة العين كالظفرة وزيادة الملتحمة ولحم المآق، والالات المستعملة كالمقداح والابر والسنانير وخياطة الجرح مع الالتجاء للمخدرات، وللشرباق وانتشار الشعر في الجفن او انقلابه والالتصاق والسترة والمعالجة بالدواء والجراحة، ومعالجة اللحم الزائد في الأذن بالقطع، وبواسير الانف واستعمال المجارد لاستئصالها أو خراطها والحذر في علاج سرطانها، ولكنه يوحى بإزالة لحم الخشم النابت في الانف^(١٤).

وفي أمراض الفم يصف القلاع وشق الضفدع تحت اللسان المعيق للحركة، وعلاج أورام اللهاة وقطعها وكذلك ورم اللوزتين ويعرف المؤلف البواسير بأنها زيادات لحمية في المقعدة، خارجة أو داخلية، وأنواعها والتدخلات الجراحية. ثم يتحول لذكر الفتوق والأورام والقروح سيما الحادثة في الجهاز التناسلي، اخرج الحصى من الكلى والمثانة، وان الحصاة تتولد في المثانة في الصبيان أكثر من سواهم وحصى الكلى تكثر في المشايخ، «وان المثانة في الشيوخ قصيرة واسعة نافذة الى القبل، واما في الصبيان، فيحتقن البول فيها لطول رقبة المثانة فيهم وضعيتها.. ثم أن الحجر الذي يتولد في الكلى، أصغر وألين لصغر تجويفها وقلة لبثها، والحجر في المثانة أعظم وأصلب للبث مدة أطول ولسعة بطن المثانة، بالإضافة الى رقتها ورخاوة جرحها مما يساعد على امتدادها شيئاً كثيراً.. وعلامة الحجر في الكلى، وجع يشبه وجع القولنج = Colitis (التهاب غشاء المعى الغليظ المخاطي)، وبهيج الغثي Nausea (غثيان) ويحدث وجعاً في الخواصر.. ويفرق بينهما بوجود الرمل في البول.. ومع وجع في البطن فهو دليل على الحصاة في الكلى. والغثي مع القولنج أكثر.. والعلاج بأن يحجل المريض على رجل واحدة أو ينزل من درج حتى تخرج الحصاة في البول.. والا فاقدم على الشق.. عارفاً بتشريح المثانة لثلاث يحدث أفة.. ويقعد المريض على كرسي ثم يقرن ركبتيه ويأمر المساعد فيدخل يديه تحت ركبتيه ويشدهما، ثم يتقدم الجراح الى الشق، واخراج الحصاة. «وان عرض عقيب الشق ورم، فيوصي بالمعالجة الجراحية حتى يندمل الجرح ويبرأ».

واعتماداً على البيانات المتوفرة حتى الآن، فان ابن العين زربي يعتبر أول طبيب مؤلف في الاسلام الصادق يطلق بطريقة علمية لغوية لفظة كلمة «الجراحة»، لتنقل مفهوم ومغطية التعبير الصادق لهذه الصناعة الطبية وتخصصاتها، بدلاً من الاستمرار باستعمال اصطلاح العمل باليد أو الحديد والتي دخلت في الاستعمال زمن أبو زيد حنين العبادي ومدرسي المترجمين الرواد من الاغريقية Cheir - Hand + Ergon - Work للعربية أي العمل باليد بطرق العمليات يدوياً لاصلاح وشفاء الامراض والاصابات والاذى المسبب للعطل والعاهات التشويهية، كما عرفت منذ النصف الأول من القرن ٣ هـ - ٩ م زمن العباسيين.

وجدير بالذكر أن ابن العين زربي يحدد الفرق بين الجراح وبين الشحاج لمن

اختصاصه محصور في جراحة عظام الجمجمة وتدير كسورها، فيقول: «ليس بين الجراح والشجاع من فرق سوى أن الجراح في البدن، والشجاع في الرأس» أما الجراحات الكائنة من السهام والاشواط والعظام وسائر الاجسام الحادة فيحتال على اخراجها جذباً باستعمال الكلاب والمنقاش، «وان كان فم الجرح ضيقاً فأوسعه بالمبضع وأجذبه بقوة».

ويشرح مؤلف كتاب الكافي وبدقة طرق وأساليب المعالجات في حالات الكسور في العظام والوثني والخلع وشد الرباط على الجرح أو عدمه، وطرق التجبير ورد العضو الى شكله الطبيعي بلطف واتقان، «وان كان معه جرح، يترك فم الجرح مكشوفاً ليسيل منه الصديد ويشق لاجراج شظايا العظام وان كانت متبرية تنشر.. وفي حالة جرح عظيم، فاجمع شفثيه بالخياطة» الأمر الذي فيه ابداع جراحو العرب واتقنوه. «أما في (حالة) الخلع، فينبغي أن نبادر الى مد العضوين المنخلع مفصلهما كل واحد منهما الى جهة مضادة مدّاً رقيقاً وعلى استقامة، ثم ركب زائدة أحد العظمين في حفرة الآخر».

وفي دراسة عاجلة لكتاب الكافي، نجد تفوق ابن العين زربي في الامور العملية والجراحية على سواه وطول باعه في هذه الصناعة، ومقدار فضله على نهوضها في الاسلام وتطورها مائة وخمسون سنة بعد صدور كتاب «التصريف» للزهراوي كما أوضح الدكتور عبد العزيز اللبدي بأجلى بيان. وأن ابن العين زربي قد قام بالعديد من العمليات الجراحية الناجحة: في العين والاذن والانف والحنجرة والصدر والجاري البولية وكسور العظام وفي امراض السلع وداء الخنازير وأمراض النساء وأوجاع الرأس. وأنه ابداع في اجراء هذه العمليات بجرأة ومهارة وكانت لديه الآلات والتقنية المتقدمة آنذاك لتساعده في القيام بها بتفوق ومقدرة جديرة بالمدح والتقدير.

وختاماً نعتذر من تكرار ما قاله الدكتور اللبدي في نطاقسي اطباء عصر العرب الذهبي، وما خلدوا للاجيال واثارهم في تصانيفهم الباقية، وهي قليلة بالنسبة لما كان ونشر آنذاك تدل على ابداعهم في أعمال خلاقة ومخلصة^(١٦).

الاستاذ الدكتور

سامي خلف حمارنة

واشنطن ١٩٩٢م

مراجع وهوامش التقديم ٢

- ١ - عبد العزيز اللبدي، جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، عمان، دار الكرمل للنشر، طبعة ثانية، ١٩٨٨، «والطبيب الصيدلاني أبو عبدالله التميمي»، بلسم، العدد ١٦٦، نيسان ١٩٨٩، ص ٦-١١، وتاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، جامعة اليرموك، ج ١ (١٩٨٦) ص ٢٧٩ - ٨٥ .
- ٢ - المرجع أعلاه، ص ٣٣٤ - ٥٢، وفهرس المخطوطات العربية في المكتبة البريطانية، القاهرة، دار النسر للجامعات المصرية، ١٩٧٥، ص ٩٠ - ٣ «وصحة الطفل في كتاب التصريف للزهراوي»، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العدد ٢٠ (١٩٩٠) ص ٨٤-٩٥ .
- ٣ - المرجع أعلاه، ١٩٧٥، ص ١-٢٥، ومجلة همدرد، «في الطب العربي النظري والعملي» ج ٣٢ العدد ٣ (١٩٨٩) ص ٣-١٨ (بالانكليزية).
- ٤ - فؤاد سزجين، تاريخ المخطوطات العربية (بالألماني) ج ٣، ليدن، إبريل ١٩٧٠، ص ٣٢٣ - ٥، «الزهراوي الطبيب الجراح ومنتجات الممالك الطبيعية الدوائية وتصنيعها»، أبحاث المؤتمر العالمي الثاني عن الطب الاسلامي، رقم ٤، ١٩٨٢م، ص ٥٠٤-١٢، ويعترف المؤرخون بأن كتاب التصريف للزهراوي بعد انتشاره في أوروبا أحدث نهضة حقيقية في تطوير الجراحة أكثر من سواه في تلك المدة قبل النهضة.
- ٥ - سزجين، تاريخ مرجع سابق، ٢٢٧:٣-٨، وتاريخ تراث، جامعة اليرموك، ١٩٨٦، ص ١٢١-٢، ولويس شيخو، علماء النصرانية في الاسلام، تحقيق كميل حشيمة، جونية لبنان، ١٩٨٣، ص ١٩١-٢، وجمال الدين أبو الحسن القفطي تاريخ الحكماء، مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة ١٩٠٣م، ص ٢٤٩ - ٥٠ .
- ٦ - من مطلع القرن التاسع بظهور الرسالة الهارونية وحتى صدور تأليف في عهد ابن ماسوية والطبري والكندي وحينئذ هناك فترة حوالي ٣٥ عاماً كانت فيها نشاطات علمية قد أهمل ذكرها مع أنها كانت نابضة بالحياة والحركة والاعداد بسكون قبل عاصفة النهضة الحقيقية الخفاقة، كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ليدن، إبريل ١٩٤٣، ص ٢٠٥، ٢٦٥ - ٦ وملحق، ج ١: ٤١٢ - ٧ (بالألماني)، وسزجين مرجع سابق، ٣ (١٩٧٠)، ص ٢٢٥ - ٤٩، وصاعد بن أحمد الاندلسي، طبقات الأمم، المكتبة الحيدرية بالنجق، ١٩٦٧ ص ٦٥ - ٨٠ .

٧ - موفق الدين أحمد بن أبي اصبيعة وعميون الانباء، طبعة بولاق، ١٨٨٢م، ج ١: ١٢٠-٣ وأبو الفرج محمد بن اسحق بن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت (عن طبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م) ص ٤٠٩ - ١٤ .

٨ - لقد فحصت المخطوطات التالية من الرسالة الهارونية: بمكتبة جامعة كمبردج بانكلترا رقم ١٠٢١ (١٢) ق ٧١-١١٦ وتقع في ٤٥ق، بخط مغربي صغير الحجم جيد الخط، وتحوي في الصفحة من ٢٥ - ٣٢ سطراً نقل عام ١١٢١هـ - ١٧٠٩م، ناقصة من الاخير، ومكتبة ويلكم في لندن Wellcome, ms. or. 81 فحصتها عام ١٩٧٣م، وتبدأ من ص ٢٥-٢١٦ وفيها أوراق ناقصة، أما مخطوط المكتبة الاهلية في باريز رقم ٦٤٧٥، فقد اعتمد عليها الطبيب الجراح Lucien Leclerc، ومخطوط المكتبة الوطنية في ميونخ ليس لدي ذكر أو قيد لها مع انجازات المكتبة شخصياً وجل ما اعتمدت على مخطوط الرباط D1101 في ٧٤ق في ٢٣ سطراً والقياس ١٨، ٢ × سم بخط مغربي جميل محلي بالالوان الزاهية ضمن برواز لكل صفحة وأخيراً مخطوط مكتبة الاحمدية بتونس رقم ٥٤٣٦ وتحتاج لفحص أدق.

٩ - سامي حمارنة، الموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الاردني، عمان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص ١٢٦ - ٥٣، وتاريخ تراث مرجع سابق جامعة اليرموك ١٩٨٦، ١٢١ - ٢، ١٩١ - ٢٠٥ .

١٠ - سزجين مرجع سابق، ٣ (١٩٧٠) ٣٢٦-٧، وظهير الدين البيهقي، صوان الحكمة لاهور ١٩٣٢م، ص ٨٨-٩٠، وخير الدين الزركلي، الاعلام بيروت ج ٥: ٢٩٧-٨ .

١١ - كتاب المائة، لابي سهل الجرجاني المسيحي منه مخطوطات معروفة: «١» مكتبة الرضوية في مشهد بايران بخط نسخ جميل ومتقن، وقف شاه عباس تاريخ ١٠١٧هـ والقياس وعدد الاوراق ٢٨٧ق، والدكتور غادة كرمي «كناش في الطب العربي» مجلة تاريخ العلوم العربية، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ج ٢، عدد ٢ تشرين ثاني، ١٩٧٨، ص ٢٧٠-٩٠ .

١٢ - سزجين، ج ٣: ٣٢٩ - ٣٣، ولوكليز ج ١: ٥٣٣-٨ وهيرشبرج عام ١٩٠٣ ولبينز ١٩٠٥ وماكس مايرهوف، في حكايات في قدح العين من كتاب المنتخب، ماسنور برشلونة باسبانيا ١٩٣٧ .

١٣ - نشأت الحمارنة ومجلة الكحال، ج ٣، العدد ٢، دمشق، ١٩٨٥ (لمار بن علي الموصلي) ومنذ عام ١٩٦٤ زرت مكتبة الاسكوريال وقمت بفحص مخطوط المنتخب رقم ٨٩٤ (٥)، ٩٢

- ١٣٠ ق كما فحصت مخطوط الرباط D782 في ٧٦ ق والقياس ١٥ + ١٩ سم وأخيراً
فحصت مخطوط المكتبة البريطانية بلندن (حمامة رقم ٨، فهرس المخطوطات العربية في
الطب والعبدنة، ١٩٧٥ ص ٨٢ - ٤ .

١٤- ابن أبي أصيبعة، عيون ج ٢: ١٠٧، وبروكلمن، ج ١: ٦٤١-٢، وملحق ج ١: ٨٩٠، وكتاب
الكافي لابن العين زربي منه مخطوط في باريز وخرناطة والموصل والهند والبريطانية واكسفورد
في بودليان.

١٥- فهرس المكتبة البريطانية، بالقاهرة ١٩٧٥، ص ١٢٩-٣١، أنظر حمامة ١٥٣ إضافة
١٩٣١ (١) ق ١-١٧٢ قياس بخط نسخ مشكل وفهرس دار الكتب الظاهرية،
١٩٦٩ ص ٢٩٧-٨ .

١٦- سامي حمامة، «الطبيب العربي ابن العين زربي» ابحات الندوة العالمية الاولى لتاريخ العلوم عند
العرب . جذ (١٩٧٧) ص ٦٤١-٨٠، اسماعيل البغدادي هدية العارفين وطبع اسطنبول،
ج ١: ٦٦٢ .

حول تاريخ العرب

تمهيد :-

يبدأ تاريخ العرب عند معظم المؤرخين بمرحلة ما قبل الاسلام أي المرحلة الجاهلية عند المؤرخين المسلمين وهي لا تمتد طويلاً بل ربما الى ٥٠٠ عام قبل الميلاد أي تاريخ الأنباط والعرب في تدمر، أو تاريخ الدول التي كانت تتكلم لساناً عربياً خالصاً.

ويبدو اصطلاح العرب حديثاً مقترناً بالانتساب الى اللغة العربية أي في عصر الشعر الجاهلي والاسلام .

أما قبل ذلك فان شعوب المنطقة والتي كانت تتكلم نفس اللغة أو لغات ولهجات قريية فانها لم تكن تسمى بالاسم العربي، بل بأسماء ملوكها او مناطقها او مؤسسي دولها.

وقد وردت اول اشارة الى العرب في النصوص الآشورية ايام الملك شلمنصر الثالث ملك آشور وتبين لهم ان لفظة (عرب) لم تكن تعني عند الاشوريين ما تعني عندنا من معنى، بل كانوا يقصدون بها بداوة وامارة كانت تحكم في البادية المتاخمة للحدود الآشورية^(١) .

ووردت في الكتب البابلية جملة ماتورابي ومعنى ماتو - أرض فيكون المعنى أرض العرب أو بلاد العرب وقصد بها البادية^(٢).

وورد ذكرهم عند هيرودوس المؤرخ اليوناني ٤٨٤ - ٤٢٥ ق.م وأطلق لفظ Arabia على بلاد العرب.

لقد ذهب معظم المؤرخين المحدثين في الغرب والمستشرقين عموماً الى أن الجزيرة العربية كانت من أوائل المراكز البشرية التي تطورت فيها حضارة انسانية وذلك في العصر الجليدي عندما كان الثلج يغطي أوروبا والنصف الشمالي من الكرة الارضية.

«إن قلب الجزيرة وجنوبها كانا أسبق الى الحضارة من العراق ومصر فلقد أكد شوينفرت أن زراعة الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة قد ظهر في العهود القديمة غير المدونة في بلاد العرب وبلاد اليمن ومنها انتشرت الى الفرات والنيل»^(٣).

«وقد رأى بعض العلماء ان جزيرة العرب كانت في عصر البلايستوسين Pleistocene خصبة جداً كثيرة المياه تتساقط عليها الامطار بغزارة في جميع فصول السنة وذات غابات كبيرة وأشجار ضخمة كالاشجار التي تجدها في الزمان الحاضر في الهند وافريقيا، وأن جوها كان خيراً من جو أوروبا في العصور الجليدية التي كانت الثلوج تغطي معظم تلك القارة، ثم أخذ الجو يتغير في العالم وذابت الثلوج بالتدريج وتغير جو بلاد العرب بالتدريج . حدث ذلك في عصر النيوليتك Neolithic (العصر الحجري الجديد) او الكالكوليتيك (العصر الحجري المتدني) Chalcolithic ولم يكن هذا التغير في مصلحة جزيرة العرب لانه صار يقلل من الرطوبة ويزيد الجفاف ويحول رطوبة التربة الى ييوسة فيميت الزرع بالتدريج»^(٤).

«ويرى كيتاني أن هذا التغير الذي طرأ على جو جزيرة العرب انما ظهر قبل ميلاد المسيح بنحو عشرة آلاف سنة غير أنه لم يبرر ولم يؤثر تأثيراً محسوساً ملموساً الا قبل الميلاد بنحو خمسة آلاف سنة وعندئذ صار سكان بلاد العرب وهم الساميون ينزحون عنها أمواجاً للبحث عن مواطن أخرى يتوفر فيها الخصب والخير وحياة أفضل من هذه الحياة التي بدأت تضيق منذ هذا الزمن»^(٥).

اذن فقد كانت اسباب الهجرة من الجزيرة العربية هي النمو السكاني والبحث عن مصادر جديدة بالاضافة الى الكوارث التي اصابته الجزيرة العربية كالبراكين في اليمن وغرب الجزيرة أو الجفاف وتغير المناخ أو الحروب الداخلية. وذهب بعض المؤرخين الى أن أصل الساميين والعرب من شمال افريقيا مثل جيرلند Gerland مستنداً الى الدراسات الفيزيولوجية مثل تكوين الجماجم والبحوث اللغوية^(٦). واختار برنتون Brinton شمال غرب افريقيا ولا سيما منطقة جبال الاطلس فجعلها المرجع الاصلي للساميين^(٧). وان تحليلاً لغوياً فيلولوجياً للغات القديمة في الشرق الاوسط يدل على وحدة هذه اللغات ورجوعها الى أصل واحد.

«لاحظ المعنيون بلغات الشرق الأدنى وجود أوجه شبه ظاهرة بين البابلية والكنعانية والعبرانية والفنيقية والآرامية والعربية واللهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية وامثالها فهي تشترك وتتقارب في أمور أصلية وأساسية من جوهر اللغة وذلك مثل جذور الأفعال وأصول التصريف: تصريف الأفعال في زماني الفعل الرئيسيين وهي التام والناقص أو الماضي والمستقبل وفي أصول المفردات والضمائر والأسماء الدالة على القرابة الدموية والاعداد وبعض أسماء الجسم الرئيسية»^(٨).

ولقد قال غوستاف لوبون في كتابه الحضارة المصرية «ان كل جذور اللغة المصرية القديمة ومعظم قاموسها يتركب من عناصر سامية حتى اجروميتها فيما يتصل بتركيب المؤنث والجمع والكلمات البعيدة عن الأصل السامي ترد الى الجنس الأسود الذي طرأ على مصر»^(٩).

هذه المجموعة اللغوية التي يطلق عليها اصطلاحاً بالمجموعة السامية انطلاقاً من اصطلاح أدخله الى التاريخ مؤرخ نمساوي هو اوغست لودفيج شلوتسر August Ludwig Schloetzer عام ١٧٨١ ، عاكساً النظرية التوراتية في أصل البشر وتقسيم الأجناس وارجاعها الى أبناء نوح مما هو مجال للشك حيث تهمل التوراة تاريخ الكثير من الشعوب في العالم ممن ليسوا في المنطقة العربية كشعوب شرق آسيا واميركا الجنوبية كما يخضع التاريخ التوراتي لتناقضات كثيرة كادخال حاميين ضمن الساميين والخلط بين اليفائي والحامي . وربما يشكل التاريخ التوراتي سجلاً أسطورياً بتقادم الزمن لتاريخ شعوب الشرق الاوسط فقط. حيث جغرافية التوراة ولكنه ليس تاريخاً موضوعياً او علمياً بل يخضع لأهواء الأحزاب اليهود الذين دونوا التوراة في حقبة مختلفة لتخدم أهدافهم السياسية في كل مرحلة.

هذا الاصطلاح «سامي» حبذا لو ألغي واستعمل بدلاً منه «العربي» أو «العربي الاول» وقد نحى هذا المنحى كل من جواد علي ومحمد عزه دروزه وغيرهم كثيرون من المؤرخين العرب باعتبار أنه آن الأوان أن نكتب تاريخنا بأنفسنا حتى نتجنب اخطاء المؤرخين المستشرقين.

١ - فقد التزموا بالتوراة واعتبروها كتاباً مقدساً بالرغم من تناقض هذه الروايات مع

الحفريات الحديثة من جهة ومع نفسها من جهة أخرى . يقول ارنولد توينبي
« كانت اليهودية والهيلينية المصدرين الرئيسيين للحضارة الغربية»^(١٠).

٢ - تغريب الكلمات من خلال طريقة النطق وطريقة الكتابة الأوروبية التي تختلف عن
اللغة العربية واللهجات المحلية واللغات الشرقية بشكل عام.

٣ - خضوعهم للتأثير اليوناني والروماني في تفسير التاريخ والحضارة حيث اعتبروا
اليونانيين رواد الحضارة الانسانية بالرغم من تأخرهم ألفي سنة عن حضارات
الشرق الاوسط. وقد كان اليونانيون عنصرين في ادعائهم ذلك ، يقول ديوجين
اللاتري Diogenes Leartius في أوائل القرن الثالث بعد الميلاد في كتابه حياة
وآراء مشاهير الفلاسفة «هناك البعض ممن يقول ان دراسة الفلسفة لها بداياتها بين
البرابرة. ويدعون بأنه كان للفرس مجوسهم وكان للبابليين أو الأشوريين
كلدانيوهم وللهنود نساكهم، وأن هناك بين الكلتين والغاليين أناسا يسمون
الدرويدين أو المقدسين ، وهم يقولون كذلك أن موخوس كان فنيقيا وأن
زامولكسيس كان تراقيا وأن أطلس كان ليبيا. ان هؤلاء الكتاب ينسون أن هذه
المنجزات التي ينسبونها الى البرابرة ترجع الى الاغريق الذين لم تبدأ بهم الفلسفة
فحسب بل الجنس البشري نفسه»^(١١).

٤ - التأثير بالفكر الأوروبي الاستعماري السائد في أوروبا عند كتابة التاريخ واخضاع
التاريخ بالتالي لأهداف أوروبا في سيطرتها على العالم واعتبار أوروبا استمرارا
لاثينا وتقسيم العالم بما يخدم أهداف الفكر والمصالح الاستعمارية، هذا بالإضافة
الى عدم اكتمال العلوم والبحث في أي مجال في ذلك الوقت وحتى الآن.

لقد كان اكتشاف أهمية الحفريات والآثار التاريخية مهماً جداً لاضفاء صبغة
علمية ومادية على التاريخ حيث أنه تم ازالة الستار عن كثير من الحلقات التي كانت
مفقودة في فهم تطور الانسان وتطور الحضارة الانسانية واكتشاف شعوب وحضارات
لم تذكرها الكتب ولا أخبار المؤرخين القدامى.

لقد اعتمد المؤرخون العرب القدامى على نقل الاخبار عن السلف بما يكتنف ذلك

من خلط بين الحقيقة والاسطورة وبين الحقيقة الدينية والحقيقة العلمية واعتمدوا فوق ذلك مصدرين الأول هو القرآن الكريم وما فيه من أخبار شعوب الجزيرة العربية وأبياتها بالاضافة الى قصة الخلق وهي قصص دينية لا تدعي تأريخ العالم .

والثاني هو التوراة والتي حوت تفصيلاً لانساب العرب والعالم الى آدم عليه السلام. يقول جواد علي^(١٢).

«أما متى دخلت أنساب التوراة الى العرب ومتى ظهرت وشاعت بينهم فنحن لا نستطيع أن نحدد ذلك على وجه مضبوط القياس الى أيام الجاهلية ولكننا نستطيع أن نقول أنه كانت تسربت الى الجاهليين من اليهود وذلك بوجودهم في الجزيرة العربية، واتصالهم بالعرب وقد يكون أيضاً من النصارى أيضاً فقد تفشت النصرانية في أماكن من جزيرة العرب وبين بعض القبائل. ونستطيع ان نقول جازمين ان هذا القصص الاسرائيلي وهذه الانساب التي يرويها أهل الأخبار لم تكن كثيرة الشيوع في الجاهلية وانما هي شاعت وراجت في الاسلام».

فحتى ذلك الزمان لم يكن علم الآثار قد اكتشف والعلوم المرافقة له، وبالتالي لم يكن من الممكن تحديد الأزمان أو التواريخ أو حتى أسماء الملوك والشعوب المذكورة.

وقد عمد المؤرخين العرب الى التقليل من أهمية تاريخ العرب في الجاهلية. وفي كلمة الجاهلية نفسها يكمن تحقير المسلمين لتلك الفترة قبل انتشار الاسلام وبالتالي لم يعيروها الاهتمام المطلوب هذا مع تحديد فترة الجاهلية الى قرون قبل الاسلام .

وفي كل ما ورد فيه دليل على أن صورة الاخبارين التي رسموها للجاهلية لم تكن صورة صحيحة متقنة، وان ما زعموه من عزلة جزيرة العرب وجهل العرب وهمجيتهم في الجاهلية الجهلاء كان زعماً لا يؤيده القرآن الكريم الذي خالف كثيراً مما ذهبوا اليه^(١٣).

وكان في اكتشاف حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل وفك رموز الكتابة الهيروغليفية والكتابة المسمارية اضاءة لنور جديد على الحضارات القديمة ودرجة تطورها وبالتالي ارجاع كثير من الأشياء الى أصلها، وثم بعد ذلك فك الرموز الخط المسند

في اليمن ووضعت المعاجم اللغوية لدراسة اللغات القديمة فتوضحت العلاقات بين اللغات والحضارات. ونحن في هذه العجالة التي لا ترقى الى بحث تاريخي نود ان نثبت الملاحظات التالية:

١ - وحدة أصل جميع الشعوب في الشرق الاوسط^(١٤). من الجزيرة العربية الى شمال افريقيا، يدل على ذلك تطور اللغات في هذه المناطق مما يسمح أن نؤيد رأي الدكتور جواد علي في تسمية «العروبة الأولى» على المرحلة الأولى من تاريخ هذه الشعوب قبل الاسلام. ويسميتها محمد عزه دروزه الجنس العربي. «ويجب ان نستدرك أمراً مهماً، وهو أننا حينما نقول «الجنس العربي» لانقصد المعنى الفني الدقيق الذي يتميز به جنس بشري عن جنس آخر بخصائص جسمانية في الدرجة الاولى مما كاد ان يكون غير قائم منذ الازمنة التاريخية المعروفة بسبب ما حدث من هجرات الامم وتمازجها دماً ومصاهرة وتقاليد وعادات، وانما نقصد به المجموعة البشرية التي عاشت في جزيرة العرب منذ أقدم الازمنة التاريخية المعروفة، وتشاركت في اللغة والأفكار والتقاليد حتى صارت بها جنساً واحداً فلما أخذت تنساح من هذه المجموعة موجات الى المناطق المجاورة للجزيرة كان ذلك التشارك قد تم بينها ثم ظل قائماً»^(١٥). ويقول جواد علي «إذا أردنا ان يكون كلامنا علمياً أو قريباً من العلم وجب علينا اهمال كلمة الشعوب السامية والساميين، وتبديلها بكلمة الشعوب العربية و «العرب» لان هذه التسمية ملموسة المفهوم، بينما تلك اصطلاح مبهم»^(١٦). وهذه الصفة لا تشمل شعوب الشرق الأوسط فقط بل تمتد الى شمال افريقيا ومصر «ولكن المهم ان صلة وثيقة كانت بين شمال افريقيا والجزيرة العربية وان هذه الصلة قديمة قدم التاريخ وانها استمرت على مدى العصور وانها تتبدى في اللغة القديمة اكثر ما تكون وضوحاً»^(١٧).

٢ - ان الشعوب تسمى عادة بأسماء ملوكها أو بأسماء المناطق كالكنعانيين نسبة الى كنعان، أو الاشوريين نسبة الى آشور، الذي هو اسم اله وهو اسم بلد، وفي رأي آخر، انه مؤسس دولة آشور. وكذلك في العصر الحديث كالسوريين نسبة الى سوريا والسعوديين نسبة الى آل السعود، والهاشميين الى آل هاشم، أو الجزائري وتونس وهذه التسميات تشابه تسميات كالأكديين أو الفرعونيين أو الآراميين.

وكما لا تنفي التسميات الحديثة عروبة أصحابها فان القديمة أيضاً لا تنفي وحدة اللغة والحضارة عند الشعوب، فشعوب المنطقة العربية من المحيط الى الخليج تتكلم لغات واحدة او لهجات متقاربة منذ قديم الزمان وتعبد آلهة واحدة في جميع الانحاء، بالرغم من اختلاف الأسماء حسب الأماكن. وحيث أنها جميعاً انطلقت من جزيرة العرب فانها أجدر بتسميتها باللغات العربية.

٣ - لقد انتشر الاسلام في مساحات واسعة من العالم، واعتنقه الكثير من الشعوب ذي اللغات المختلفة والعناصر والألوان المختلفة، ولم تكن غيرة هذه الشعوب على الاسلام تقل عن غيرها، بل ان كثيراً منها نشرت الاسلام في أركان الدنيا كالشعوب الفارسية والتركية والافريقية، ولكن هذه الشعوب لم تتعرب بالرغم من دخول كثير من المفردات العربية الى لغاتها . أما في بلاد الشام والعراق ومصر وشمال افريقيا فقد انتشرت اللغة العربية بسرعة بل ان هذه الشعوب تعربت بشكل لا يمكن تفسيره. الا أن لغة هذه الشعوب هي لغة قريبة من اللغة العربية، بحيث لم يجد سكان هذه البلاد مشقة في تعلمها أو نطقها، وحافظت هذه الشعوب على طريقها في النطق، وقد حدثت مثل هذه المزاحمة في مناطق مختلفة من العالم كفرنسا عند انتشار اللهجة الباريسية، او انكلترا عند انتشار اللغة الانكليزية. وقد ساهم القرآن الكريم في الحفاظ على اللغة العربية كلغة فصحي بصفتها لغة ولهجة أهل قريش «إن أنزلناه قرآناً عربياً». بينما اقتربت اللهجات العربية منها محتفظة بكثير من كلماتها، وألفاظها التي تطورت عبر التاريخ، من اللهجات العربية القديمة أي لهجات القبائل المختلفة.

٤ - وحدة الحضارة بين هذه الشعوب، فالقرب الجغرافي ووحدة اللغة سهّل التجارة بين هذه الشعوب وسهل بالتالي انتقال العلوم والمعارف كالرياضيات والأعمال الهندسية لبناء القصور والأبراج، وإقامة السدود وخزانات المياه. وازدهرت التجارة بين مختلف الشعوب، كتبادل المعادن والاعشاب والاحجار الصالحة للبناء والنحت والاحجار الكريمة للزينة والحلي. وقد ساعد هذا على ازدهار الصناعات كالتعدين والأصباغ وصناعة الخمور والصابون والزجاج والفخار. وانتشرت قصص وروايات اسطورية حول الشعوب وأبطالها، كما انتشرت الكتابة

المسمارية ثم الهيروغليفية، ثم انتشرت الحروف الفينيقية، وشاعت المعارف الفلكية وتقسيم الزمن وقياسه. وتطورت المعارف الطبية وتبادل المعلومات حول خصائص الأعشاب والنباتات والوصفات الطبية، وإن كانت التجارب والمعلومات الطبية تختلف في مصر عنها في وادي الرافدين في أن المصريين عرفوا التشريح والجراحة في أوقات مبكرة في حين أن العراقيين كانوا متحفظين أكثر فإن المعلومات والأطباء كانوا ينتقلون بين المدن المختلفة في جميع المناطق، ليس كما في العصر الحديث ولكن مما يتلائم مع السرعة والحركة في ذلك العصر، وانتقلت هذه العلوم من العرب إلى اليونان الذين طافوا في مصر وبابل ولم يأخذوا كل شيء، حيث اعتبرت العلوم الطبية خاصة علوم كهنوتية سرية. وكانت النقلة الكبيرة في تعلم اليونانيين عندما استولى الإسكندر على البلاد العربية وبنى الإسكندرية وسكن في بابل، فاستباح العلوم العربية أيضاً. وكان أن ظهرت طفرة في العلوم اليونانية فعرفوا التشريح وعرفوا النبض والكثير مما حافظوا عليه بعد انتشار الكتابة المصرية القديمة والمسمارية. وحمل الراية الأطباء السريان وهم عرب أيضاً منذ بداية العصر المسيحي إلى أن سلموها إلى الأطباء المسلمين، في العصور الإسلامية. وهكذا لم يجد العرب صعوبة في تعلمها بل والاختلاص لها ونشرها فبقى أبوقراط وجالينوس الطبيين غير المنازعين عند الأطباء العرب إلى زمن طويل قبل أن يجرؤ البعض على نقدهما وتصحيحهما سواء في التشريح أو العلاج، وذلك بعد تمرس الأطباء العرب في العصور الإسلامية، وترجمتهم لكافة العلوم المتاحة لهم.

وفي رأي سارتون «أن من سذاجة الأطفال أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد اليونان»، فالمعجزة الاغريقية «سبقتها آلاف الجهود العلمية في مصر وبلاد ما بين النهرين وغيرهما من الأقاليم والعلم اليوناني كان أحياء أكثر منه اختراعاً»^(١٨).

المراجع:

- ١ - جواد علي ص ١٦، ج ١ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . دار العلم للملايين - بيروت - مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٨ .
- ٢ - جواد علي - نفس المصدر السابق - ص ١٧ .
- ٣ - ديورانت قصة الحضارة - ج ٢ ص ٤٣ .
- ٤ - جواد علي - نفس المصدر السابق - ص ٢٤٠ .
- ٥ - جواد علي - نفس المصدر السابق - ص ٢٢٤ عن Montgomery Arabia and the bible P.95.
- ٦ - جواد علي - نفس المصدر السابق - ص ٢٣٥ .
- ٧ - جواد علي - نفس المصدر السابق - ص ٢٣٥ .
- ٨ - جواد علي - نفس المصدر السابق - ص ٢٢٢ .
- ٩ - محمد عزت دروزه - الجنس العربي ج ٢ ص ٨ .
- ١٠ - ارنولد توينبي - تاريخ البشرية ج ١ ص ١٠ الاهليه للنشر والتوزيع ١٩٨٥ .
- ١١ - د. علي فهمي الخشيم - بحثا عن فرعون العربي ودراسات اخرى الدار العربية للكتاب ١٩٨٥ طرابلس - ليبيا .
- ١٢ - جواد علي - نفس المصدر السابق - ج ١ ص ٤١٦ .
- ١٣ - جواد علي - نفس المصدر السابق - ج ١ ص ٦٧ .
- ١٤ - لاحظ ان مصطلح الشرق الاوسط هو مصطلح اوروبي ايضا وهو يعتمد اوروبا كمركز للعالم، وهو انعكاس لميزان القوى الحضاري والسياسي في القرون الأخيرة حيث تسود اوروبا على العالم.
- ١٥ - محمد عزت دروزه - نفس المصدر السابق - ج ١ ص ٨ .
- ١٦ - جواد علي - نفس المصدر السابق - ج ٢ ص ٢٨٧ عن محمد عزت دروزه ج ١ ص ١٨ .
- ١٧ - د. علي فهمي الخشيم - نفس المصدر السابق
- ١٨ - جورج سارتون تاريخ العلم ج ١ ص ٢٠ - دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .

الفصل الأول

تطور مفهوم الطب عبر العصور

الفصل الاول تطور مفهوم الطب عبر العصور

ان تطور العلوم الانسانية عبر التاريخ مرافق لتطور الانسان، ذلك أن وعي الانسان هو انعكاس لظروفه المعيشية «ليس وعي الانسان هو الذي يحدد وجوده، ولكن على العكس فان وجوده الاجتماعي هو الذي يحدد وعيه» ماركس. لقد احتاج الانسان إلى أربعة ملايين سنة حتى اصبح انساناً اجتماعياً Homo Sapiens قبل ان يدخل العصر الحجري المبكر الذي بدأ ٥٠٠.٠٠٠ - ٦٠٠.٠٠٠ ق.م^(١).

وكان النظام السائد هو المشاعية الاولى والاسر الصغيرة، وتطور إلى نظام القبائل مع ازدياد عدد السكان وازدياد التحديات.

وفي تلك الفترة تطورت حياة الانسان من مرحلة القنص والصيد كعماد أساسي لغذائه وحياته إلى مرحلة امتلاك تلك الحيوانات وتربيتها في مرحلة الرعي، حيث كان الرجل يقضي وقته خارج البيت في الرعي والصيد، بينما بقيت المرأة في بيتها أو مغارثها مع الأطفال حيث اكتشفت الزراعة وادخلت الانسانية في عصر الزراعة وما تبعه من نقلة حضارية، بدأت في انتاج فائض غذائها، وهذا أول نشوء الطبقات، وتبعه الاكتشافات الاخرى المهمة مثل اكتشاف النار والفخار ثم الادوات والنسيج. واعتمدت الزراعة على الامطار أول الامر ثم كان لابد من تنظيم مصدر دائم للمياه. وهكذا بدأت مرحلة تنظيم المياه، واحتاجت الحياة إلى تنظيم اشمل اوجد الدولة ذات السلطة في الفترة ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ ق.م. والتي بدأت في مصر وبلاد ما بين النهرين.

ونشأت التخصصات المختلفة في نواحي الحياة، وكانت المرأة هي أول طبيب لاطفالها ولزوجها، في عصر القنص والصيد، ثم اصبح هناك اشخاص متخصصون في مهنة الطب.

ولاشك ان الانسان تعرض للأمراض كما تعرض للضعف والوهن، وقد حاول ازالة هذه العوارض التي تعيقه عن تأدية واجباته الحياتية نحو نفسه ونحو الاسرة والمجتمع،

تراكت المعلومات عن طريق التجربة والخطأ مرتبطة بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي
لذي يعيشه الانسان الذي انعكس على وعيه وكون فلسفته في الحياة.

لقد بحث الانسان الاول عن سبب لهذه الامراض حوله، فلم يجد سبباً مباشراً،
ورد الامر الى ارادة الهية خاصة استسلم لها أول الامر، بدأ يخاف ويحترم كل ما لا يفهمه
حوله، وتطور الامر الى تأليه كل القوى الاقوى منه، والتي لا يعرف لها تفسيراً، ثم فصل
هذه القوى إلى قوى خيرة تفيده وتعمل لصالحه، وقوى شريرة تعمل ضد مصلحته، ومن
ضمنها الامراض التي عزاها إلى ارواح شريرة، وهذا هو محور المرحلة الروحانية وهي
بداية نشوء الاديان. ولما اكتشف الانسان قدرته على السيطرة على بعض هذه القوى
المؤثرة سواء أكانت خيرة أو شريرة بدأت مرحلة السحر ومحاولة تطوير هذه السيطرة،
ومن الطريف ملاحظة ان كلمة Magic اللاتينية المشتقة من الفارسية تعني العلم،
وكلمة Magician أي الساحر معناها الحرفي هو «العالم»^(٢). وكانت مقومات السحر
كما يقول د. بول غليونجي^(٣).

١ - الاعتقاد بوجود قوة خفية عليا - لا شخصية ولا مادية تنظم العالم.

٢ - المنطق الكاذب الذي يستقرىء السببية الزائفة من القياس السطحي: المثل من المثل
والذي يربط الشيء بمثيله والشيء باسمه.

٣ - عدم ادراك الانسان لفكرة الموت رداً طويلاً من الزمن كما هي الحال حتى وقتنا
هذا لدى كثير من القبائل وعدم تمييزه بين الموت والحياة.

وقد بقي السحر أو «العلم القديم» محافظاً على أساليبه إلى يومنا هذا والتي تعتمد
بشكل أساسي على شخصية الساحر والحركات التعبيرية التي يقوم بها للايحاء من أجل
تحقيق هدفه بالاضافة إلى التعويذة التي ما زالت تحتوي على كلمات غامضة واصلاحات
علمية لا يفهمها الا اصحابها كما كانت اللغة اللاتينية لغة سرية سائدة في الطب حتى
القرون الوسطى في أوروبا وكان السحرة يتوارثون السحر ويحافظون على سرية
معلوماتهم (على المهنة) واستمر تطور السحر في اطار المحافظة على مقوماته وتطورت
اساليبه تبعاً لتطور العلوم والمعلومات الانسانية.

وتطورت الروحانية إلى اختيار الانسان الهة خاصة تكون حامية له ولاسرتة ونشأت الديانات التوتمية Totemism التي اتخذت الهة للقبيلة كحيوان حرمت اكله، أو نهر حرمت الاستحمام به أو شجر نهت عن الاقتراب منه لرهبته أو الخوف منه. واعتبر من اجتاز هذه العقبة مقدسا يحل فيه روح الاله بل يصبح ممثلا للاله. وهنا نشأ الطب اللاهوتي الذي يعتمد على قدرة الاله، وعلى التضرع لهم والتقرب منهم والعمل على ارضائهم.

وحصل تزاوج بين السحر والطب اللاهوتي وشجع هذا التزاوج الكهنة الذين استأثروا بالاتصال بالاله بوسائل السحر. وأدى التطور الاجتماعي الاقتصادي إلى توحيد القبائل تحت الضغوط الخارجية والحروب بشكل خاص واحتفظت كل قبيلة بالهها وأصبح اله القبيلة الحاكمة هو اله فوق الالهة ورفع الى مستوى اله الكون، وقد كان هذا اجراء سياسي ضروري أعطى للوحدة السياسية قوة ميتافيزيقية مثلما حصل عند توحيد مصر الوجه القبلي والوجه البحري في عهد مينا وتأليه رع اله الكون. وفي الوقت نفسه تقريبا كان يجري تراكم معلومات طبية تجريبية عن طريق التجربة والخطأ عن تأثير نباتات معينة على أمراض معينة أو تأثير أعمال معينة على الامراض القابلة للتأثر كما كانت المعلومات تتراكم عن تشريح الحيوانات «ولطفت الصناعة، وركت حواشيها في ذلك حتى استخرجت العجائب واستنبطت البدائع واتى الثاني فوجد الاول وقد استخرج شيئا جربه فوجده حقا فاحتفظ به وقاس عليه وتعلم حتى استكملت الصناعة ولو تركنا مجيء مخالف وجدنا كثيرين موافقين واذا غلط متقدم سدد له متأخر واذا قصر قديم تعلم محدث هكذا في جميع الصناعات كذا الغالب على ظني»^(٤).

وقد اضطر الانسان منذ البداية والمرأة بشكل خاص إلى تقديم الاسعافات الاولى لجروح الصيد وجروح الحروب بالاضافة إلى اسعاف الاضطرابات الباطنية والصداع وما تيسر من الاعراض المفاجئة في تلك الظروف. وهكذا تم علاج كسور وتجبيرها كما تبين الحفريات الاثرية، وتم اجراء عملية التربة Trepanation أي فتح الجمجمة من اجل طرد الارواح أو معالجة الصداع، وربما الصرع. كما اكتشفت نباتات كثيرة مسكنة للالم أو لمعالجة أمراض أخرى، ونشأت الاختصاصات الطبية مثل الجراحة والامراض الباطنية وعلم الادوية، هذا بالاضافة إلى الولادة التي اشرف عليها قابلات وعالجن الاطفال والرضع.

يقول سارتون «لا حاجة إلى التأكيد بقدّم الطب المصري، ففي كل حضارة من الحضارات يتطور الطب مبكراً، لأن الحاجة إليه عامة ملحة دائماً بحيث لا يمكن اغفالها في أي بقعة من بقاع الأرض»^(٥). وقد اختلف العلماء العرب في نشأة علوم الطب فمنهم من قال باقدميتها، ومنهم من قال باستحدثائها، وحدد ابن أبي أصيبعة خمسة أقسام مبدئية في صناعة الطب^(٦).

القسم الاول: - انه قد يكون حصل لهم شيء عن الانبياء والرسل عليهم السلام بما خصهم الله تعالى من التأييد الالهي.

القسم الثاني: - ان يكون قد حصل لهم شيء منها بالرؤيا الصادقة (الاحلام).

القسم الثالث: - ان يكون قد حصل لهم شيء منها أيضاً بالاتفاق والمصادفة.

القسم الرابع: - ان يكون قد حصل شيء منها أيضاً بما شاهده الناس من الحيوانات والافتداء بافعالها والتشبه بها.

القسم الخامس: - ان يكون قد حصل شيء منها بطريق الالهام كما هو لكثير من الحيوانات.

وتعتبر بردية ادوين سميث ٢٥٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م. اقدم كتاب طبي وصلنا حتى الآن، كما يعتبر امحوتب الطبيب المصري ٢٨٠٠ ق.م - والذي اصبح له لاحقاً، اقدم وأشهر طبيب وصلتنا عنه معلومات عن أساليبه في العلاج والتي اعتمدت أساليب عملية في التشريح والتشخيص. وقد وصلت المهنة إلى مرحلة كبيرة من التقنية في عهد حمورابي ١٦٨٦ - ١٧٢٨ ق.م ولكن لم تصلنا معلومات طبية عن عهده.

وكانت هناك مدارس لتعليم الطب في منف وزيارات متبادلة بين الاطباء في البلدان المختلفة - كزيارة طبيب بابلي للملك الحثيين حتوسيل عام ١٢٨٠ ق.م. للتعلم من راباشا مردوخ الذي جاء من بلاد النهرين، وعمل طبيباً عند الحثيين والتقى بالطبيب المصري بارياماخو ولم تكن هذه الزيارة الوحيدة.

وعرفت الصين الحضارة في الالف الثاني قبل الميلاد، وظهر كونفوشيوس ٥٥١ - ٤٧٩ ق.م. الداعي إلى الحياة الكريمة ومكارم الاخلاق.

وفي القرن الثالث قبل الميلاد ظهرت مجموعة من الكتب والتواريخ بعضها حول الطب والعلاج. وفي القرن الثاني بعد الميلاد ظهر اعظم اطباء الصين شانغ شو تشنغ Chang Chou - Ching ونقلت كتاباته إلى اليابان^(٧). وفي القرن الثالث ظهر الجراح الصيني هوانغ تشو Huang chou الذي كتب وظائف الاعضاء والتشريح وعلم الامراض والمعالجات ثم تبعه الجراح هوانج فو HuangFu الذي كتب حول طريقة الوخز بالابر لمعالجة المرض أو لتخفيف الالم والتبض وأنواعه واضعاً اساساً للصناعة الطبية.

وظهرت الحضارة في الهند في الالف الاولى قبل الميلاد تقريباً في وقت توسع الامبراطور الفارسي قورش. في هذا الوقت وضعت الاغاني فيدا والتي تعني العلم تتحدث عن امراض واعراض. وفي منتصف الالف الاول ظهرت مدرسة «علم الحياة» «ايو فيدا» وظهر أول اطباء غير الكهنة، وكان جسم الانسان يتكون من ثلاث عناصر هي الهواء والصفراء والبلغم. والمرض هو فقدان التوازن بين هذه العناصر. وظهر اشهر طبيب هندي في القرن الثاني قبل الميلاد كاراكا، ثم شوسروتا، في القرن الرابع وتحدث عن الجراحة أتى بها طبيب الالهة دان فان تاري الذي أتى من المحيط^(٨).

ولا شك ان دراسة الطب في ذلك الوقت كانت متاحة في البلدان المختلفة فنحن نعلم ان ابوقراط وافلاطون وسقراط قد زاروا المعابد المصرية وتلقوا علومهم في مدارسها وان لم يأخذوا كل شيء فقد كانت القوانين في ذلك الوقت لا تبيح نقل هذه العلوم للاجانب. كما نعلم ان جالينوس قد درس في الاسكندرية وقد ساهمت التجارة والاتصال بين الشعوب في نقل المعلومات الطبية والخبرات الطبية في جميع العالم القديم فتجد تأثيراً هندياً وصينياً في الطب اليوناني والعكس أيضاً صحيح.

مراجع الفصل الأول:

١ - VEB Bibliographisches Institut Kleine Enzyklopadie Welt Gechichte - Leipzig 1981

٢ - الطب عند قدماء المصريين د. بول غليونجي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت دار مطابع المستقبل بالفجالة الاسكندرية.

٣ - المصدر السابق.

٤ - عيون الانباء في طبقات الاطباء - ابن أبي اصيبعة منشورات دارالحياة - بيروت الفصل الاول ص ١٤ .

٥ - جورج سارتون ج ١ ص ١١١ (تاريخ العلم) دار المعارف بمصر ١٩٧٩ .

٦ - ابن ابي اصيبعة نفس المصدر الفصل الاول.

٧ - د. سامي حمارة. تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين ص ٢٧ جامعة اليرموك ١٩٨٦ .

٨ - دتلف روستر Detlef Ruster - Alte Chirurgie p.47 Berlin 1985.

الفصل الثاني

الطب في بلاد ما بين النهرين

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني الطب في بلاد ما بين النهرين

في حوالي القرن الثلاثين ق.م. وصل تطور المجتمع في بلاد ما بين النهرين الى مرحلة نشوء الطبقات وتطور المجتمع الزراعي الى مرحلة الري الدائم ، والى تكوين الدولة في جنوب العراق - سومريين، وكانت الغزوات السامية من الجزيرة العربية مستمرة منذ القرن الخامس والثلاثين، وقد وصل سرجون الاكدي الى الحكم من ٢٢٤٠ - ٢١٩٨ ق.م. ليكون الامبراطورية الأولى في العالم والتي وصلت حتى البحر المتوسط واستمر سرجون في استعمال الحروف السومرية واللغة السومرية ونقل كل المعلومات المتاحة عند السومريين في مختلف العلوم ومنها الطب. وكان طب السومريين في أول الأمر مبنياً على الطب السحري والعقاقير في العهد القديم والوسيط، والعامل الاساسي فيه هو الدم الذي تتركز فيه جميع وظائف الحياة ويليه في الأهمية الماء والنار^(١).

وكان عندهم طبيب يمارس المهنة اسمه اسو (ASU) وهو غير الساحر أو المنوم (ASIPU) وكان للسومريين اله للطب اسمه «ايا» اله الماء، وحامية الطب الاله كولا، واله الطب نن آزو Nin-Azu واله الريح وزوج انكي اله المحيط والحكمة والحضارة، وابنه نينجيشيزيدا^(٢). ويرمز له بثعبانين حول عصا.

وكان المرض عبارة عن عقاب الهى، والشفاء تنقية من الآثام والذنوب^(٣) ويعود تاريخ أقدم الوصفات الطبية التي وصلتنا لحد الان الى ٢١٠٠ ق.م.^(٤). وفيما يلي اقتباس من هذه النصوص: «بعد سحق جذور النباتات المنصوص عليها مع القير المجفف الذي يؤخذ من النهر ومزجه بالجمعة يدعك المكان المصاب بالزيت ويوضع الدواء على شكل كمادة».

وفي وصفة أخرى يشار على المريض بأخذ العديد من الادوية النباتية مثل التين المجفف وأدوية مستحضرة من أملاح مختلفة يشار عليه ان يقوم بتسخين المواد ومن ثم مسح المكان المصاب بالمزيج^(٥) ويستنتج من هذه الوثيقة:

١ - ان السومريين كانوا على معرفة بالادوية النباتية والمعدنية .

٢ - استخدام أشكال مختلفة للدواء مثل تناوله بالفم والكدمات والدعك والحقن، والمغليات والامزجة السائلة والحقن الشرجية والمهبلية والمنقوعات وكانوا يطلقون على العقاقير أسماء عضوية حسب تشابهها بعضو حيواني . فكانت طرق العلاج عندهم ثلاث:

١ - العلاج الطبي بالعقاقير.

٢ - العمليات الجراحية.

٣ - الرقي والتعاويد لطرد الارواح والشياطين.

وقد عرف السومريون الكثير من الأمراض وذكروها وصنفوها وعرفوا الأمراض النفسية والأمراض التناسلية وأعراض التسمم ولدغ العقرب والحية، وأمراض القلب والعيون والحنجرة والصدر^(٦).

وتميز البابليون بدقة تبويب معارفهم وبتطبيق معلوماتهم في الرياضيات والفلك على ثقافتهم الطبية^(٧). وقد استخدم علماء بابل في تحضيرهم للادوية طرقاً علمية تخضع للتجارب المخبرية فلقد استعملوا المغليات والامزجة السائلة وتدل الألواح الطينية على أن البابليين تمكنوا من تحضير ٢٥٠ عقاراً من الأعشاب و١٢٠ من المعادن ولعلماء بابل طريقة لدراسة الأعشاب الطبية بحيث خصصوا العمود الأول لاسم العشب أما العمود الثاني فلاسم المرض الذي يعالج فيه ، أما العمود الثالث فيحتوي على طريقة تحضير الدواء من الاعشاب المختلفة والعمود الرابع لعدد مرات استعمال الدواء^(٨).

اما الوصفات العلاجية عند البابليين فقد كانت تحوي:

١ - سرد اعراض المرض والتشخيص المفروض.

٢ - الادوية التي يجب استعمالها وطريقة تحضيرها واعطائها للمريض .

٣ - نتيجة العلاج .

وقد حدد خمورابي^(٩) ١٧٩٣ - ١٧٥٠ ق.م. القوانين الخاصة بممارسة مهنة

الطب. وذكر في وثائقه مئات الرقم الطينية التي تعنى بالعلوم الطبية. وذكرت الجراحة في كسرتين الأولى تخص إزالة الماء الأزرق من العين والثانية تتعلق بعملية إزالة الجزء الملتهب من أحد العظام وتقرأ: «إذا كان المرض قد وصل الى داخل العظم فعليك ان تكشطه وتزيله» والمواد ٢١٥ - ٢٢٣ من قانون حمورابي تعد من أقدم القوانين الطبية المعروفة وتبين المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها الطبيب في عهده، وصرامة العقوبات التي يمكن ان ينالها الطبيب اذا فشل وهذا يدل على مدى الاهتمام باتقان العمل الطبي. وتنص المادة ٢١٥ «إذا أجرى جراح عملية كبيرة لنبيب من النبلاء بمبضع من البرونز وأنقذ حياة النبيب فيأخذ عشرة شقيقات من الفضة اجرة له، اما اذا تسبب في موت ذلك النبيب أو في تلف عينه فتقطع يد الجراح» وتنص المادة ٢٢١ «إذا جبر جراح عظم نبيب من النبلاء أو اذا عالج عضلا ملتويا فشفاه فعلى المريض ان يدفع خمسة شقيقات من الفضة أجرة الجراح». ويكون الأجر أقل من ذلك اذا كان المريض من الطبقة العامة أو من العبيد وتعلق المادة ٢٢٤ - ٢٢٥ بالطب البيطري. وتدل هذه النصوص على أن التخصص في الجراحة قد بدأ منذ ذلك العهد ولكن صعود وهبوط الحضارات الشرقية أدى الى أن الحلاقين أصبحوا أيضاً يمارسون مهنة خلع الاسنان وتجبير الكسور. ولا شك أن قانون حمورابي في الطب هو استمرار لفلسفته التي تنطلق من قانون «العين بالعين والسن بالسن التي ذكرها». وهذا العقاب الصارم ساهم بالتحفظ في اجراء الجراحات في العراق بشكل خاص وفي كل المنطقة العربية حيث ما زال قانون العين بالعين والسن بالسن سارياً ومعروفاً في كل المنطقة العربية وشجع في المقابل التعامل مع العقاقير المختلفة من جهة ومع التعاويذ والرقى. ولكن قوانين حمورابي تشكل الحد الفاصل بين الممارسة الكهنوتية للطب وبداية نشوء الطب كمهنة يمارسها أطباء فقط.

وفي عصر الدولة الآشورية الثانية، جمع آشور بانيبال أضخم مكتبة تحتوي على ٣٠ ألف لوح طبي تعد في التاريخ من أبرز نصوص مكتبة آشور بانيبال وكانت تحتوي على سلسلة تضم أربعين فصلاً طبياً نستعرض أهمها: (١٠).

الفصل الاول والثاني عبارة عن نصوص فأل خاصة بالمعزم القادم لزيارة المريض والجزء الثاني دُون على ١٢ وثيقة مسمارية خصصت لدراسة الأعراض التي تطرأ على أجزاء الجسم الظاهرة أي أنها اهتمت بالتشخيص أكثر من إهتمامها بالمرض أو نوعه. أما

الجزء الثالث فكتب على عشرة رقم، ومن الطريف أن الكاتب صنف تدرج المرض بالاستناد الى بقائه يوماً واحداً أو يومين أو ثلاثة أو خمسة عشر يوماً أو اذا ما دام المرض شهراً أو شهرين أو أطول مثلاً. «اذا استمر المرض أربعة أيام وبقي المريض يضع يده على بطنه من شدة الألم وكان وجهه مصفراً فانه سيموت». «اذا ظل المريض بعد أربعة أو خمسة أيام فسيخف المرض». أما الجزء الرابع ويضم عشرة رقم في الحذر وعدم القدرة على الجماع والهذيان والحالات النفسية كاختلال العقل والصرع. والجزء الخامس وكتب على ستة ألواح فيتعلق بأمر المستقبل أو المرأة الحامل والوليد والأمراض النسائية ولم تذكر موسوعة حضارة العراق أي شيء عن الجراحة المذكورة في قوانين حمورابي لقد ساهمت التجارة والحروب في نقل الحضارة في الشرق الأوسط وقد ذكر مثلاً أن لقاء تم بين عام ١٢٨٠ ق.م^(١١). بين طبيين بابليين في بلاط حتوسيل الملك الحثي أحدهما رابا شامردوخ الذي أتى من بابل قبل سنين وعمل في خدمة الحثيين وقد التقى رابا شامردوخ مع الطبيب المصري باريماخو وليست هذه هي المقابلة الاولى من نوعها فقد كان انتقال العلوم منتشراً وكان الطلاب يقصدون المراكز المختلفة.

وقد اشتهرت مراكز في العراق مثل مدينة آشور ونيوى ونفر وایسق، كما اشتهرت في مصر مدينة منف والاسكندرية لاحقاً. وكان الأطباء العراقيون محل طلب الممالك الأخرى مثل الذي ذهب الى ملك الحثيين. وهناك رسائل لا حصر لها مرسله من مملكة ماري الى آشور في حدود القرن الرابع عشر ق.م. تحمد وتجل الأطباء العراقيين.

ويفهم من بعض الرسائل وجود مراكز اقامة للمرضى أي مستشفيات بالمفهوم الحديث لعلاج مغنيين ومغنيات أحد المعابد في نفر. ويذكر أيضاً انه كان في بلاد آشور مجلس طبي فقد تمت به كليات طب في بورسيا والورك^(١٢) وتذكر الرسائل أيضاً عن نظام ترتيب الأطباء استناداً لمراتبهم العلمية كرئيس الأطباء راباسي. ويمكن التكهّن أنه كان لديهم أطباء للجيش ومرافقة الحروب كما كان في مصر بالإضافة الى البلاط وكان الأطباء ملتزمون بتأدية قسم أبو قراط الحالي.

وما زالت معلوماتنا عن الطب العراقي القديم غير مكتملة فمثلاً هناك نقص في معلومات التشريح الذي مارسوه بلا شك والجراحة أيضاً لم يترجم منها الكثير. ولكن

لابد ان نذكر رواية هيرودوت أن المرضى كانوا يعرضون في المرافق العامة ليلتمسوا نصائح عابري السبيل والتي تذكرها موسوعة حضارة العراق على أنها سلبية، وأنا أرى فيها ايجابيات:

١ - الايمان بمادية المرض والاتجاه الى التعاويذ وما شابه اي امكانية شفائه.

٢ - الايمان بعدم معرفة الانسان الشاملة لكل شيء .

٣ - الايمان بأسلوب التجربة والخطأ وهذا اسلوب علمي.



يُجَشِّدُ إِلهَ الطَّبِّ عِنْدَ الْبَابِلِيِّينَ

مراجع الفصل الثاني:

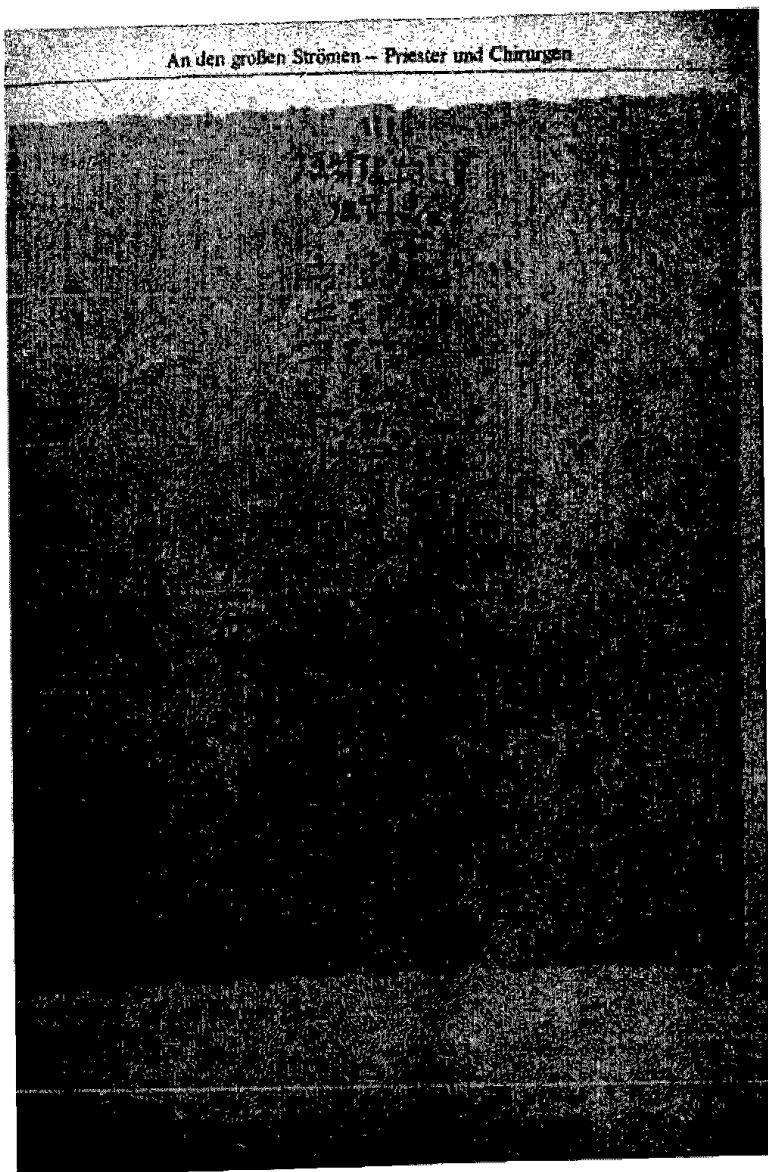
- ١ - جورج شحاته القنواطي / الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والوسيط .
- ٢ - حضارة العراق / الجزء الثاني / نخبة من الباحثين .
- ٣ - عبد العظيم حنفي صابر ، وشحاته قنواطي / موجز . تاريخ الصيدلة .
- ٤ - الدور العربي في م . ص . ع .
- ٥ - حضارة العراق / ص ٣٢١ / نفس المصدر السابق
- ٦ - محمد عزه دروزه / الجنس العربي ، ج ١ ص ١٧٧ المكتبه العصرية / بيروت .
- ٧ - د. بول غليونجي / الطب عند قدماء المصريين ص ٢٨
- ٨ - جورج شحاته القنواطي / تاريخ الصيدلة في العهد القديم والوسيط ، ص ٧ / نفس المصدر السابق .
- ٩ - حضارة العراق - نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٣٣٥
- ١٠ - حضارة العراق - نفس المصدر السابق
- ١١ - ديتلف روستر ALTE CHIRURGIE P.38. VEB VERLAG - Volk UND
GESUNDHEIT BERLIN DDR 1985.
- ١٢ - حضارة العراق - المصدر السابق ص ٣٣٧ .

رَفَعُ
عبد الرحيم المحمدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

الطب المصري القديم

An den großen Strömen – Priester und Chirurgen



قطعة من بردية إيبيرس

الفصل الثالث الطب المصري القديم

تدل الحفريات على استيطان مصر منذ أربعين ألف سنة، وفي الألف الرابعة قبل الميلاد تكونت ملامح دول في أعالي النيل والدلتا كان لها ملوك يحكمونها وينظمون أمورها.

وفي الألف الثالثة، تم توحيد مصر في عهد مينا الذي أسس العاصمة ممفيس وساد الآلهة رع وابنه الآلهة حورس. وفي عهد الملك جوسر تكرر حورس ابنا لرع وتأسست في هذه الفترة قضية التقسيم الطبقي، وقويت طبقة الكهنة، وتطورت قنوات الري والسدود والتجارة مع البلدان المحيطة. وفي هذه الفترة عاش الطبيب امحوتب ٣٨٠٠ ق.م.^(١) الذي كان سياسياً ومهندساً معمارياً فهو الذي بنى هرم سقارة المدرج وهو ابن الآلهة بتاح وكان له معبد في ممفيس حيث كان يتعلم الأطباء. ويعتقد أنه كاتب بردية ادوين سميث (٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م.) أقدم مخطوطة طبية وصلتنا. وقد أله امحوتب لاحقاً كإله للشفاء وخصصت له ثلاثة معابد على الأقل في منف وطيبة وفيلة^(٢) حيث كان الكهنة يدرسون الطب ويعالجون المرضى. ويمكن بالتالي اعتبار هذه المعابد أول جامعات طبية أو أول مستشفيات جامعية. وقد أحدثت هذه البردية - ادوين سميث - انقلاباً في المفاهيم السائدة عن الطب المصري القديم إذ اعتبرت «أول كتاب جراحي في العالم»^(٣). وقدمت هذه البردية «أول دليل على وجود طب منطقي عقلي أساسه الخبرة والملاحظة وعلم تشريح سليم»^(٤). وقد اعتمدت أساليب علمية تقترب من الأساليب العصرية فقد استندت على معلومات جراحية غير متوافرة في ذلك الزمن، وعلى فحص دقيق يدل على معرفة بالتشريح والتشريح السطحي بالإضافة إلى وظائف الأعضاء وعرفت الأجهزة المختلفة وعلاقة أجزائها ببعضها وربط بين ظواهر متلازمة في أجزاء متباعدة من الجسم تكون منها صوراً اكلينيكية مميزة.

وبعد تتبع مراحل المرض والتشخيص والعلاج لكل مرحلة، كان الطبيب ينتقل إلى التوجه Prognosis وكيفية تصور المرض والشفاء. وكانت مدارس خاصة للتدريس

تسمى بيرعنخ أي بيوت الحياة، ملحقة بالمعابد تدرس فيها العلوم الطبية والنباتات الطبية. وتحتوي البردية أيضا على وصف للمعدات الجراحية التي كانت تستعمل، من الارتبطة المختلفة وطرق عملها إلى الجبائر والفتائل والارتبطة اللاصقة والكلي، بالإضافة إلى الخياطة التي كانت معروفة في ذلك الزمن.

وتحتوي البردية أيضا بعض التعاويذ وخاصة لابعاد الطاعون السنوي، أما بردية كاهون التي ترجع إلى عام ١٩٥٠ ق.م.^(٥) فتتكون من قسم طبي وقسم بيطري وقسم خاص بحل المسائل الحسابية .

أما القسم الطبي فيقع في ثلاث صفحات ولم تتضمن أشياء جراحية بل وصفاً للادوية وصفحة منها للنساء وتشخيص العقيمت والتكهن بجنس الجنين. وتعتبر بردية ايرز والتي يبلغ طولها ٧،٤ متر أضخم لفافة عثر عليها تعود لعام ١٥٥٠ ق.م. وفيها وصف لـ ٨٧٧ مرضاً وفيها كيفية التشخيص وبعضها مقرون بالعلاج وبعضها اشارات علاجية مخصصة^(٦). فيها مثلاً تشخيص دقيق للفتق الاربي Inguinal Hernia وتميزها عن الورم الشرياني.

ويذكر في نهاية الفقرة أنه سيعالج الفتق ولكنه لا يذكر كيف^(٧) كما تذكر الأمراض الباطنية وعلاجها ووصفات لأمراض العيون وأمراض الجلد وأمراض الأطراف ووصف لأمراض النساء وعلاجها وفصل خاص عن القلب والشرابين، ويذكر النبض أيضاً وأهميته في التشخيص وكذلك الأمراض الجراحية وخاصة الاورام وعلاج للاسنان المسوسة بحشوها بخليط من كاربونات النحاس والصمغ ومواد أخرى.

وتعود بردية برلين إلى الاسرة التاسعة عشرة ١٣٠٠ ق.م وفيها تكرار ما ورد في برديات أخرى وبها عن الروماتزم وفصل عن الأوعية. وبردية لندن وفيها مجموعة تعاويذ تعود إلى عهد الاسرة التاسعة عشرة ١٣٠٠ ق.م. وبردية شستر بيتي Chester Beaty لنفس الاسرة وموجودة في المتحف البريطاني، وبردية كارلزبرغ في كوبنهاغن تعود الى ١٢٠٠ ق.م. ومتخصصة في طب العيون وبردية ليدن وفيها عن الوقاية من الأمراض المعدية وانتشار العدوى وبردية هرس في كاليفورنيا وبرديات أخرى من عصور متأخرة بالقبطية.

وتذكر البرديات الكثير من العقاقير الطبية من النباتات المختلفة وخاصة زيت الخروع، الانتس والابنوس وبذر الكتان كما جاء عنه في بردية ايبرز ٦٩٠ . «إذا ما نقت جذوره في الماء حتى تذوب، ووضعت على رأس المريض فانه يشفى في الحال كما لم يكن مريضاً من قبل فاذا كانت الشكوى من عسر الهضم فدع المريض يمزج بعضاً من ثماره مع الجعة فيطرد هذا المرض من جوفه. ولنمو شعر المرأه تدق ثماره وتعجن حتى تصير كتلة يجب على المرأه ان تنقعه في الزيت وتدهن رأسها بها»^(٨).

ووصفات حيوانية مكونة من العسل والشمع والشحم والكبد والدم وأجزاء من الحيوانات وروث الحيوانات ووصفات معدنية: جبر مطفأ، رصاص كهرمان، كربونات الصوديوم، وجميع الوصفات هي من ابتكار الاله رع. كان للأدوية عند المصريين القدماء مكانة خاصة فاهتموا بدراساتها، وكان لهم مدارس خاصة تسمى بيرعنخ أي بيوت الحياة ملحقة بالمعابد تدرس فيها العلوم والنباتات الطبية من حيث صفاتها وزراعتها وانسب الاوقات لجمع العقاقير منها، وكذلك العقاقير النباتية والحيوانية والمعدنية وكيفية استخلاصها وفوائدها في علاج الامراض وكيفية تحضير الأدوية منها وتجهيزها في أشكال صيدلية مختلفة للاستعمال من الباطن ومن الظاهر، مما يدل على أنهم كانوا على معرفة بينة بتركيب الدواء وكان لهم فيها مهارة خاصة، وقد تخرج من هذه المدارس اختصاصيون في مختلف الفروع الطبية وقد ورد في البرديات الطبية أنهم كانوا يجهزون الأدوية على هيئة أمزجة سائلة.

وكان الكهنة المعروفين باسم Sinu سنو هم الذين يحضرون الادوية في اماكن خاصة من المعابد تسمى Asit است^(٩).

والبرديات غنية بالمعلومات التشريحية للانسان وبها وصف دقيق وتسمية لسائر اعضاء الجسم والهيكل العظمي والعضلات .

- وصف لأغشية الدماغ - آلام الجافية وآلام الحنون.
- وصف القلب وحركاته - النبض وأهميتها في التشخيص.
- ذكر الغدة الدرقية.
- ذكر الكبد.

- ذكر الرثمين.

وقد تم تحديد أسباب المرض داخلية وخارجية أرواح شريرة وغضب الالهة، بالإضافة إلى سوء التغذية والديدان والهواء ومعرفة الأمراض المعدية والأمراض التناسلية وعدواها.

أما بخصوص كل الأمراض الارتشاحية التي تدخل العين آتية من الأعضاء التناسلية فان ذلك نتيجة لنفس النشاط عند الكاهن فالقلب هو الذي يسبب دخولها في أوعيته، وهي تغلي في كل لحمه والقلب واوعيته تقف عنده بسبب ذلك^(١٠).

وقد عرف التخدير الموضعي بحجر منف المزوج بالخل وعرف الافيون، أما في الجراحة فبالإضافة الى عملية الختان الروتينية والتي لم يكن الطبيب يجريها بل الكاهن، فقد عرفت عمليات التربة^(١١) Trepanation وعمليات التراكيوتومي^(١٢) Tracheotomy وتقويم خلع الفك وتجبير الكسور واستئصال الاورام والكي.

ويذكر هيرودوت أن الشفاء كان منقسماً إلى اقسام كل طبيب يختص بقسم منها فهناك طبيب العيون وطبيب الرأس وطبيب الاضطرابات الداخلية والاسنان والجراحة واللفائف والعقاقير^(١٣).

وقد كانت المهنة مقسمة تقسيماً دقيقاً فهناك كبير أطباء القصر، أي وزير الصحة وطبيب للوجه القبلي وآخر للوجه البحري بالإضافة إلى اطباء الجيش. ولم يكن الاطباء وحدهم يمارسون الطب فقد ورد في احد اللفائف «إذا وضع كاهن الاله شخمت أو الطبيب أو الساحر يده على المريض وقفاه واعضائه .. فانه يعرف بهذا مرضه»^(١٤).

فقد كان الطب مرتبطاً بالالهة والتعاويذ والسحر وكانت التعاويذ تتلى عند جميع العلاجات.

ان ما وصلنا عن الطب المصري يعد أقدم ما وصلنا عن الطب في العلوم بالإضافة الى بلاد ما بين النهرين، أما اسقلا بيوس أول طبيب يوناني مشهور فيرجع الى القرن الخامس قبل الميلاد^(١٥). وكذلك الطب الهندي وليس هناك معلومات عن الطب في

الجزيرة العربية بالرغم من ازدهار الحضارات في اليمن السعيد وفي مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية، وقد انتقل الطب المصري القديم عن طريق اليونان إلى العالم، فابوقراط درس في ممفيس ومنف وشكلت الاسكندرية في القرون المتأخرة منارة إشعاع للعلوم المصرية إلى العالم.



(شكل ٤) الإله امحطب

مراجع الفصل الثالث:

- ١ - الدور العربي في منظمة الصحة العالمية - المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية - الكويت.
- ٢ - د. بول غليونجي الطب عند قدماء المصريين - مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت ص ١٠٤ .
- ٣ - ديتلف روستر
DETLEF RUSTER, ALTE CHIRURGIE P.10 VEB VERLAG - VOLK:
UND GESUNDHEIT BERLIN - DDR - 1985.
- ٤ - د. بول غليونجي المصدر السابق ص ٧٢ .
- ٥ - المصدر السابق ص ٦٢ .
- ٦ - المصدر السابق ص ٦٧ .
- ٧ - المصدر السابق ص ٦٧ .
- ٨ - محمد عبد الحميد بسيوني الفراعنة والطب الحديث ص ٣٢ دارالمعارف - القاهرة.
- ٩ - د. علي عبد الله الدفاع/ اسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة ص ٧٨ منشورات الرسالة - بيروت .
- ١٠ - محمد عبد الحميد بسيوني الفراعنة والطب الحديث ص ٨٤ .
- ١١ - د. بول غليونجي الطب عند قدماء المصريين ص ١٥٠ .
- ١٢ - د. بول غليونجي الطب عند قدماء المصريين ص ١٤٨ .
- ١٣ - محمد عبد الحميد بسيوني الفراعنة والطب الحديث - دار المعارف في القاهرة ص ٤٥ .
- ١٤ - د. بول غليونجي الطب عند قدماء المصريين ص ٩٨ .
- ١٥ - د. بول غليونجي المصدر السابق ص ٥٣ .



(شكل ٥) اوكتف مخلوعه عن مقبرة ايبوي

الفصل الرابع

الطب اليوناني

الفصل الرابع الطب اليوناني

لم يذكر الاطباء ولا مهنة الطب في الياذة هوميروس - التي تعتبر أقدم كتاب يوناني حتى الآن، وقد كتبت في القرن السابع ق.م.^(١) ولكن ذكر العديد من الامراض والاصابات الحربية نتيجة حرب طراودة. وقد أدى تطور الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في اليونان، ونشأة نظام العبودية وتكدس القيمة الزائدة إلى تطور الفنون والعلوم، وازدهار التجارة، وتطور نظام الدولة المدنية.

بدأ الطب اليوناني لاهوتياً، يعتمد على معجزات الالهة وأول طبيب يوناني وهو اسقلابيوس Aesculapius كان له هيكل في ايبيداورس يقصده المرضى باعتباره ابن الاله ابوللو، من المرأة كورونيس بعدما فاجأها ابوللو في الحمام^(٢).

وقد قال عنه ابوقراط «ان الله تعالى، رفعه اليه في الهواء في عمود من نور» وكانت الملوك من نسله تدعي النبوة^(٣). وكان اسقلابيوس تلميذ هرمس الذي يسمى عند العرب ادريس، وعند العبرانيين اخنوخ ومولده بمدينة منف بمصر.. وهناك ثلاثة يحملون اسم هرمس أحدهم في فارس والثاني في بابل، والثالث في مصر والشام وهم في الغالب شخص واحد^(٤).

وكان عصر اسقلابيوس الذهبي في القرن الرابع والخامس ق.م. وقد استمرت المعابد والهياكل اليونانية تقدم الطب والشفاء لكثير من المرضى إلى عصور متأخرة، وانشئ العديد من معابد اسقلابيوس في المدن اليونانية المختلفة.

وكانت القفزة الكبرى في الطب اليوناني عندما وضع القمايون عام ٥٠٠ ق.م في كروتون كتاباته عن الملاحظة والتجربة والفرضية والنتيجة^(٥) ونظرية التجانس بين الاضداد وقال: ان «الصحة هي حالة تناسق أو انسجام بين عناصر الجسم المختلفة، وان المرض يحدث بطغيان عنصر على العناصر الاخرى، وان الشفاء هو الانتقال مرة اخرى

من حالة الاضطراب الى حالة الانسجام».

وكان ابوقراط متمكنا من العلوم الطبيعية فأدخل الطب في اطار علمي مستعملا الفحص الاكلينيكي والاستنتاج المنطقي. وكانت اهم مبادئ علاجه^(٦):

اولا: - مبدأ الحيوية: يعتقد أبوقراط ان هناك عنصراً خاصاً غير مادي يحيا به الجسد هو النفس Psyche وهو بمثابة نسيم عابر ينقرض بانقراض الجسد وهذا المبدأ الحيوي للآراء الروحية السائدة في ذلك الزمن.

ثانيا: - مبدأ الاخلاط المبنى على الاعتقاد بان الاشياء مكونة من العناصر الاربعة الاساسية، الحار والبارد والرطب واليابس، فاذا كانت هذه الامزجة في تناسق وتحكم في الكيفية والكمية تتمتع الجسد بصحة جيدة. وهي Crasis اي الامتزاج، ولكن إذا زاد أحد الامزجة أو نقص أو امتنع عن الامتزاج بالعناصر الاخرى حدثت الامراض Dyscrasis واكثر الامراض ناجمة من ازدياد في البرودة أو الحرارة، وهناك تضامن وتماسك في اعضاء الجسم ووظائفه، فاذا مرض عضو اثر على الجسم كله.

ثالثا: - المبدأ الطبيعى أي محاكاة الطبيعة في المعالجة: لقد تحقق لابي قراط بالملاحظة ان هناك طبائع لا تتغير، ذات صفات ثابتة، ولكل مرض تطور طبيعى ونضوج محدود السير والمصير، وهذا المبدأ يشرف على جميع الوظائف الحيوية، ويقاوم العوامل الهدامة للجسم، وعلى الطبيب ان يساعد الطبيعة لكي تقوم بعملها، فلا بد له ان يعرف البهران أو الخوفة Crisis وهي النقطة الفاصلة في المرض التي تؤذن بالاتجاه نحو التحسن، أو التفاقم وان يعرف الايام الحاسمة. فالقوة الطبيعية الشافية، هي حجر الزاوية في الطب الابوقراطي.

ولنظرية الاخلاط مقدمات فلسفية تنطلق من نظرية الارقام لفيثاغورس وانباذقليس، الذي حدد العناصر الاربعة قبل ابوقراط، وهي الماء والهواء والارض والنار. ونحن نجد تحديداً للاخلاط الاربعة في الطب المصري القديم فعندهم الاوخذو: الغائط وستي هي المخاط والبلغم ورووث وهي الصفراء.

وعرف السومريون ٤٠٠٠ ق.م. ثلاثة عناصر هي الدم. العنصر الاساسي - ثم

الماء والنار.. عرف الصينيون خمسة عناصر هي الخشب والنار والارض، المعادن والماء ولها اتصال بالجهات الخمسة، والحواس الخمسة، والالوان الخمسة، والطعوم الخمسة: حامض، مر، حلو، ملح والقابض.

ولكن ابوقراط أدخلها في نظريات فيتاغورس وزينون، وقد ولد ابوقراط في جزيرة قبرص من نسل اسقلابيوس في القرن الخامس ق.م. وكان أهم اعماله انه خلص الطب اليوناني من الخرافات والشعوذة، وهو أول من انشأ مستشفى في اليونان إلى جانب بيته سماه (اخسندوكين) أي مجمع المرضى^(٧). وهو أول من ألف كتاباً طبياً من اليونانيين واعتبر الطب علماً مستقلاً اذ قال «الطب قياس وتجربة»^(٨). ووضع الاسس اليونانية لمهنة الطب، وقسم الطبيب، ومواصفات الطبيب وقد درس ابوقراط في منف بمصر وتلقى العلوم المصرية الطبية التي كانت تحتفظ بتراث الاف السنين.

وقد انشئت مدارس لتعليم الطب بعد ان قضى ابوقراط على احتكار عائلة الاسقلابيوس للمهنة، فأنشئت مدارس في قوص واثينا وكنيدس وقد انتعشت العلوم في اليونان بعد حروب الاسكندر المقدوني ٣٥٦-٣٢٣ فقد تم نقل العلوم من البابلية والمصرية والفارسية.

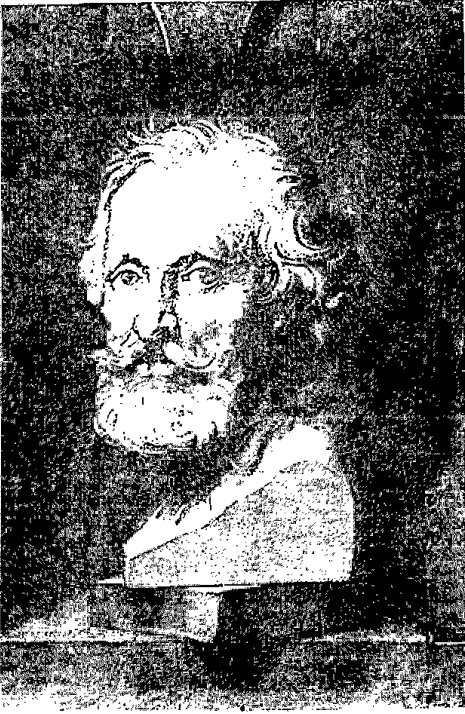
ونبغ من اطباء هيروفيلوس^(٩) في الاسكندرية ٣٠٠ ق.م. الذي عمل في تشريح الدماغ والجهاز العصبي وفرق بين الاعصاب الحركية والحسية وشرح العين والامعاء والاعضاء التناسلية، وعرف التخصصات في الطب مثل الجراحة والصيدلة والنسائية، وهو أول من عد النبض بساعة مائية والذي لا شك فيه انه اطلع على التشريح المصري والتخصصات المصرية، وقد عرف المصريون النبض قبله بألفي سنة. وظهرت عدة مدارس بعد هيروفيلوس أهمها التجريبيون الذين تجردوا من كل تعاليم الطب الفلسفي أو التأملي وأعلنوا سيادة التجربة على أنها المصدر الوحيد لتعلم فنون الطب وقسموها إلى ثلاثة أركان، وهي الملاحظة الشخصية وملاحظة الغير والقياس. واشتهر بعد ذلك المعلم جالينوس الذي ولد في برغامون في آسيا الصغرى عام ١٣٠ م، والذي ألف ما يزيد عن ٤٠٠ مؤلف في الطب والصيدلة والتشريح وكان يجري تشريحه على الحيوان، فغلبت الصورة الحيوانية على جسم الانسان، وكان هذا تطور مهم في الطب اليوناني. وقد طور جالينوس الذي درس في الاسكندرية ومارس الطب في روما نظرية الاخلاط، وأضاف إليها تأثير الجر والفصول الاربعة.



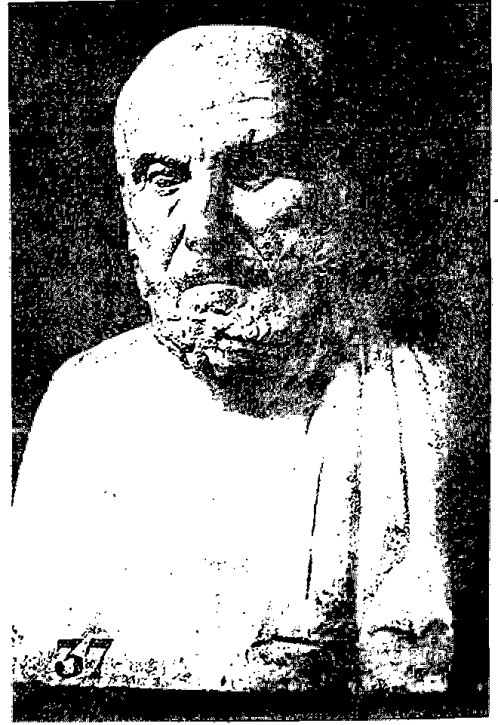
(شكل ٦) استقلابيوس اله الصب عند اليونان

وحدد جالينوس أسباب المرض بالمزاج المورث، وطريق اخراج الفائض من الاخلاط، والمناخ والبيئة بالاضافة إلى عادات الانسان وأفعاله وطريقته في الحياة. وقد وفق جالينوس بين الفلسفة المنتشرة في ذلك الوقت مع النظرة الغائية للكون التي ترى أن الطبيعة كلها حكمة، وأن كل جزء من الجسم خلق لغرض محدد سلفاً، وأن هناك علاقة بين السبب والغرض، وكانت نظريته التوحيدية إلى الكون والدين - مع انه مات ولم ينتصر - هي سبب تبني الكنيسة لآرائه وبالتالي خوف تابعيه من مخالفته^(١٠). وقد تبني نظرياته أيضاً الاطباء العرب مثل ابن سينا وغيره، بالرغم من النقد الذي بدأ يوجه إلى معلوماته التشريحية والطبية.

وكان أهم اختراعاته هو الترياق الذي ظل حتى القرون الوسطى مثار جدل وقد ترجمت معظم كتبه إلى العربية ثم إلى اللاتينية، وقد فصلها ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء في طبقات الاطباء. وقد تفرع الطب بعد جالينوس إلى مدرستين مدرسة بيزنطة وقد اخضعت الطب للمفاهيم الدينية للكنيسة. ومدرسة الاسكندرية والتي تخرج منها جالينوس وارخميدس واقليدس. وظلت محافظة على اتجاهها العلمي حتى سيطرت عليها الكنيسة وقد تبع اليونان في حمل رسالة العلم والطب السريانين النساطرة الذين هربوا من تعسف الكنيسة في بيزنطة ودخلوا في خدمة داريوس ملك فارس فأسس لهم مدرسة في جند يسابور وهناك تخرج الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب في عهد الرسول، ومن هناك أيضاً انتقل العلم إلى العباسيين حيث ترجمت الكتب إلى العربية منذ أيام الامويين وبعدها انتقل العلماء والاطباء إلى بغداد بناء على رغبة الخلفاء العباسيين.



(شكل ٨) جالينوس طبيب الرومان



(شكل ٧) ابو قراط: ابو الطب اليوناني

مراجع الفصل الرابع:

- ١ - ديترش توتسكه DICTRICH TUTZKE GESCHISHT E DER MEDIZIN PAGE 13 BERLIN - D.D.R.1983.
- ٢ - ديتلف روستر DETLEF RUSTER ALTE CHIRURGIE page 52 Verlag volkund Gesundheit, Berlin 1985.
- ٣ - ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٤، منشورات دار الحياة - بيروت.
- ٤ - ابن ابي اصيبعة - المصدر نفسه ص ٣١٩ .
- ٥ - ديتلف روستر - مصدر سبق ذكره ALTE CHIRURGIE page 59.
- ٦ - موجز تاريخ الصيدلة لموجز من تاريخ الطب والصيدلة العرب.
- ٧ - ابن ابي اصيبعة - مصدر سبق ذكره ص ٤٧ .
- ٨ - ابن ابي اصيبعة - مصدر سبق ذكره ص ٤٩ .
- ٩ - ديترش توتسكه GESHISCHE TE DERMEDIZIN page 26.
- ١٠ - د. غليونجي. ابن النفيس ص ٣٨، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٣ .

الفصل الخامس

الطب في الجزيرة العربية

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الخامس الطب في الجزيرة العربية

تقع شبه الجزيرة العربية في الجنوب الغربي من آسيا، تحدها من الشمال منطقة الهلال الخصيب، ومن الجنوب بحر العرب، ومن الشرق الخليج العربي، ومن الغرب البحر الاحمر، وهي تتصل جيولوجيا بالعراق وبلاد الشام وقد كانت في العصر الجليدي مروجاً خضراء، أهلة بالسكان، وقد ازدهرت في هذه البلاد حضارات شتى: في اليمن وحضرموت والخليج العربي والحجاز وعسير. وسكن هذه المنطقة مجموعة بشرية عاشت منذ اقدم الازمنة التاريخية. لها سمات حضارية مشتركة، وإن اختلف الاصل الانثولوجي. وانطلقت من هذه البلاد هجرات متعددة إلى محيطها في بلاد الشام والعراق ومصر.

وكانت الهجرة الاولى ٥٠٠٠ ق.م. والثانية ٣٠٠٠ ق.م. والثالثة ٢٠٠٠ ق.م. (ومن المعلوم يقينا ان الذين نشأ منهم مينا وهو أول من عرف من ملوك المملكة المصرية المتحدة قبل ٣٥ قرناً ق.م. من الساميين وانهم دخلوا مصر ومعهم حضارة أرقى مما كان في مصر وهم الذين جاؤوا بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية)^(١).

وتحكي الآثار المصرية عن وجود علاقة تجارية وثيقة ومزدهرة بين مصر وموانئ البحر الاحمر في القرن الثلاثين قبل الميلاد، وعن ارسال بعثة خاصة لاحضار الصمغ ذي الرائحة الزكية والحجارة النفيسة^(٢).

وتطورت الحياة في الجزيرة العربية وقامت الدول بتنظيم الري الدائم وبناء السدود، وأول دولة معروفة في اليمن هي دولة المعينيين قبل ألفي سنة قبل الميلاد. ثم تتابعت الدول السبئية والقتبانية وغيرها كثير في اليمن وحضرموت ثم في الخليج العربي. وكان سد مأرب الذي شيد في القرن الثامن ق.م. وانهار حوالي القرن السادس اشهر هذه السدود^(٣). وسبب آخر هجرة عربية من الجزيرة قبل الاسلام. وقد شهدت الجزيرة العربية نهضة حضارية حيث كانت جميع الطرق التجارية في العالم القديم تمر في اليمن وموانئها

مثل مخا وعدن في الجنوب أو في البتراء وتدمر في الشمال.

وقد شيدت القصور الفخمة وبلغ نظام الدولة درجة عالية من الاتقان والجودة فكان هناك نظام للضرائب والري والأسعار. وما زال الكثير من آثار المنطقة غير مكتشف حتى الآن، ذلك ان معلوماتنا غير كافية لتعطي صورة واضحة عن جميع المرافق الحياتية وخاصة الناحية الطبية. ولكن علاقات الجزيرة العربية التجارية الواسعة وخاصة مع العراق ومصر تشير الى أن المعلومات الطبية المتداولة في ذلك الوقت لم تكن أقل من ذلك المستوى الذي وصلنا منه بعض الألواح الطبية من العراق وبعض أوراق البردي من مصر، وفي ذلك المستوى من الحياة الاقتصادية والاجتماعية حيث شق التخصص طريقه ونشأت كذلك مهنة الطب والجراحة، إلى جانب الطب اللاهوتي، وانتشار التعاويذ والرقى من قبل العرافين والكهنة، يقول ابن أبي أصيبعة «ان ادريس عليه السلام أول من درس الكتب ونظر في العلوم وانزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خاط الثياب ولبسها ورفع الله مكانا عليا»^(٤) وهو الذي علم (اسقلايوس) اله الطب عند اليونانيين، وقد عرف عرب الجزيرة الختان. فكان في كل معبد مختن أي مذبح، تقدم عليه الضحايا وهذا بداية الختان ويقول الالوسي في بلوغ الارب^(٥).

«كان للعرب حظ وافر من معرفة الطب المبني في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض الا انه ليس على قانون طبيعي، ولا على موافقة المزاج بعقاقير وادوية من نباتات واغذية يحصل لغالبهم البرء باستعمالها وفي عرب البوادي اليوم الكثير من ذلك، وقد سمعنا عنهم في هذا الباب عجائب نقلها من شاهدها من الثقافات، وكذلك من معالجة الجروح والعاهات، وقسم منهم يعالجون، دواءهم الكمي، فيحصل لهم البرء مما يشكون باقل زمن وايسر وقت.. وقد كان في الجاهلية من العرب اطباء موسومون بالخذاقة، موصوفون بالرئاسة في الفن غير من كان منهم في اليمن وعند التبابعة فان هؤلاء لا يمكن حصرهم».

وقد ورد ذكر الكثير من الاطباء قبل الاسلام وفي وقت الدعوة مثل الحارث بن كلدة الثقفي الذي تلقى علومه في فارس واليمن، وله محاوراة مشهورة مع كسرى^(٦). وابنه النضر بن الحارث الثقفي، ابن خالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والذي تعلم

الطب من ابيه وسافر في البلاد مثله وقد قتل في غزوة بدر مشركاً. ثم زهير بن جناب الحميري وزينب الاودية من بني اود - والشمر دل بن قباب الكعبي النجراني وابن حذيم من تيم الرباب وحماد بن ثعلبة الازدي وعبدالله ابجر الكنانى الذي كان يعلم الطب في الاسكندرية ثم في انطاكية وحران ورفادة الاسلامية. وام عطية الانصارية التي عاشت في عصر النبي (ص) واشتهرت بالجراحة وكانت تداوي جرحى المسلمين وتقوم على مرضاهم. وكذلك رفادة التي امرها النبي (ص) بمداواة سعد بن معاذ الذي اصابه سهم في الاكحل في موقعة الخندق. واشتهرت زينب الاودية بالجراحة ومداواة امراض العين ومما ذكر عن ابن ابي رميثة انه كان يزاول اعمال اليد وصناعة الجراح وعاش ايضا في حياة النبي محمد (ص).

وقد عرف العرب الكثير من الامراض الباطنية والامراض الجلدية والاورام ويذكر الالوسي في «بلوغ الارب في معرفة احوال العرب» الكثير من الامراض والتي ما زال الكثير منها يحتفظ باسمه كاليرقان والبهاق والحصبة والجدرى والناصور والباسور والمغص والاستسقاء والثؤلول وحصى الكلى وغيرها كثير، كما عرفوا بط الجروح والحجامة (التشطيب السطحي) والفصد (الجرح العميق) والكى بالنار. كما عرفوا الكثير من النباتات والاعشاب الطبية المحلية والمستوردة والاملاح الطبية وعرفوا نظرية الاخلاط اليونانية التي تقول ان هناك اربعة اخلاط تكون العناصر الاساسية في جسم الانسان. وان في توازن هذه الاخلاط القيمة وفي انحراف توازنها وعدم توافقها تحدث الامراض وهذه الاخلاط هي أجسام سيالة يتحول الغذاء اليها وهي الدم الذي يأتي من القلب والبلغم الذي يأتي من الدماغ، والصفراء التي تأتي من المرارة ويوزعها الكبد والسوداء وتأتي من الطحال والمعدة.

ولعل هذه الاخلاط الاربعة كانت معروفة في الجزيرة العربية ايضا كما ذكر انها كانت معروفة في مصر القديمة.

فقد ذكر الغائط - أوخدو - وستيت - بلغم - مرزروت - الصفراء والدم ايضا. كعوامل للمرض وان لم تذكر مكونات أساسية لتوازن الجسم. وقد جاءت المعلومات الطبية في الاسلام لتشكّل قفزة في تراث المعلومات الطبية المتوافرة وارتكزت على عدة نقاط:

١ - معلومات اساسية عن خلق وتطور الانسان ووظائف الاعضاء «انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج» سورة الانسان / ٢ . «يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث، فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء إلى اجل مسمى» سورة الحج / ٥ .

٢ - تعزيز الطب اللاهوتي وقد تحولت النظرية من عبادة الاوثان والآلهة المختلفة إلى عبادة الله وحده، وتحول الناس في طلباتهم وخوفهم من هذه الالهة الى الله. «واذكر ايوب إذ نادى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب» «فاستجبنا له فكشفنا ما به ضرر، وأتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكري للعابدين» سورة الانبياء / ٨٤ . وقد وردت في الاحاديث عن الرقي في علاج الجروح واللدغات المختلفة والالام وفي الحديث ان رسول الله (ص) قال «خير الدواء القرآن»^(٧).

٣ - تعليمات وقائية تبدأ من الوضوء والصيام والحث على الاعتدال قال تعالى «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا» سورة الاعراب / ٣١ . وقال رسول الله (ص) «إذا شرب الكلب في اناء احدكم فليغسله سبعة»^(٨) وقال رسول (ص) «إذا سمعتم بالطاعون وانتم بارض فلا تدخلوها وإذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها». وفي كتاب الطب النبوي لابن تيمم الجوزية تفصيل لكثير من التوجيهات الصحية للعيش السليم والوقاية من الامراض.

٤ - الحض على التداوي اذ قال رسول الله (ص) «يا عباد الله ان الله خلق الداء والدواء فتداؤوا عباد الله» وقد مرض رجل على عهد النبي (ص) فقال صلى الله عليه وسلم «ادع له الطبيب» قالوا يا رسول الله تعني الطبيب؟ قال نعم^(٩) وقال (ص) «العلم علما - علم الاديان وعلم الابدان».

والاحاديث النبوية المتعلقة بالصحة على كثرتها فانها ليست توجيهات ربانية كما يقول ابن خلدون. «فانه انما بعث العلم ليعلم الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العادات وقد وقع له في شأن التلقيح ما وقع فقال «أنتم اعلم بأمر دنياكم» فلا ينبغي ان يحمل شيء من الطب الذي وقع في الاحاديث النبوية على انه مشروع فليس هناك ما يدل عليه، اللهم الا اذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الايجابي فيكون له اثر

عظيم النفع ليس ذلك في الطب المزاجي، وإنما هو من آثار الكلمة الايمانية، كما وقع في مداواة البطون بالعسل. والله الهادي الى الصواب لا رب سواه»^(١٠). وقد قفز العرب قفزة نوعية بعد استقرار الحكم لهم في العالم القديم فنقلوا كل المعارف الموجودة لدى الشعوب المحكومة وغير المحكومة كالرومان واليونان «واستقى العرب الطب من منبعين احدهما شربوا منه محليا في البلاد التي فتحوها مثل الاسكندرية وانطاكية وحران والثاني وردت اليهم مياهه كما ينساب النهر من سيل النساطرة الهاريين من اضطهاد بيزنطة وغيرهم من العلماء بعد ان اغلقت مدرسة حران ٤٨١ م ومدرسة اثينا ٥٢٨»^(١١).

وامر الخليفة عمر بن عبدالعزيز بنقل المدرسة الطبية من الاسكندرية إلى انطاكية عام ٧١٨ م وظلت حتى عام ٨٣٢ حيث انتقلت إلى حران في عهد المتوكل.

مراجع الفصل الخامس:-

- ١ - محمد عزة دروزه «تاريخ الجنس العربي» الجزء الاول ص ٢٦ .
- ٢ - محمد عزة دروزه - المصدر نفسه ص ٣٦ .
- ٣ - جرجي زيدان «العرب قبل الاسلام» ص ١٦١ .
- ٤ - ابن ابي اصيبعة «عيون الانباء في طبقات الاطباء» ص ٣٢ .
- ٥ - محمود شكري الالوسي «بلوغ الارب في معرفة اخبار العرب» ص ٣٢٧ .
- ٦ - ابن ابي اصيبعة - عيون الانباء في طبقات الاطباء - مصدر سبق ذكره.
- ٧ - ابن تيمم الجوزية «الطب النبوي». توزع دار الكتب السلفية - القاهرة.
- ٨ - د. السيد الجميلي «الاعجاز الطبي في القرآن» ص ٢٦٧ دار مكتبة الهلال - بيروت.
- ٩ - د. السيد الجميلي - الاعجاز الطبي في القرآن - المصدر نفسه. الطبعة الثانية ١٩٨٥ .
- ١٠ - د. علي عبد الله الدفاع «اسهام علماء الطب والمسلمين في الصيدلة» ص ٣٢ .
- ١١ - د. بول غليونجي «ابن النفيس» ص ٤٧ .

الفصل السادس

الجراحة عند العرب

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السادس مقدمة الجراحة عند العرب

كانت المعلومات الجراحية منتشرة عند العرب منذ القدم، وعرف من الجراحة الكي والفصد والحجامة، بالإضافة إلى تجبير الكسور، ولم تكن هذه الأمور تجري من قبل الطبيب، وإنما غالباً من الحلاق وذوي الخبرة، فقد ورث العرب احتقار الجراحة من اليونان إذ أن ترجمة كلمة XEIRO ERGOS، اليد = XEIRO، العمل = ERGOS اليونانية أي الجراحة تعني بالترجمة الحرفية صناعة اليد، كما ورث العرب الخوف من اجراء العمليات الجراحية، لما في ذلك خطر على الحياة التي تعاقب بقانون حمورابي العين بالعين والسن بالسن، واعتبر الطب نوعاً من الفلسفة من نتاج العقل وهو أعلى منزلة من اليد.

وقد عبر ابن سينا عن رأيه في الجراحة فحقرها وقال «انها من الصناعات اليدوية وانها لا تستحق ان ترفع إلى مقام الطب»^(١) بالرغم من انه مارسها ووصف الكثير من العمليات في كتبه. وإذا كان العرب قد ترجموا العلوم اليونانية والفارسية والهندية القديمة فانهم لم يقفوا عند احترام هذه المعلومات فحسب، بل انهم مع مرور الوقت ومع تراكم المعلومات والخبرة قد كونوا افكاراً جديدة، ودفعوا بالعلوم الى مستويات جديدة.

وكانت المعلومات التشريحية والطبية المكتسبة قد ساهمت إلى حد كبير في معرفة جسم الانسان وطريقة عمله، كما ان الحروب واستمرارها طوال الفترة قد راكم الكثير من الخبرة الجراحية والطبية أيضاً، وكانت اول كتابة ظهرت بموضوع الجراحة فاطهر في مؤلف علي ابن ربن الطبري «فردوس الحكمة» وهو جزء قليل ثم جاء الرازي الذي سمي جالينوس العرب (٩٢٥ - ٨٥٦). فخصص جزئين من كتابه «الحاوي» المكون من اثنين وعشرين مجلداً للجراحة وامراض المسالك البولية والتناسلية، والسفر الحادي عشر يختص بالجراحة في علاج الرض والفسخ الذي ينشق منه داخلا، وعلاج القروح، وفي اعضاء التناسل والمقعدة، وفي جراحات العصب والعضل والوتر والاربطة، وفي علاج رض العصب، وفي خياطة جراحة البطن والمراق والامعاء والقرحة أو في الثرب والقرحة التي الى جانب الشريان، وفي ادمال الجروح، وفي تولد العروق، وفي عسر التام

الجراحات وسهولتها حسب الاعضاء، وفي جراحات الدماغ والجراحات الحادثة من داخل الاذن وفي قواعد علاج القروح الباطنية، ونزف الدم من باطن البوق وفي نزف الدم الكائن عن نسخ العروق أو فتحها.

كما خصص الرازي المقالة السابعة من كتابه «المنصوري» للجراحة في تسعة عشر فصلاً، وللرازي ابداعات في الجراحة نذكر منها القصة المعروفة في اختيار موقع المستشفى في بغداد، إذ علق اللحم في عدة مواقع في المدينة واختار المكان الذي كان اللحم فيه في أحسن حال بعد ثلاثة أيام. والرازي هو أول من استعمل امعاء الحيوانات في خياطة الجروح الداخلية وما زال الاسم المستعمل هو Cat gut أي مصران القطعة.

وقد اكتشف الرازي الكثير من المعلومات في كتب جالينوس التي لا تتوافق مع خبرته فكتب كتاب «الشكوك على جالينوس»^(٢).

كما استعمل الرازي القساطير للمجاري البولية وادخل عليها الفتحات الجانبية حتى لا تسد الدم أو الصديد^(٣)، وكان الرازي أول طبيب عمد إلى استخدام الكحول في الاغراض الطبية.

ثم جاء الجوسي (٩٨٤م) وألف كتابه (المالكي) في عشرين جزءاً، فخصص الجزء الثاني والثالث للتشريح والباقي للجراحة^(٤)، وشرح عملية الشق العجاني على الحصة وتكلم عن مداواة السرطان، وداء الخنازير، وورم اللوزتين، وقطع الاطراف الفاسدة كما اشاد بالجراحة في علاج مرض الاظافر^(٥).

ولا شك ان الزهراوي (١٠١٣ - ٩١٢م) هو المبدع العربي الاكبر في الجراحة وقد قال S.P.Scott عنه «ان أبو القاسم هو منشئ الجراحة الحديثة» ووضعه جاي دي شوليك جراح القرن الرابع عشر إلى جانب ابوقراط وجالينوس^(٦).

خصص المقالة الثلاثين للجراحة والالات الجراحية التي استعملها وكان بهذا أول كتاب مصور للجراحة وشرح فيه العمليات الجراحية وكيفية اجرائها.

اما الباب الاول فيتكلم فيه عن الكي وهو مقسم إلى ٥١ فصلاً^(٧).

والباب الثاني يختص بالشق والبطن والفصد وسائر العمليات الجراحية، وبه جزء عن امراض النساء والولادة والعيون والانف والحلق وهو مقسم إلى مئة فصل.

والباب الثالث يختص بالكسور والخلع وهو مقسم إلى ٣٥ فصلاً، ويقول في المقالة العاشرة في قسم من كتابه العلمي العمل باليد الصناعة الطبية «كما اكملت لكم في باي هذا الكتاب الذي هو جزء العلم في الطب بكماله، وبلغت فيه من وضوحه وبنائه، رأيت ان اكمله لكم بهذه المقالة التي هي جزء العمل باليد، لان العمل باليد خسة في بلادنا، وفي زماننا معدم البتة حتى كاد يدرس علمه وينقطع اثره». ثم قال «واري صور وحدايد الكي وسائر آلات العمل باليد مع زيادة البيان، ومن وكثير ما يحتاج اليه»^(٨).

وكان الزهراوي أول من أجرى عملية استئصال الغدة الدرقية عام ٩٥٢ م. كعلاج لتضخم الغدة^(٩). كما كان أول من أجرى عملية استئصال اللوزتين واختراع الآلات اللازمة لذلك، ولإزالة الاجسام الغريبة من الحنجرة. «لقد اوصى أبو القاسم الزهراوي جراح الاسلام في كل العمليات الجراحية في النصف السفلي من الانسان، ان يرفع الحوض والارجل قبل كل شيء وهذه طريقة اقتبسها ترندلنبرغ TRENDELENBURG ولكن مع شديد الاسف لم يذكروا افضال الجراح العربي العظيم، وعنه اخذوا أيضا طريقة فتح رباط الجبس في الكسور المفتوحة وامد الجراحين وأطباء العيون والاسنان الاوروبيين بالآلات اللازمة للعمليات»^(١٠).

ووصف الزهراوي النزيف داخل الجمجمة وخارجها واصابات الرأس، ووصف آلات جديدة لفتح الجمجمة^(١١)، وشرح الزهراوي شق المثانة كما ادخل طريقة جديدة لإخراج الحصى من الحالب وذلك بادخال لولب من خلال المجاري البولية الى ما فوق الحصى ثم اخراجها بتكسير الحصى، ووصف الزهراوي اهمية وضع الانابيب DRAINS بعد فتح الدمايل ووصف فتق السرة كما شرح عملية الفتق الأربي القرية من العملية الحديثة وتحدث عن وقف النزيف بالضغط او بالربط او بالكي.

ويتكلم عن استئصال السرطان «في الثدي والفخذ ونحوها من الاعضاء الممكنة اخراجه منها بجملته لاسيما اذا كان مبتدئاً صغيراً فافعل، واما من ورم وكان عظيماً فلا ينبغي ان تقربه فاني ما استطعت ان ابريء منه احداً ولا رأيت قبلي من وصل إلى ذلك

الحد والعمل إذا كان متمكناً»^(١٢).

ويصف علاج الاستسقاء بالادوية والشق Paracentesis ويصف مكان الشق فوق العانة إلى جانب السرة كما عالج الادرة المائية Hydrocele والـ Spermatocoele وفرق بينهما كما وصف Varicocele وعلاجها الجراحي، ويصف الغرغرين بشكل جيد وينصح باجراء البتر واستعمال الكي، ويصف جراحة الدوالي وسحب الاوردة Stripping وهو أول جراح يصف هذه الطريقة.

وتقول زيجريد هونكه «ان الزهراوي جراح العرب والمسلمين قد قدم اراء مبتكرة في حقل الجراحة ومن أهمها تعقيم الجروح وضرورة تشريح الاجسام بعد الموت لمعرفة سبب الوفاة كي يتسنى الاستفادة من المعلومات والنتائج التي تحصل عليها في الاحوال المماثلة»^(١٣). وفي نفس الوقت الذي كان الزهراوي يحمل راية الطب والجراحة في الاندلس كان أبن سينا يصنع اسطورة اخرى في المشرق ويضع القانون في الطب ليكون أعظم كتاب وضع في الطب والجراحة عبر العصور (٩٨٠ - ١٠٣٧ م).

- شمل ترتيباً وتنظيماً للمعلومات التشريحية المقتبسة عن جالينوس وابوقراط وآراءه فيها.
- ربط الطب بالفلسفة والمنطق.
- وصف الكثير من العمليات مثلاً جراحة الاعصاب والبواسير والكسور وشق المثانة واستعمال القساطر وعلاج الكسور.

وصف أبن سينا جراحة الاحشاء بدقة إذ يقول «واصلح الاشكال والنصب للمريض ان كانت الجراحة متجهة إلى الناحية السفلى فالشكل والنصبه إلى فوق وان كانت الجراحة متجهة إلى فوق فالشكل والنصبه المتجهة إلى اسفل، وليكن غرضك الذي تقصده في الامرين جميعاً ان لاتقع سائر الامعاء على المعى الذي برز فتنقله، وان فعلت هذا أو جعلته غرضك علمت انه ان كانت الجراحة في الشق الايمن فينبغي ان ياخذ المريض بالميل الى الشق الايسر وان كانت في الايسر اخذته بالميل إلى الايمن، ويكون قصدك دائماً ان تجعل الناحية التي فيها الجراحة ارفع من الناحية الاخرى، فإن هذا أمر يعم جميع الجراحات واما حفظ الامعاء في مواضعها التي لها خاصية بعد ان ترد إلى البطن إذا

كانت الجراحة عظيمة فتحتاج إلى خادماً جذلاً، وذلك انه ينبغي ان يمسك موضع تلك الجراحة كله بيده من خارج فيضمه ويجمعه ويكشف فيه شيئاً بعد شيء للمتولي خياطتها^(١٤).

ووصف استئصال اللوزتين ودافع الجراحة وعواقبها. ونبغ في الجراحة أيضاً الفيلسوف أبْنُ رَشْدِ المتوفي عام ١١٩٩ م. الذي قال ان معرفة الانسان بالتشريح يقربه إلى الله، وكذلك أبْنُ زَهْر (١١١٣ - ١١٦٢) والذي كان أول من فرق بين قرحة المعدة وسرطان المعدة^(١٥). كما وصف خراج الحيزوم Mediastinal abcess كما وصف عملية شق الحنجرة وكان أول من ادخل التغذية بواسطة انبوب إلى المعدة، كما أوصى بتغذية المرضى عن طريق الشرج في حالة ضيق المريء.

ويأتي بعد ذلك الطبيب والجراح العربي أبو الفرج أبْنُ القَفِّ ١٢٣٣-١٢٨٦ م. فكان آخر العمالقة الذين اضافوا وابدعوا في الجراحة ولعل أول ابداع هو ادخال كلمة جراحة بدل صناعة اليد وجراح أو جرائحي للجراح فسمى كتابه «العمدة في الجراحة» وكان مخصصاً للجراحين وكيفية ممارسة المهنة، ويقول في مقدمة كتابه، «وبعد فقد شكنا لي بعض جراحيه زماننا قلة اهتمام ارباب هذا الفن بامر هذه الصناعة وان واحدا منهم لم يعرف سوى تركيب بعض المراهم واطافة مفرداتها بعضها إلى بعض وانه لو سألناه سائل ما هذا المرض الذي تعالجه وما سببه ولم تدأويه بهذه المداوة وما قوة كل واحد من مفرداتها وما الفائدة في تركيب هذه المفردات ولم لاتستعمل هي بمفردها لم يكن عنده ما يجيبه عن ذلك سوى انه يقول رأيت معلمي وهو يستعملها في مثل هذه الصورة فاستعملتها. ثم قال وهذا خطأ زائد لما عرفت من تركيب الامراض والاسباب والاعراض وانه لا بد للمعالج من معرفة ما يعالجه، ثم اعتذر بانه ليس لهم كتاب يرجعون اليه في هذا الفن بحيث ان يكون جامعاً لما يحتاج اليه صاحب هذه الصناعة ثم سألتني سؤالاً كثيراً ان اصنف له كتاباً في ذلك وان اذكر اولاً هذه الصناعة ثم اذكر ما يحتاج اليه من الامور الطبيعية التي هي مبادئ الصناعة، واذكر علامة غلبة مادة ما الموجبة للاورام التي هي مطالب صناعته ثم اذكر كيفية حدوث تلك الاورام ثم تقاسيمها على سبيل التفصيل»^(١٦).

أي انه أول كتاب مخصص للجراحة ثم يحدد معنى الجراحة في المقالة الاولى في حد الجراحة «الجراحة ينظر بها في تعريف احوال بدن الانسان من جهة ما يعرض بمظاهره من أنواع التفرق في مواضع مخصوصه وما يلزمه وغايتها المادة العضو إلى الحالة الطبيعية الخاصة به» (١٧).

ثم يقول «واعلم ان هذه الصناعة لها مطالب ومبادئ، فمبادئها الاخلاط والاعضاء من الامور الطبيعية، الناظر فيها الطبائي والمطالب معرفة الاورام والقروح وأنواع التفرق الحاصل في الاعضاء الظاهرة». وتحدث عما يجب ان يعرف الجراح «يجب على الجرائحي قبل معالجة العضو ان ينظر في امور اربعة مزاجه، ووصفه ما جوهره، ورتبته في الحس، اما مزاجه الطبيعي فانه متى عرفته عرفت كيفية الدواء المستعمل في المداواة لان المداواة بالضد على ما عرف في علم الطبيعة واما جوهره ما علم ان من الاعضاء ما هو مجوف ومنها ما هو مصمت ومنها ما هو متخلخل ومنها ما هو متكاثف».

ثم يتحدث عن أنواع التفرق وهي ثلاثة: طبيعي كفتح الطبيعة للخراجات وارادي كفتحها بالحديد وغيره، وفصد العروق والحجامة، وغير طبيعي كالشجات وضرب السيف والسهم (١٨).

ويتحدث في مرة اخرى عن التفرق على انه نوعان: بسيط ومركب، والمراد بالبسيط ان لا يكون قد ذهب من جوهر العضو شيء والمركب هو ان يكون قد ذهب منه شيء والاوّل له علاج عام وعلاج خاص والعام قد حصره الاطباء في أربعة أنواع احدها جمع ما قد تفرق وذلك لان الغرض من علاجه عود العضو إلى اتصاله الاوّل وتارة يكون بالخياطة وتارة يكون بان يجعل شفتي الجراحة في فم شيء من الحيوان كما يعمل بالنمل الطائر، فانه يفتح فاه ويلقم بشيء من اجزاء التراب عند تفرق اتصاله ثم يقص رأس النمل ويترك على ما هو عليه ويبقى فمه مطبقاً وتارة يكون بالعصب. ولا شك ان هذه طريقة مبتكرة تستعمل في ايامنا هذه بالملاقط.

كما يتحدث عن ضرورة النظافة «ان يحترز من وقوع شيء بين شفتي الجراحة فانه يمنع التقائهما وذلك الشيء اما شعر أو دهن وأما غبار».

واما الوضع فالوضع عند الطبيب امرين موضع العضو نفسه ومشاركته كما يشاركه من الاعضاء (التشريحي الطبوغرافي) Topographic Anatomy ويتحدث في المقالة الثانية عن امزجة الاعضاء وفي تشريح الاعضاء البسيطة المقالة الثالثة في ذكر تشريح الاعضاء المركبة، ويخصص المقالة الرابعة في ما يجب على الجراح ان يعرفه من انواع المرض وتعريف الورم وكيفية حدوثه، ويتحدث عن امراض الصفراء والسوداء والبلغم، ثم يتحدث في امراض الكسور والخلع، وفي الجزء الثاني يتحدث عن العلاج الجراحي لكل من الامراض والكسور والكلي والعلاج بالحديد، وافرد المقالة العشرين للاقرباذين وتنقسم إلى احد عشر فصلاً.

وقد عرف العرب ايضا تسكين الالام والتخدير في الجراحة وقد عرف العرب الاسفنجة المخدرة تقول زيجريد هونكة «وكانت توضع هذه الاسفنجة المخدرة مع عصير من الحشيش والافيون والزؤان وست الحسن (هيوسيامين) ثم تجفف في الشمس، ولدى الاستعمال ترطب ثانية وتوضع على انف المريض فتمتص الانسجة المخاطية المواد المخدرة ويركن المريض الى نوم عميق يحمره من اوجاع العملية»^(١٩).

ويمكن اعتبار ابن العين زربي أول مؤلف عربي يطلق بطريقة علمية منظمة لفظه الجراحة ليعبر بها التعبير الصادق عن الصناعة الطبية وتخصصاتها بدلاً من استعمال اللفظة الحرفية واصطلاح العمل باليد أو بالحديد»^(٢٠).

ختاماً نستطيع ان نقرر ان العرب قد طوروا الطب والجراحة وقفزوا به إلى الامام ولم يكونوا مجرد ناقلين للعلوم اليونانية كما لم تكن العلوم اليونانية نقلاً للعلوم عن الشعوب القديمة فقط وانما تطورت أيضاً من خلاله كما هي طبيعة التراكم في التاريخ.

ولابد من القول في اثناء التكلم عن الجراحة، ان الجراحة كانت تتم في مستشفيات اسسها العرب ورصدوا لها مبالغ كبيرة واوقاف تحافظ على الصرف عليها وقد ادت هذه المستشفيات دورها في العلاج الطبي الجراحي كما ادت دورها في تعليم الطب للطباء الجدد وقد روعي في اختيار امكنة هذه المستشفيات ليس فقط الناحية السكانية والوظيفية بل ايضا ان تكون في مكان نظيف تخفف فيه الامراض وقصة الرازي في اختيار مكان للمستشفى في بغداد مشهورة ومذكورة في جميع كتب الطب القديم.

وتخبرنا الابحاث عن المستشفيات الاسلامية ان هذه المستشفيات كانت تتمتع بنظافة كبيرة سواء الاسرة أو الادوية. وتذكر كتب التاريخ ان أول مستشفى في الاسلام اقامه الوليد بن عبد الملك في دمشق، هذا وتعتبر خيمة رفيدة في غزوة الخندق أول مستشفى عسكري في الاسلام.

اما في الممارسة الجراحية فقد كانت النظافة هي اساس عمل الجراح فكان يستعمل الماء المغلي أو الخمر لتطهير الجرح أو الخل أو ماء العسل مما سيأتي ذكره في فصل لاحق.

ويمكننا ان نلخص أهم خصائص الجراحة عند العرب بما يلي:

- ١ - ان العرب اعتمدوا على معلومات تشريحية تفصيلية وفهم عصرهم لوظائف الاعضاء.
- ٢ - تطوير الكثير من التخصصات الفرعية للجراحة مثل جراحة البطن والعيون والاعصاب.
- ٣ - تطوير المبادئ العامة للجراحة ابتداء من التخدير والاهتمام بالنظافة واستعمال الكحول في التعقيم.
- ٤ - ابتكار الكثير من الالات الجراحية وخاصة في كتاب الزهراوي الذي ذكر اكثر من مئتي آلة جراحية.

مراجع الفصل السادس:

- ١- حنيفة الخطيب - الطب عند العرب، ص ٣٢، الاهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٦ .
- ٢- احمد عبد الحلي - وسيد وسيم احمد - الهند - الطب الاسلامي، اوراق المؤتمر الاول، الكويت ١٩٨١ ص ٩٠ Islamic Medicine Kuwait 1981.
- ٣- الموجز في تاريخ الطب عند العرب مجموعة من الاساتذة ص ٩٨ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جامعة الدول العربية - ادارة الثقافة.
- ٤- احمد عبد الحلي - الطب الاسلامي مصدر سبق ذكره ص ٩٠ Islamic Medicine.
- ٥- حنيفة الخطيب - الطب عند العرب مصدر سبق ذكره ص ٣٠ .
- ٦- احمد عبد الحلي - وسيد وسيم احمد - الهند - الطب الاسلامي، ص ٩٠ Islamic Medicine.
- ٧- حنيفة الخطيب - الطب عند العرب مصدر سبق ذكره ص ١٠٧ .
- ٨- حنيفة الخطيب - المصدر نفسه ص ٣١ عن آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب ص ٥٤ .
- ٩- احمد عبد الحلي - وسيد وسيم احمد - الطب الاسلامي مصدر سبق ذكره ص ٩١ .
- ١٠- زيجريد هونكه - شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٧٩ - ٢٨٠ علي عبد الله الدفاع - لمحات من تاريخ الطب عند المسلمين الاوائل.
- ١١- احمد عبد الحلي - الطب الاسلامي مصدر سبق ذكره ص ٩١ Islamic Medicine.
- ١٢- الموجز في تاريخ الطب عند العرب مصدر سبق ذكره ص ١١٩ .
- ١٣- علي عبد الله الدفاع - لمحات من تاريخ الطب عند المسلمين الاوائل ص ٦٦ .
- ١٤- أبين سينا - القانون في الطب ج ٣ ص ١٩٧٠ مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٧ .
- ١٥- احمد عبد الحلي - الطب الاسلامي مصدر سبق ذكره ص ٩١ .
- ١٦- أبين القف - العمدة في الجراحة، حيدر اباد ١٩٣٧ - ص ٣-٢ .
- ١٧- أبين القف - المصدر نفسه ص ٤ .
- ١٨- أبين القف - المصدر نفسه ص ٤ .
- ١٩- زيجريد هونكه - شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .
- ٢٠- د. سامي حمارنه تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب المسلمين ص ٣١٤ جامعة اليرموك ١٩٨٦ .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السابع

التشريح عند العرب

الفصل السابع التشريح عند العرب

إن تطور الطب يرتبط بتطور جميع الفروع التابعة لهذا العلم بدأ من التشريح وعلم وظائف الأعضاء وانتهاء بفروع التخصص المتفرعة عنه مثل الجراحة والأمراض الباطنية.

لقد عرفت الشعوب القديمة أيضا الكثير من المعلومات الجراحية التي ساعدتها في تكوين صورة بدت كافية عن جسم الإنسان والأمراض التي تصيبه. وقد ذكرت بردية ادوين سميث ٢٥٠٠ ق.م الكثير من المعلومات التشريحية نذكر منها العظام والترقوة والفك والمعدة والرئتين والطحال بالإضافة إلى تشريح الجمجمة والدماغ، وعرفت الام الجافية والسائل النخاعي، وذكر أربعة شرايين تمد الرأس بالغذاء منها، كما عرف الرحم واعتقد ان أعضاء الرحم متجولة في البطن^(١).

كما روى مانيتو الكاهن بمعبد هليوبوليس ٢٨٠٠ ق.م ان انوبيس أبن مينا موحد الشطرين ألف كتاباً طبية منها كتاب في التشريح^(٢).

وعرفت الغدة الدرقية كذلك، ولم تعرف الكليتين في بردية ادوين سميث وبالرغم ممارسة التحنيط في مصر في تلك الأزمنة إلا ان التشريح م يتطور أكثر من ذلك نظراً لان المحنطين كانوا طبقة وضعية من الكهنة الذين ليس لهم علاقة بالطب^(٣).

ولم يعرف عصر أبوقراط معلومات تشريحية وافية، وجاءت القفزة النوعية عند اليونان بعد احتلال مصر وبناء الاسكندرية في عهد الاسكندر المقدوني حيث نبغ هيروفيلوس حوالي ٣٠٠ ق.م، الذي نقل المعلومات المصرية، واطاف إليها فقد عمل على تشريح الدماغ والجهاز العصبي وفرق بين الأعصاب الحركية والحسية، كما شرح العين والامعاء والأعضاء التناسلية^(٤). ثم جاء التجريبيون الذين اغوا الفلسفة في الطب وقالوا ان الملاحظة الشخصية هي أساس كل شيء.

وجاء جالينوس ٢٠١-١٣١ ق.م. الذي ألف في التشريح وكان يجري تشريحه

على الحيوان وصارت له صورة حيوانية عن جسم الانسان^(٥). وعرف العراقيون القدماء التشريح، وشخصوا الأعضاء التي تصيبها الأمراض من ذلك تسمياتهم لمرض العين والمعدة والأمراض النسوية والتوليد والأمراض الصدرية والتناسلية وأمراض الفم والاذن والاسنان ومعرفتهم بالتشريح، وخاصة تشريح الكبد وأقسام القدم وغير ذلك من المصطلحات^(٦).

وحصل إنقطاع بين الحضارات القديمة، وحفظ اليونان معلومات الشعوب القديمة في كتبهم وطورها بشكل يتوافق مع الفلسفة اليونانية التي تعتمد المنطق والاستنتاج ووجدوا نظرية عامة تصلح للكون جميعاً كما جسم الانسان، ووجدوا نظرية للاختلاط التي كانت معروفة عند العراقيين والمصريين القدماء. فالكون مكون من أربعة عناصر هي التراب والماء والهواء والنار كذلك أصبحت الاختلاط المعروفة عند المصريين والعراقيين القدماء تابعة لنظرية العناصر الأربعة وأصبحت اختلاطاً أربعة هي الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وتتكون الاختلاط من أجسام سيالة مكونة من الغذاء الذي يطبخ في الكبد بالحرارة، وإن الاجسام الجامدة فهي الأعضاء والأجسام البخارية فهي الأرواح.

أما المزاج فهو قدرة العضو على أداء وظيفته، فالمزاج السيء يأتي حين لا يستطيع العضو تادية وظيفته، أما مزاج الأدوية والاطعمة فيعتمد على ملمسها وطعمها واثرها في الجسم. وكان المرض هو أي فساد في التوازن بين العناصر والمزجة، وكانت هذه النظرية تبدو سهلة ومنطقية بل ومتبناه من الكنيسة، مما أعطاهها مصداقية وأهمية عند المسلمين الذين يؤمنون بوحدة أهل الكتاب، فلم يتجرأ أحد على نقضها حتى التجريبيون في الاسكندرية ٣٠٠ ق.م الذين اعتبروا ان التجربة هي الأساس لم يلبثوا ان انهزموا أمام الموقف الرسمي.

وكان من أشد العقبات التي حالت دون نمو الطب في محيطهم (العرب) تحريم تشريح الجثث على وجه العموم لا الجثث الانسانية فحسب بل والجثث الحيوانية أيضاً، لذلك اقتصرُوا في تعليم التشريح على كتاب جالينوس بصورة خاصة، إلى أن جاء ابن رشد الفيلسوف العربي الاندلسي الذي قال «إن معرفة الأعضاء بالتشريح تقرب من الله»^(٧).

غير ان هذا المنع لم يمنع يوحنا بن ماسوية (٨٢١ - ٨٢٦) من تشريح قرودة في غرفة خاصة بنيت على شاطئ دجلة وذلك بأمر من الخليفة المعتصم الذي اقتنع بالعمل وطلب من أمير النوبة أن يرسل نوعاً من القرودة شديدة الشبه بالإنسان^(٨).

ويذكر قصة أخرى حيث يقول يوحنا في نهايتها، «قل لأمير المؤمنين اتخاذي لهذه القرودة غير ما توهمه أمير المؤمنين، وإنما دبرت تشريحها ووضع كتاب على ما وضع جالينوس في التشريح»، ثم فعل ذلك في القرود فظهر له كتاب حسن استحسنته اعداؤه فضلاً عن اصدقائه.

ويكون بذلك يوحنا أبن ماسوية أول من ألف كتاباً في هذا الفن رآه واهداه إلى المعتصم. وقد أدرك الأطباء والعلماء المسلمون أهمية التشريح في الطب يقول الرازي في امتحان الطبيب. «أول ما تسأله عن التشريح ومنافع الأعضاء وهل عنده علم بالقياس وحسن فهم ودراية في معرفة كتب القدماء فإن لم يكن عنده فليس بك حاجة إلى امتحانه في المرضى»^(٩). وقد خصص الرازي الجزء الأول من كتابه المنصوري لوصف أعضاء الجسم من الرأس إلى القدم، كذلك فعل أبن سينا في فصول كثيرة من القانون ودرج على هذا المتوال كل من ألف من الأطباء العرب، ويقول الزهراوي في كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف «لأن صناعة الطب طويلة، وينبغي لصاحبها أن يرتاض من قبل ذلك في علم التشريح الذي وضعه جالينوس حتى يقف على منافع الأعضاء وهيئاتها ودرجاتها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والعضلات وعددها ومخارجها»^(١٠).

والظاهر إن الرازي قد مارس التشريح فقد كان أول من ميز العصب الخنجري من الاصل الذي هو مضاعف في الجهة اليمنى^(١١) ولكن الممارسة العملية وتراكم المعلومات التشريحية جعل الأطباء العرب مع مرور الوقت يتجرؤون على نقد جالينوس عندما يرون نقص في معلوماته أو عدم دقة في وصفه.

«عدة فصول من كتاب الشافي (لابن القف) كانت مخصصة للتشريح ووظائف أعضاء الجسم كالعظام، العضلات، الاعصاب، الاوتار، الغضاريف، الرئتين، المعدة، الكبد، الطحال، والكليتين والمثانة... الخ.. إن المعلومات آتية بشكل أساسي من اليونانية خصوصاً من كتابات جالينوس، ولكن أبن القف لم يكن تابعاً فقط انه لم يقلد هذه

المعلومات بدون مناقشة ولكنه احضر أفكاراً جديدة وملاحظات اصيلة، وصحح أخطاء قديمة وغير دقيقة، مثلاً صحح معلومات تشريحية منقولة من قبل المجوسي وأبن سينا بخصوص عظم الكتف والمثلثة، لأنها تتصل مفصلياً بالعظام المجاورة كالترقوة والغرابي وتتنحى إلى الاسفل لحماية عظام الكتف بما فيها عظام الذراع المتصلة بها كما أوضح أهميتها للذراع وحركة الكتف، ومثل آخر في أثناء نقاشه لتشريح الفم واللسان حيث وصف الغدد اللعابية بدقة ووظائفها في ترطيب وهضم الطعام»^(١٢).

وانتقد أبن النفيس (١٢٨٨م) معاصر أبن القف اخطاء جالينوس في قوله ان بين البطين الأيمن والأيسر فتحة واحدة وفتحات صغيرة، كما وصف أبن النفيس الدورة الدموية الصغيرة في كتاب «شرح تشريح القانون».

فممارسة التشريح على الجثث كانت ظاهرة عامة فهذا أبن النفيس يقول «أما تشريح العظام والمفاصل ونحوهما فيسهل في الميت من أي سبب كان موته، واسهل ما يكون إذا مضى على موته مدة فني ما عليه من اللحم حتى بقيت العظام متصلة بالاربطة ظاهرة، فإن هذا لا يفتري فيه الى عمل كثير حتى يوقف على هيئة عظامه ومفاصله» ويقول أيضاً «اما تشريح العروق الصغار التي في الجلد وما يتقارب منه فيعسر في الاحياء لما بيناه، وكذلك في الموتى الذين ماتوا لمرض ونحوه وحضورها ما كان من الامراض وما يلزمه قلة الدم والرطوبات فتختفي تلك العروق»^(١٣).

وقد اكتشف أبن النفيس وجود الدورة الدموية الصغرى ووصف تشريح القلب «وهذا التجويف هو التجويف الأيمن من تجويفي القلب وإذا لطف الدم في هذا التجويف، فلا بد من نفوذه في التجويف الأيسر حيث يتولد الروح، ولكن ليس بينهما منفذ فإن جرم القلب هناك مصمت، ليس فيه منفذ ظاهر كما ظن جماعة ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ الدم كما ظنه جالينوس، فإن مسام القلب هناك مستحصفة وجرمه غليظ، فلا بد وإن هذا الدم إذا لطف نفذ في الوريد الشرياني إلى الرئة ليدوب في جرمها ويخالطه الهواء، ويتصفي الطف ما فيه وينفذ إلى الشريان الوريدي ليوصل الى التجويف الايسر من تجويف القلب، وقد خالطه الهواء وصلح لان يتولد فيه الروح»^(١٤).

ولم تقتصر أهمية أبن النفيس على اكتشاف الدورة الدموية الصغرى وإنما امتدت

لتشمل الدورة الدموية بأسرها. وفيما يلي مجمل اكتشافات أبْن النفيس فيما يتعلق بالقلب والدورة الدموية:

١ - إن تغذية القلب تحصل بواسطة الدم الذي يجري في العروق الموزعة في انحاء القلب كله وليس كما ادعى الجميع حتى الان في البطين الأيمن من القلب، وبهذا يكون أبْن النفيس أول من اكتشف الدورة الدموية في الشرايين الاكليلية.

٢ - يجري الدم إلى الرئتين ليتشبع بالهواء وليس لمدھما بالغذاء (وهذا ما أكدھ هارفي فيما بعد).

٣ - هناك اتصال بين أوردة الرئتين وشرايينھما يتمم الدورة الدموية ضمن الرئة (وهذا ما ادعى كشفھ كولومبو فيما بعد).

٤ - ليس في شرايين الرئتين أي هواء أو رواسب (كما ادعى جالينوس) بل دم فقط.

٥ - إن جدران أوردة الرئتين اسمك بكثير من جدران شرايينھما وهي مؤلفة من طبقتين وقد نسب زورا بعض المؤرخين إلى سافينيوس هذه الاكتشافات العظيمة وخاصة الأخيرة.

٦ - ليس في جدران القلب الفاصل بين شطريه أي صمام بل إن الدم يجري في دورة متكاملة^(١٥).

ويورد د. بول غليونجي ثلاثة براهين على إن أبْن النفيس قد مارس التشريح.

١ - المستند الاول. قول أبْن النفيس «والتشريح يكذب كذا».

٢ - المستند الثاني. قول أبْن النفيس إنه شاهد المرارة مراراً. ٣ - المستند الثالث. قول أبْن النفيس عن فكرة أبْن سينا عن القلب «قوله وفيه ثلاثة بطون وهذا كلام لا يصح فإن القلب له بطنان فقط»^(١٦).

واختلف الاطباء العرب في احصاء عدد العظام والعضلات في جسم الإنسان مما

يدل على ان هذا الاختلاف لم يكن من قبل الاجتهاد الفلسفي بل اعتمد على ممارسة التشريح فبينما يذكر جالينوس ان عدد العضلات في جسم الإنسان هي اربعمائة وتسع وثمانون عضلة، يرى المحدثون من الاطباء العرب انها خمسمائة وتسع وعشرون عضلة ويذكر أبو البركات البغدادي ان عددها خمسمائة وثلاث عشر عضل^(١٧).

كما انتقد عبد اللطيف البغدادي جالينوس في قوله ان الفك الاسفل عظمتان وهو لا يكون الا عظمة واحدة. «لقد اخبرنا ان هناك مجموعة من الجثث مفرقة تلة في مقص لهذا فقد ذهبنا إلى هناك ولاحظنا من شكل العظام والمفاصل واتحادها المفصلي التشابه النصفى والمواقع التي لم نعرفها سابقاً، ويمكننا ان نقول ان هذه الموجودات لم تذكر في الكتب أو ان النص كان ناقصاً أو إلى شيء آخر، ملاحظناه يختلف عما هو مكتوب، ما رأيناه يعتبر صالحاً ومبرهنأ أكثر مما سمعناه بالرغم من ان جالينوس مارس درجة عالية من الدقة فيما قاله أو نقله»^(١٨).

وتحدث أبن القف بتفصيل عن الدورة الدموية ولاحظ وقوع الشرايين خلف الأوردة من أجل حمايتها ودفنها، وذكر ان الشرايين والأوردة متصلة في معظم أنحاء الجسم من خلال الشعيرات كما وصف عمل الصمامات في القلب التي تسمح بمرور الدم في إتجاه واحد وهو بذلك أول عربي يوضح أهمية صمامات القلب، وذكر الصمامات الثلاثية للابهر والشريان الرئوي، «واضح الدورة الدموية بدخول الدم من الكبد بالوريد الأجوف إلى القلب ثم خروجه من البطين الأيمن إلى الرئتين من خلال الصمام الثلاثي الذي لا يسمح بعودة الدم، وتحضر الهواء من الرئتين إلى الأذنين الأيمن ويصف دخول الدم من الأذنين إلى البطين بواسطة الصمام الثاني إلى البطين الايسر الذي يسمح بدخول الدم فقط، ولا يسمح بالعودة»^(١٩).

ولم تكن صورة العلاقة بين الأوردة والشرايين واضحة لدى جالينوس وكان مختلف عليها ولم يحددها أبن القف نظراً لميكروسكوبية العمل ولكنه وعى وجودها، فقد اعطى صورة «إذا انقطع وريد فان جميع الدم في الجسم سواء كان وريدياً أم شريانياً سيخرج من الجسم»^(٢٠).

وتحدث عن الشعيرات الدموية حيث تتصل الشرايين بالأوردة «إن الإتصال يجري

في الفتحات المتصلة الصغيرة أصغر من أن ترى بالعين المجردة، حيث يتصل الواحد بآخر». ويقول أبن القف في العمدة في صناعة الجراح «وأما وضع الشرايين والأوردة ففيه حكمة بالغة من الصانع تعالى ذكره، أما مجاورة أحدهما للآخر في أكثر من موقع لاحتياج أحدهما للآخر وذلك ليربط أحدهما بالآخر، ولتستفيد الأوردة من الشرايين حرارة طابخة لما فيها وحياة تسرى فيها وفيما داخلها، والشرايين منها لطيف الدم وبخارية وذلك في المسام المفضية من أحدهما إلى الآخر الخفية عن الحس» (٢١).

وبينما يصف الطبقات المحسوسة الظاهرة فإنه يصف طبقات الشرايين الفرضية.

وأما طبقاته الخفية فاربعة الخارجة وليفها ذاهب عرضاً. وبهذه تكون حركة الانقباض وهو دفع البخار الدخاني وهذه اغلظ من الأولى بخمسة أضعافها لان شأنها حفظ الروح والدم الكائنان فيه. وبينهما طبقة ذاهبة ورابا وبهذه يكون المسك وداخل الجميع طبقة أخرى شبهه بنسيج العنكبوت» (٢٢).

ويمكننا ان نلخص خصائص التشريح عند العرب مرة أخرى:

- ان العرب لم يعرفوا التشريح كعلم مستقل وإنما من اجل فهم المرض ومعالجته، إلى ان جاء أبن النفيس (القرن الثالث عشر م) ووضع أول كتاب مستقل في التشريح هو شرح تشريح القانون الذي ناقش فيه معلومات التشريح في قانون أبن سينا.

- انهم اعتمدوا بشكل كبير على التصنيفات والمؤلفات اليونانية.

- انهم ناقشوا هذه الاراء ولم يسلموا بها وخصوصاً مع مرور الوقت وازدياد الخبرة (٢٣). «وتقول طبقات الشرايين اصلب من طبقات الأوردة على ما ثبت بالتشريح».

- البحث في التشريح من منطلق الفلسفة الفرضية ووجود مبرر منطقي لكل تكوين تشريحي. «واصلب الاعضاء البسيطة العظام وذلك لان بعضها أساس البدن والاساسي يجب ان يكون اقوى واصلب لما هو اسس له مثل فقرات الظهر وبعضها دعامة للحركات ودعامة المشي يجب ان يكون قدامه صلب كعظم الفخذ».

- الوصف التفصيلي لكل الاجزاء مثلاً: التفصيل في وصف العظام وعددها.

- اكتشاف حقائق جديدة مثل الدورة الدموية الصغرى لابن النفيس، والاعوية الشعرية لابن القف واشياء أخرى كثيرة.

- لقد قدم الزهراوي جراح العرب آراء مبتكرة في حقول الجراحة والتشريح والباثولوجي فقد طالب بتعقيم الجروح واستعمل الخمر لذلك، كما طالب بتشريح الاجسام بعد الموت لمعرفة سبب الوفاة كي يتسنى الاستفادة من المعلومات والنتائج التي يتحصل عليها في الاحوال المماثلة^(٢٤).

لقد كان تشريح الإنسان كاملاً بتفصيل كل الاعضاء يشابه إلى حد كبير ما هو موجود حالياً إذا استثنينا الامكانيات العلمية الجديدة كالكيمياء والمجهر، اعطانا صورة اكثر دقة عن تكوين جسم الانسان ووظائفه والعمليات التي تتم فيه.

ولكن المعلومات كانت مقنعة ومتلازمة مع النظرة الفلسفية والدينية للحياة التي كان الناس يحملونها في تلك الأيام، وان فهم مدى التطور في هذا المجال مهم لتصور مدى التطور الذي حصل في مجال الجراحة والذي سيأتي في تناوله.

واخيراً فقد أدى تطور الطب والجراحة إلى ازدياد الاهتمام بالتشريح، وإلى وضوح الصورة للجسم الإنساني وان هذا التطور قد حصل في بداية نهاية العصر الاسلامي العربي وقبل سيطرة الانراك على البلاد الاسلامية ووضع نهاية لأي تطور محتمل في ظل الثقافة العربية الاسلامية.



(شكل ٩) صورته تشريحيه من الكتب العربيه

مراجع الفصل السابع

- ١ - د. بول غليونجي - الطب عند قدماء المصريين، المستقبل بالفجالة الاسكندرية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت ص ١٥٧ .
- ٢ - د. بول غليونجي - الطب عند قدماء المصريين، نفس المصدر ص ٦٠ .
- ٣ - د. بول غليونجي - الطب عند قدماء المصريين، نفس المصدر ص ١٧٨ .
- ٤ - د. بول غليونجي - الطب عند قدماء المصريين، نفس المصدر ص ٣٨ .
- ٥ - د. بول غليونجي - ابن النفيس.
- ٦ - حضارة العراق، ج ٢، ص ٣٣٧ نخبة من الباحثين العراقيين بغداد ١٩٨٥ .
- ٧ - حنيفه الخطيب - الطب عند العرب ص ٢٧ الاهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٦ .
- ٨ - حنيفه الخطيب - الطب عند العرب، ص ٢٧ وذكرها أيضا أن أي اصبغة في عيون الانباء في طبقات الاطباء.
- ٩ - د. محمد كامل حسين - ومجموعة من الاساتذة - الموجز في تاريخ الطب عند العرب ص ٢٥ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جامعة الدول العربية ادارة الثقافة.
- ١٠ - محمد كامل حسين - الموجز في تاريخ الطب عند العرب نفس المصدر ص ١٠٦ .
- ١١ - د. علي عبد الله الدفاع - اسهام العرب والمسلمين في الصيدلة ص ١٨٨ .
- ١٢ - د. سامي حمارنة - أبو الفرج ابن القف، ص ٨٩، مطبعة اطلس القاهرة مايو ١٩٨٥ .
- ١٣ - د. كمال السامرائي مختصر تاريخ الطب العربي، الجزء الثاني، ص ٧٠ منشورات وزارة الاعلام - بغداد.
- ١٤ - د. سلمان قطاية - ابن النفيس ص ٤٨ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٨٤ .
- ١٥ - د. ياسين خليل - الطب والصيدلة عند العرب، ص ٨٦، منشورات جامعة بغداد.
- ١٦ - د. بول غليونجي - ابن النفيس - د. ماهر عبد القادر علي - دار العلوم العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٨ .
- ١٧ - د. ياسين خليل - الطب والصيدلة عند العرب - ص ٧٥ منشورات جامعة بغداد ١٩٧٩ .

- ١٩- د. سامي حمارنة - أبو الفرج أبن القف، ص ٩٩، نفس المصدر السابق.
- ٢٠- د. سامي حمارنة - أبو الفرج أبن القف، نفس المصدر السابق، ص ٩٥ .
- ٢١- أبن القف - كتاب العمدة في الجراحة - الطبعة الاولى في مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد ص ٥٣ .
- ٢٢- أبن القف - كتاب العمدة في الجراحة المصدر السابق ص ٤٩ .
- ٢٣- ٢٤ د. عبد الله الدفاع - لمحات من تاريخ الطب عند المسلمين الاوائل ص ٦٦ - دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع - الرياض ١٩٨٣ .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثامن

التخدير عند العرب

الفصل الثامن التخدير عند العرب

كان الألم دائما يشكل مشكلة تبحث عن حل، وكان الطب قديماً وما زال يهدف الى اراحة الانسان، ولا شك ان الألم أهم عوامل الازعاج ولهذا فان جميع التطور الحاصل في الطب كان على طريق البحث عن حل لايقاف الألم. وكانت كل الاكتشافات الطبية لحل المشاكل الصحية من أجل هدف واحد هو اراحة الانسان وتوفير الرفاهية له وأول عواملها هو عالم بلا ألم، وقد عرفت شعوب العالم دائماً وسيلة لتسكين الألم، ولو مؤقتاً وفي خلال هذا السعي والتجربة والخطأ توصل العلم الى الكثير من النباتات والمعادن والوسائل النفسية التي تؤدي هذا الغرض .

وأول ذكر للاعشاب والمعادن ورد في برديات مصرية، عن استعمال حجر منف وهو نوع من الرخام مخلوط بالخل ومثل هذا المزيج يتصاعد منه غاز حامض الكربونيك الذي له خواص تخديرية موضعية^(١)، كما عرفوا عقاقير نباتية كالحشخاش^(٢)، وعرف البابليون ايضا الافيون^(٣)، واستعملت الشعوب القديمة الكثير من الاعشاب المهدئة كاليانسون وزهر البنفسج وغيره كثير، وقد ورد ذكر الحشخاش واثره المخدر في الطب النبوي^(٤).

أسباب الألم :

وقد حلل العرب أسباب الألم وعالجوها كما يجب «وسبب الألم اما مادة حادة تنصب اليه واما ضربة تقع في عصبه واما جراحة تصيب أغشية ذلك، وفي مثل هذا الوقت يجب ان يحتال في تسكين الألم»^(٥).

ويقول ابن سينا «وجملة اسباب الوجع منحصرة في جنسين: جنس يفيد المزاج دفعه : وهو سوء المزاج المختلف ، وجنس يفرق الاتصال»^(٦) . وأعني بسوء المزاج المختلف «ان يكون للاعضاء في جوهرها مزاج متمكن ثم يعرض عليها مزاج غريب مضاد

لذلك». اي بالمعنى الحديث سبب داخلي تفيد المزاج وسبب جراحي وهو تفريق الاتصال.

وقد ورد في تشريح الاعصاب دورها في الحس والحركة وسميت بعضها حسية وحركية ولكنني لم أفهم دور الأعصاب في نقل الألم بشكل مباشر بالرغم من وضوح ان ازالة الالم يعني ازالة الحس.

«والوجع لامحال هو احساس بمؤثر مناف بغته من حيث هو مناف فالوجع هو المحسوس المنافى بغته»^(٧).

ويدخل كل ذلك في نظرية الاخلاط المأخوذة عن اليونان والتي حافظت لمدة طويلة على نفسها.

وقد قسم ابن سينا الآلام الى خمسة عشر جنسا هي «الحكاك، الخشن، الناحس، الضاغط، المحدد، المفسخ، المكسر، الرخو، الثاقب، المسلي، الخدر، الضرباني، الثقيل، الاعياني، واللادغ». ووضع أسباباً تبدو منطقية مثلاً «الوجع المحدد سببه ريح أو خلط يمدد العصب والعضل كأنه يجذبه الى طرفين»^(٨)، ولا مجال لمناقشة مدى صلاحية هذه الآراء في ضوء العصر الحديث الا أنه من المهم معرفة الأسباب والنتائج والعلاج، من أجل بناء نظرية متكاملة تجري مناقشتها وتطويرها حسب المعطيات في كل عصر.

وفي آرائه يطرح ابن سينا تناقضا مع جالينوس الذي يقول «اما جالينوس فانه اذا حقق مذهبه رجع الى أن السبب الذاتي للوجع هو تفرق الاتصال لا غير»^(٩).

ويقول ابن القف في مناقشته لآراء من قبله «وقد علم في علم الطبيعة ان ذلك الألم اما تفرق الاتصال على رأي جالينوس واما هو سوء المزاج على رأي ابن سينا، واما سوء المزاج فقط على مذهب فخر الدين بن الخطيب والقاضي ابي الوليد ابن رشد»^(١٠).

تخفيف الألم:

لقد احتاج العلم لتخفيف الألم لأسباب كثيرة أهمها: راحة الانسان، ولكن ابن

القف يكشف سببا اخر، «انه قد يحصل للعضو المحتاج الى المعالجة ألم شديد يمنع الجرائحي من الصواب في معالجته»^(١١)، وهذه الحقيقة اصبحت مهمة في تطوير التخدير. ويتابع ابن القف ، «وينبغي أن تعلم ان التسكين على نوعين حقيقي وغير حقيقي والأول هو المقابل للسبب الموجب للألم ... وغير حقيقي وهو المخدر وهو الذي يحتاج اليه الجرائحي في هذا الوضع»^(١٢)، ويقدم ابن القف سبب التسكين (وتسكين للألم على وجوه أربعة - أحدها أنه يبرد مسالك الروح ويمنع الغدة الحساسة من النفوذ، وعند ذلك يطل الشعور بالمنافي أو ينقص فيسكن الوجع أو يطل.

- وثانيها أنه يبرده يغلط جوهر الروح ويمنعه من النفوذ والسريان على ما ينبغي في مسالكها فان الاعصاب وان لم يكن لها منافذ محسوسة فلها منافذ كمنافذ البردى (مجهرية) على ما ذكره جالينوس في كتاب العلل والامراض.

- وثالثها ان الحس يتم بالحرارة والرطوبة والمخدر مزاجه بارد يابس فيكون مضادا له.

- ورابعها انه بسميته التي فيه يضعف القوة الحساسة لذاته بل ولجميع القوى ، وفي ضعف الحس ضعف الشعور بالوجع ، فيضعف الألم^(١٣). ويصف ابن سينا تسكين الآلام «وجملة ما يسكن الوجع ، اما مبطل المزاج ، واما محلل المادة ، واما مخدر ، والتخدير يزيل الوجع لانه يذهب بحس ذلك العضو وانما يذهب بحسه لاحد سببين : اما بفرط التبريد واما بسمية فيه مضادة لقوة ذلك العضو». وقد استعمل العرب أعشاباً كثيرة لتسكين الآلام مثل دهن القرع ودهن البنفسج للصداع، ودهن النينوفر ومفعوله كمفعول دهن البنفسج الا انه ابلغ منه في تسكين الصداع الحار والباح وفي التنويم وفي بقع الاورام الحادة .

كما استعملوا دهن اللوز الحلو ومرهم الشاذنج الذي ينفع في شقاق المعدة^(١٤). وهناك وصفات كثيرة لتسكين الألم مثل الكمادات المختلفة، كذلك استعملوا الثلج والماء المثلج والشراب المخدر لوجع الاسنان ووجع العيون والمشى الطويل والشحوم اللطيفة والغناء الطيب^(١٥). وأستعمل الكي لعلاج الصداع ووجع الاسنان وأوجاع الحلق والشقيقة والنسيان^(١٦). وعرق النسا الذي يوصف له ثلاث كيات على حق الورك.

ويحذر ابن القف من استعمال المخدر «فانه وان كان يحصل به التسكين للوجع أو التمكن من المعالجة غير انه بمقدار ما ينقص من الوجع يضعف القوة ويجمد المادة الموجهة ويثبثها بالعضو فلذلك يجب على الجراح ان لا يقدم على استعماله الا عند امر عظيم»^(١٧) ويحث ابن سينا على معرفة تأثيره ومقداره «ومع ذلك فيجب ان تنظر في تركيب المخدر وكيفيته وتستعمل اسهله. وتستعمل مركبه مع ترياقاته، الا ان يكون الامر عظيماً جداً فتخاف وتحتاج الى تخدير قوي»^(١٨). ولكن التخدير تطور مع تطور العمليات الجراحية، قال ابن عيسى في كتابه الكحالين فيجب ان تستعمل ما يمنع ويخدر، لعلاج قروح العيون^(١٩). ويقول في مكان اخر «ثم تنوم العليل بين يديك وتأمر انساناً ماهراً ان يفتح عينيه»^(٢٠).

وتقول زيجريد هونكه في كتابها فضل العرب على أوروبا^(٢١)، «كذلك من الأشياء الاصلية وذات فضل عظيم على الانسانية، طريقة العرب في التخدير وهم يختلفون فيها عن الهنود واليونان والرومان الذين كانوا يسكرون المريض، أما الطريقة العربية في تخدير المريض فهي العمل على تخديره لتخفيف آلام فقط بل تسهلاً للجراح للقيام بعملية الجراحية دون ان يشعر المريض بألم، أعني استخدام التخدير الشامل لكل الجسم، أما طريقة اجرائه فغمس قطعة من الاسفنج في عصير من مادة الحشيش ومستخرج زهرة البسلة ونبات السكران ومن ثم تجفيف قطعة الاسفنج في الشمس (وفي ترجمة أخرى عصير الحشيش مع الافيون والزؤان وست الحسن) وعند استخدامها تطرى وتوضع في أنف المريض عند اجراء العملية، فيمتص المخاط السائل ولا يلبث المريض أن يغط في النوم ولا يشعر بالآلام العملية الجراحية».

واستعملوا التخدير في آلام المقعدة لعملياتها وعمليات البواسير وعمليات المثانة والقسطرة واستخراج الحصى من المثانة والحالب ، وعمليات الامعاء .

الادوية المخدرة - الافيون^(٢٢):

الماهية: عصارة الخشخاش الاسود ، والمصري ينوم شمه، ولا تزداد شربته على رافعتين (وحدة اوزان) وقد يتخذ من الخس البري افیونا ايضاً، وهو ايضاً مخدر خفيف

والافيون يشوى على حديدة محماة فيحمر .

الاختيار: المختار منه هو الرزين الحاد الرائحة ، الهش السهل الانحلال في الماء ، ولا يتقعد في الذوب وينحل في الشمس ، ولا يظلم السراج لو اشتعل منه ، ولا هو الصايغ للماء الخشن الضعيف الرائحة الصافي اللون ، مغشوش وهذا المغشوش بالماميتا (نوع من الدواء) وقد يغش بلبن الخس البري وهو ضعيف الرائحة ويغش بالصمغ فيكون براقاً صافياً.

الافعال والخواص: مخدر مسكن لكل وجع سواء كان شرباً أو طلاءً، والشربة منه مقدار عدسة كبيرة ... كما ينفع في السعال والاسهال المزمن وبديله ايضاً البنج وهو السيكران ، وذكر مسيح ابن الحكم ان الخشخاش ينفع من الارق والرحال ووجع الحلق والبطن وانه يوقف التزيف ومنه يتخذ الافيون^(٢٣).

ان طحين الخشخاش الابيض يخبز مع الخبز ويؤكل مع اللحم الحلو، وهو لهذا لا يسمن ولا يوصي لكبار السن واذا اكل بكثرة يسبب الدوخة. وان الكبسولات مؤثرة اكثر من الحبوب في تسبب النوم العميق وان كمية درهمين منه تسبب الوفاة ويصف الكاتب أعراض التسمم خدر الاطراف، الانقباض، التنفس الصعب، الكلام المتطاير، الاعين النازلة، والنسيان عموماً يمنع الاحساس وفي حالة التسمم ينصح الكاتب بعد القيء باستعمال المسهلات والمنشطات^(٢٤).

ان الافيون اسم يوناني معناه المسبت وهو مادة مخدرة تكون بشكل عصارة صمغية متجمدة تستخرج من جوزة الخشخاش بعد عدة عمليات تصعيد وتنقية للمادة المسماه الحشيش والتي تستخرج من الجوزة نفسها .

البنج ومن اسمائه التي يعرف بها سيكران وشركان وسفيراسين كما يعرفه الاوروبيون بقول الخنازير لولع الخنازير بأكله، وهو نبات سنوي لا يزيد ارتفاعه على قدمين أوراقه بحجم كف الانسان مفصص معوجة الحافات زغبية لرجة، وازهاره وسخة معرّقة بخطوط حمراء وطعمها مر حريف يخلف ثمرأ شبه الجلنار في داخله بذور صغيرة والبنج ثلاثة أنواع بالنسبة لبذوره وهي الاحمر والابيض والاسود^(٢٥). وينبت في الارض

الصخرية بثلاثة انواع الاسود بأزهاره الحمراء السوداء والاحمر بزهور صفراء،
والابيض بازهار بيضاء وهي الافضل والاسلم للاستعمال ... انه مخدر ويوقف النزيف،
تأثير بذوره مثل تأثير الافيون يخفف ألم النقرس وعصيره مفيد في آلام الأذن والأسنان
أكثر من أربعة دراهم يجرح الذاكرة والدماغ وتسبب التلثم وحتى الجنون وفي هذه
الحالة فان اللسان ينتفخ والفم يرغي والعيون تصبح حمراء^(٢٦).

انه يسكن أوجاع الأورام ويحلل صلابة الخصيتين ينفع من الحمرة كما انه مسكن
لاوجاع الرأس ومسكن لوجع الاذن والاسنان كما يطفى على العين عصارة ورقة او بذره
فيسكن اوجاع العين الصعبة وتعطى عصارتها لوجع الرحم.

هذه أقوى المخدرات المستعملة وهناك اعشاب كثيرة أيضاً تستعمل لتخفيف الآلام
لا يتسع المجال لذكرها .

ختاماً فإنا نلخص ما ورد عن التخدير:

- ١ - ان العرب عرفوا تسكين الآلام والتخدير للعمليات موضعياً وعماماً من خلال
الطلاءات والمراهم والشرابات ثم الاسفنجية المخدرة.
- ٢ - ان خطورة المخدرات كانت واضحة من التنبيه على عدم استعماله الا لامر عظيم
ووضوح سمية المخدرات اذا زادت الكمية.
- ٣ - انه كانت هناك نظرية متكاملة عن شدة الآلم ونتائج الآلم وكيفية مكافحته وكانت
خاضعة للنقاش كما رأينا ابن القف يعرض النظريات المختلفة.
- ٤ - ان التخدير خضع كما كل الطب في ذلك العصر لنظرية الاخلات التي طبقت عليه
والمخدر مزاجه بارد يابس ويكون مضاداً لكل ما هو حار وجاف.

مراجع الفصل الثامن

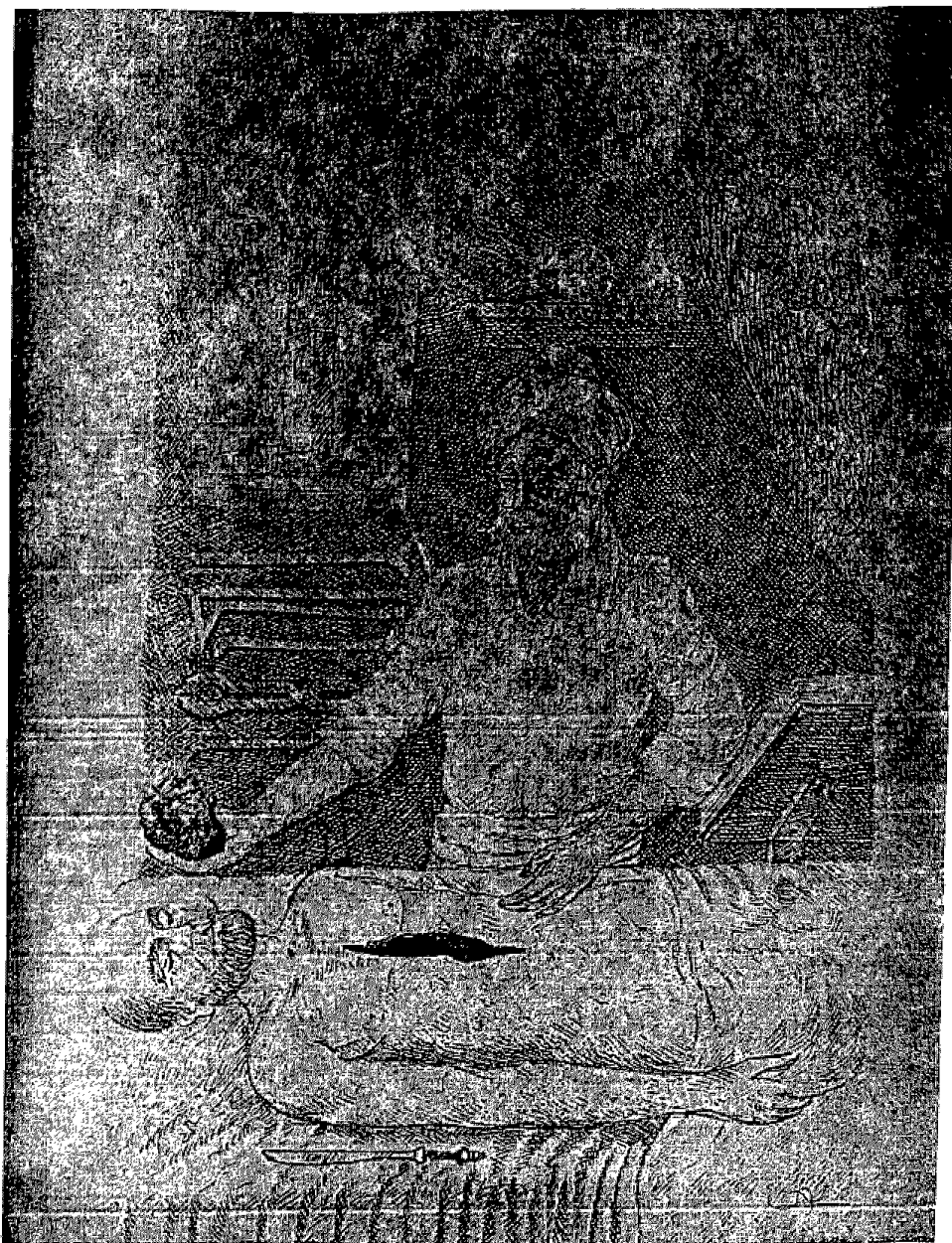
- ١ - د. بول غليونجي - الطب عند قدماء المصريين - ص ١٤٣ .
- ٢ - د. محمد حسين - الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ص ٢٧٧ جامعة الدول العربية.
- ٣ - د. محمد حسين - الموجز في تاريخ الطب والصيدلة - نفس المصدر ص ٢٨٠ .
- ٤ - د. علي عبد الله الدفاع - اسهام العلماء العرب والمسلمين في الصيدلة ص ١٥٠ مؤسسة الرسالة ١٩٨٥ .
- ٥ - ابن القف - العمدة في الجراحة ٦٨٥ هجرية - طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حسين اياد.
- ٦ - ابن سينا - القانون في الطب - ص ١٤٤ - الكتاب الاول.
- ٧ - ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ١٤٦ .
- ٨ - ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ١٤٦ .
- ٩ - ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ١٤٥ .
- ١٠ - ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر ص ٤ .
- ١١ - ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر ص ٢١٤ ج ١ .
- ١٢ - ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ج ١ .
- ١٣ - ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر ص ٢٥١ ج ١ .
- ١٤ - ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر ص ٢٥١ ج ١ .
- ١٥ - ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ٣٢٨ .
- ١٦ - د. محمد حسين - الموجز في تاريخ الطب عند العرب ص ١٠٩ نفس المصدر.
- ١٧ - ابن القف ص ٢٠٥ - نفس المصدر ج ١ .
- ١٨ - ابن سينا ص ٣٢٧ - نفس المصدر.
- ١٩ - حنيفه الخطيب - الطب عند العرب ص ٣٧ نفس المصدر.

- ٢٠- حنيفه الخطيب - الطب عند العرب - نفس المصدر ص ٣٨ .
- ٢١- زيجريد هونكه - فضل العرب على اوروبا ترجمة د. فؤاد حسنين علي دار النهضة العربية القاهرة ص ١٩٧ .
- ٢٢- ابن سينا - القانون - نفس المصدر.
- ٢٣- د. سامي حمارنه - تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين جامعة اليرموك ١٩٨٦ .
- ٢٤- د. حازم البكري الصديقي - فهرس الادوية المفردة في كتاب المنصوري للرازي عن المورد ص ٢٨٧ . العدد الرابع.
- ٢٥- د. حازم البكري الصديقي - نفس المصدر ص ٢٨٧ .
- ٢٦- ابن سينا - القانون - المصدر السابق - الكتاب الاول ص ٤٣٥ .

الفصل التاسع

المبادئ العامة للجراحة عند العرب

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



(شكل ١٠) ابن النفيس كما تخيله الفنان وخيد مغاريه
عن كتاب الطبيب العربي ابن النفيس د. محمد قطايه

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل التاسع

المبادئ العامة للجراحة عند العرب

مبادئ الجراحة العامة =

أ - التعفن

١ - أسباب التعفن (الالتهابات)

في عصر لم يكن فيه المجهر معروفاً أدرك الأطباء العرب بالعقل وجود الجراثيم وإنها سبب في العدوى والتهاب الجروح فقد ذكر ابن خاتمة في القرن الرابع عشر «أجسام صغيرة تسبب الامراض»^(١).

ويذكر ابن الجوسي وهو من أوائل الأطباء العرب الذين كتبوا في الجراحة وتوفي عام ٩٨٤م «وحول تغيرات الهواء من قبل البخارات فانه من كان تعاملهم ومكان سكنهم في مواقع فيها آجام ونقائع (المستنقعات وبقول وأشجار عفنة) والقعود في المغاير والبيوت العفنة، الانفاق والاسراب وغير ذلك مما يتحول إلى الفساد والتعفن فيسبب الاوبئة والامراض الوافدة ويعفن الهواء ويفسده، مشيراً إلى ان أهل تلك المواقع كثيرون الامراض والحميات العفنة تكثر فيهم وتكون الوانهم متغيرة إلى الصفرة، ولا يستمرثون الطعام جيداً فيكونوا ضعفاء»^(٢).

ويقول ابن سينا «وكما ان الماء لا يعفن على حال بساطته بل لما يخالطه من أجسام أرضية تمتزج به وتحدث للجملة كيفية رديئة، كذلك فإن الهواء لا يعفن على حال بساطته بل لما يخالطه من ابخرة رديئة تمتزج به وتحدث للجملة كيفية رديئة، وربما كان ذلك بسبب رياح ساقطت إلى الموضع الجيد ادخنة رديئة من مواضع نائية فيها بطائح أجنة أو أجسام متجيفة في ملاحم أو وباء قتالة لم تدفن ولم تحرق وربما كان السبب قريبا من الموضع جاريا فيه وربما عرضت عفونة في باطن الارض لاسباب لا يشعر بجزيئاتها»^(٣) فأبن سينا لم يذكر سبب الأمراض بل تحدث أيضا عن تأثير البيئة المحيطة في توليد ونشر

كما كان يهتم بتنقية هواء المساكن عن طريق البخور لطرد الروائح الكريهة وتهوية غرف المرضى كما كان يحرص على وجود الحرارة المعتدلة والمياه الصالحة للشرب والغسل والاستحمام^(٤).

بل وتحدث في مكان آخر «ان الماء يحتوي على حيوانات صغيرة لا ترى بالعين المجردة وهي التي تسبب الامراض»^(٥). لقد عرف العرب العدوى وانتقال الامراض وعرفوا الجدري والطاعون وانتقالها بالعدوى ودافع أبن الخطيب عن نظرية العدوى في غرناطة في القرن الرابع عشر «لاولئك الذين يقولون كيف نعترف بإمكانية العدوى بينما الديانة ترفض ذلك، نقول ان وجود العدوى ثابت بالتجربة والفحص وبأبواب الحس والتقارير الصادقة، هذه الحقائق تكون حجة مقنعة. حقيقة العدوى تبدو جلية للفاحص الذي يلاحظ كيف ان الذي يحتك بالمرضى ينقل المرض بينما الذي لم يخالط المريض يبقى سالماً، وكيف يتأثر الانتقال بالاعوية الدموية وحلقات الأذن والملابس»^(٦)، فكانت النظافة أهم ما يمكن عمله للوقاية، خاصة وان «النظافة من الإيمان» كما جاء في الحديث الشريف، كما اهتموا بنظافة الجروح.

٢ - نظافة الجروح:

يحدثنا أبن القف عن نظافة الجروح^(٧):

١ - ان لا يقع بين شفتي الجرح شيء وفي المعدة مثلاً فان خروج الكيلوس يعيق شفاء جروح المعدة.

٢ - استعمال الحرق لتطهير الجرح (ص ١٠٢) وتؤخذ خرقة نظيفة للغاية وتحرق تكمد بشيء يمنع وصول الهواء إليها إلى حين تنطفئ النار منها أو تؤخذ نورة غير مطفأة تجعل على الموضع.

٣ - استعمال الخل (ص ١٠٤) ويدهن الموضع بدهن خل أو بدهن بنفسج مذاب فيه شمع فقير.

٤ - علم ان في كل قرحة رطوبية لطيفة (سيروم) وغليظة ومما المانعان للطبيعة من انبات اللحم والتحام القرحة فاذا ازيلت تمكنت الطبيعة من فعلتها.

٥ - عمل درنقة (DRAINAGE) ليخرج الصديد وفتيلة قطن (ص ١٠٠).

٦ - الهدوء توصية بعد كل جرح بالراحة والقلب لا يبرأ لانه دائم الحركة، الكلية لدوام مرور الماء فيها والامعاء لمرور الكيلوس والمثانة لمرور البول.

ويقول أبن سينا عن الرباطات والأضمدة «يجب ان تكون خرق الرباط نظيفة»^(٨) واستعمل العرب لتنظيف الجروح الكثير من المطهرات كالخل والنبذ وماء البنفسج والبابونج مما أدى إلى تحسن شفاء الجروح، تقول زيجريد هونكه «ومن سوء الحظ ان الفكرة اليونانية القائلة بمبدأ تكون الكون من أربعة أنواع من العصور ظلت تعمل عملها حتى اعتقد الاطباء اعتقاداً عجيباً يقول ان تقيح الجرح هو الوسيلة الطبيعية لتطهيره، لذلك كان الطبيب يستعين باحداث القيح الصناعي وتنشيطه. وقد ظلت فكرة بوقراط هذه حية يعمل بها الاطباء زهاء الف عام حتى جاء أبن سينا فكان أول من عارضها وحاربها ونادى بالعكس، وكانت نتائج اراء أبن سينا قيمة جداً، وجاءت بالعجب العجيب فقدماً كان الجرح لا يشفى الا بعد أن يمضي عليه زمن طويل قد يتجاوز الاسابيع المليئة بالالام والافجاء بل وقد تمضي الشهور قبل ان يلتئم الجرح، اما الان فان الجرح يشفى في يومه، فقد تجنبت نظرية أبن سينا لا احداث التقيح فقط بل نادت بوجود عدم اثاره الجرح سواء كانت هذه الاثارة الية أو كيميائية، واكتفى الطبيب باستخدام كمادات ساخنة بالنبذ الاحمر المعتق لتجنب احداث قيء»^(٩).

ويصف أبن سينا غسل الجرح «لا ينبغي ان تقرب من المبطوط والمشروط ماء ولا دهنا ولا شيئاً من شحم فان لم يكن بد من غسل فبماء وعسل أو ماء بشراب أو بخل»^(١٠).

ويذكر الاسفنج واستعمالاته فيقول «انه يغمس في الخل ويوضع على الجراحات فيدملها ويطبخ في العسل فيدمل الجروح العميقة»^(١١) واهتم الاطباء بغسيل العملية ونظافة الجراح ايضاً. «وفي العملية يهتم الجراح بقطع اظافر يديه وتنظيفها وغسل محل

العملية في الجسم والمكان الذي يعمل فيه وتبخيره ويستحضر مقدماً ما يحتاجه من الات ورفائد ومراهم»^(١٢).

كما اهتم الجراحون بنظافة المكان بعد العملية، قال الزهراوي في الشق العجاني «وإذا فرغت من عملك فاحش الجرح بالكندر والصبر والنشا وشده وصير فوقه خرقاً مبلوله بزيت وشراب ليسكن الورم الحار ثم يستلقي على قفاه ولا يحل الرباط الا في اليوم الثالث فاذا انحل نطلت الموضع بماء وزيت كثير ثم تعالجه بالمرهم الخلي والمرهم الباسليقون حتى يبرأ»^(١٣).

ويتابع الزهراوي في مكان آخر «فإن عرض في الجرح ورم حار زائد واكال ونحو ذلك قبل ان يجمد الدم مع البول فادخل اصبعك في الجرح واخرج ذلك الدم فانه ان بقي دعا إلى فساد المثانة وعفونتها ثم اغسل الجرح بالخل والماء والملح وقابل كل نوع بما شاكله من العلاج إلى ان يبرأ»^(١٤). لقد اهتموا إذاً بنظافة الجرح قبل وفي أثناء وبعد العملية.

٣ - علاج العفونة:

استعمل العرب بالاضافة إلى الوقاية بالنظافة، المطهرات والمضادات الحيوية والكلي.

أ - المضادات الحيوية: استخدم العرب العفونة ضد العفونة، تقول زيجريد هونكه «فلعلاج الجروح المنتنه اخترع العرب الجاهليون وسيلة فعالة، وهذه الوسيلة لم تعرفها أوروبا الا في القرن العشرين وهي المعروفة اليوم باسم المضاد الحيوي، فمن سروج الحمير والجواميس استخرج العرب مادة متعفنة وهي التي يصنع منها البنسلين والاسبرجيلوس ومن هذه المادة كونوا مرهماً وعالجوا به الجراح الملتهبة، فنجحوا نجاحاً باهراً».

أما إذا كانت الالتهابات بالخلق استخلصوا المضادات الحيوية من العفن الذي يتكون من الخبز والقمره المريض^(١٥).

وتقول في مكان آخر «وقد اظهر العرب براعة فائقة في اعداد الاربطة واللبخ والمعاجين والمساحيق هذا عدا عن علاج الالتهابات التي تحدث تحت الجلد والخراجات

ومختلف أنواع الأمراض الجلدية وسائر الجروح، ووقف الاوجاع ومنع تقيح الجروح حيث اوجد العرب المضادات الحيوية على أساس البنسلين والاسبراجيلوس وغيرهما من المواد التي لم تعرفها أوروبا الا منذ عهد قريب كذلك استخدام النبيذ وهو لا يقل فائدة عن غيره والبن المطحون وقد احضر هذه الطريقة إلى أوروبا كيميائي الماني واطلق عليه (فحم البن) وقد ذكر ان العرب انقذوا منذ ثلاثين عاماً حياتهم بالبن وتم استخدام البن في المانيا في شفاء الالتهابات المزمنة وقد جاء بنتائج عظيمة^(١٦).

ويذكر ريسلر في كتابه الحضارة العربية^(١٧)، «ان الفضل في استخدام المضادات الحيوية يرجع إلى الرازي وان علماء العرب أول من استخدم عفن الخبز والشعب الفطري في ادويتهم لعلاج الجروح المتعفنة لذا يجب ان ينسب اليهم اكتشاف مبيد الجراثيم (ANTIBIOTIC)».

ويقول ابن سينا في القانون في علاج جراحة الشجاج «ومن الادوية الجيدة للجراحة وللدم ان يؤخذ الخمير المحمص اليابس ويسحق ويذر عليه ولا يرطب»^(١٨).

ب - تحضير الكحول: كان النبيذ والخل يسيطران على العمل الجراحي ولكن تطور العلوم بشكل عام والكيمياء بشكل خاص ووجود طبيب كالرازي يمتلك خبرة ومعلومات كيمائية جيدة أدى إلى استخدام الكيمياء في الطب ويعتبر أول طبيب استخدم معلومات الكيمائية في الطب وقال ان شفاء الأمراض بفعل الادوية التي يصفها الطبيب هو نتيجة لاثارة تفاعل كيمائي في جسم المريض»^(١٩).

وهكذا بدأ عصر جديد للطب بدأت فيه التجارب المخبرية والاختراعات الجديدة «وقد استخدم أبو القاسم عند التقطير جهاز آخر وهو عبارة عن فرن يشتعل فيه الوقود آلياً وكان يغلق الاواني الزجاجية المتداخلة في بعضها عن طريق لفها بقطعة قماش الكتان وقد استخدم العرب الامبيق لتنظيف الخل وعمل النبيذ والعرق من البلح عدا تطهير الماء غير النقي وهكذا اصبح من الميسور تطهير الماء كيمائياً واعداده للتجارة واستخدامه للدواء. وبهذه الطريقة كان الرازي أول من استحضّر حامض الكبريتيك ومن السوائل الحامضة المحتوية على مواد نشوية أو مواد سكرية استخراج الكحول.

- الكحل ومعناه الحرفي - أكثر رقة - والكحل في الاصل مسحوق الانتيمون الناعم وكان يستخدمه الكحالون - اطباء العيون^(٢٠).

لقد رأى الرازي ضرورة استعمال الكحول في تطهير الجروح وغيرها من العلاجات التي يلزم استخدامها للمرض فابتكر طريقة لتحضير الكحول من المواد النشوية والسكرية المتخمرة^(٢١).

لقد استعمل الكحول للوقاية والعلاج وتنظيف العفونة ولكنه لم ينتشر كانتشاره العصري ذلك انه لم يذكر في قانون ابن سينا ولا ابن القف بينما ذكر الخل والعسل بكثرة، يقول د. نور حسين شودري «ان الزهراوي نصح بسكب الكحول بعد العملية لان ذلك يساعد على الشفاء»^(٢٢).

ج - الكي :- كان الكي من أركان العلاج الجراحي وقد رسم الزهراوي في كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» المكاوي المختلفة وفصلها في ٥٦ فصلاً من الرأس إلى القدم. ولكن الكي استخدم بصفة رئيسية في علاج العفونة أيضاً وهو قريب من استعمال الكي الحديث (CAUTHARIZATION) ولم يستعمل الكي الا بشروط وظروف محدودة يقول ابن القف عن شروط الكي:

١ - بعد الثقة بنقاء البدن.

٢ - بعد اليأس من أن الادوية لاتفعل ذلك^(٢٣).

وحدد الزهراوي أنواع المعادن وفضل الحديد بينما فضل ابن القف الذهب، يقول ابن القف في الكي «الكي علاج بالغ لمنع انتشار الفساد وذلك صار يستعمل حيث لا تفني الادوية بما يحتاج اليه في التجفيف وآلة الكي تتخذ من الحديد ومن النحاس ومن الفضة ومن الذهب واجوده جميعا الذهب لا لانه جوهر نفيس غالي الثمن بل لان التجربة قد شهدت بتوقيته للعضو بحيث انه لا يعقبه فساد ولا عفن كما يعقب غيره وان كان في هذا خلاف على ما سذكه^(٢٤).

وقال الزهراوي «واعلموا يا بني ان سر التعالج الكي بالنار وفضله على الكي بالدواء

المحرق لان النار جوهر مفرد لا يتعدى فعله العضو الذي كوى ولا يفيد بعضو آخر متصل به الا ضرراً يسيراً، والكلي بالدواء المحرق قد يتعدى فعله الى ما بعد الاعضاء^(٢٥). وتابع «الا ان الكلي يفضل على الدواء بسرعة نجحه وقدرة فعله وشدة سلطانه»^(٢٦).

فالكلي وسيلة علمية لا يلجأ اليها الطبيب الا بعد ان عجز وسائل اخرى وقد قيل «آخر الدواء الكلي» وقد تحدث الزهراوي عن فوائد الكلي في علاج التعفن والامراض الرطبة.

يقول ابن سينا «الكلي علاج نافع لمنع انتشار الفساد.. ولتقوية العضو الذي برد مزاجه وتحليل المواد الفاسدة المتشبهة بالعضو ولحبس النزف وأفضل ما يكوى به الذهب»^(٢٧).

- الجروح

١ - تقسيم الجروح:

يقسم ابن القف الجروح الى نوعين^(٢٨):

- نوع عظيمة الضرر وقد تكون مميتة، وهي التي تصيب الاعضاء الهامة مثل الدماغ والكبد والقلب والكلى، وينصح ان لا يقترب منها الجراح، اما النوع الاخر في باقي الاعضاء ويقسمها أيضا الى قسمين.

- البسيطة وهي التي لا يذهب معها شيء من جوهر العضو وهي أيضا نوعين منها ما هو شق فقط ومنها ما لها غور.

- والمركبة وهي ما ذهب معها شيء من العضو.

ويقول الزهراوي حسب الموقع وحسب الاداة^(٢٩)، «ان الجراحات تختلف بحسب الشيء الذي تكون به الجراحة وبحسب الموقع الذي يقع عليه الجرح فالاشياء التي تكون بها الجراحات كثيرة كصكة حجر أو قطع سيف أو سكين أو طعنة برمح أو

عود أو سهم وغير ذلك من اشياء كثيرة، واما الجراحات بحسب المواضع من الجسم كالجرح الذي يقع على الرأس أو العنق أو الصدر أو البطن أو الكبد ونحوها من الاعضاء».

ويقسم أبن القف الجراحة بالرأس «فإن وقعت الجراحة في الرأس فإنها تعرف بالشجة واقسامها ستة ، الصاعدة، الهاشمة، والوضحة، والمنقلة والمأمونة ، والجائفة ، اما الصاعدة فهي التي ليس فيها الا صدع فقط والهاشمة هي التي يتهشم فيها نحف الرأس، والواضحة هي التي يوضح فيها العظم اي التي يتبين بياضه والمنقلة هي التي يخرج فيها العظم والمأمونة هي التي تبلغ فيها الافة الى ام الدماغ، والجائفة هي التي تبلغ فيها الافة الى تجويف الدماغ» (٣٠). وهذا التقسيم يدل على دقة الملاحظة والوصف والتفصيل في الاعراض، وهذا ينطبق على معظم الاعضاء والجراحات.

٢ - علاج الجروح:

يتفق الاطباء العرب على عدة أسس لمعالجة الجروح:

١ - الشد والربط في حالة الجروح البسيطة مثل الشق مع مراعاة النظافة المطلقة من غير ان يقع بين شفتي الجرح شيء. (ابن القف).

٢ - الخياطة إذا صعب اجتماع شفتي الجرح.

٣ - تركها مفتوحة إذا كان هناك خسارة كثيرة في الانسجة، اما إذا كان الجرح بحاجة الى ان ينبت فيه اللحم فلا يحتاج الى خياطة، لكن يحتاج مرة الى الرباط الذي يضرب الوضر (وسخ الدسم واللبن)^(٣١) ومرة الى رباط بقدر ما يمسك الرباط عليه اما اذا كانت الجراحة وقد انقطع منها لحم كثير فتحتاج الى المنبتات للحم وليس يكفي ما يجفف ويمنع.

٤ - الفصد وربما كان سيلان قدر معتدل من الدم نافعا للجراحة يمنع الورم والتبثير والحمى، فان افضل ما يعني به في الجراحات ان تمنع تورمها^(٣٢).

ويذكر الزهراوي «وكان الجرح كبيراً وخشيت على العليل حدوث الورم الحاد

فبادر وافصده القيغال على المقام ولا تؤخر واخرج له من الدم على قدر قوته ان لم يمنع من الفصد مانع»^(٣٣).

وهكذا فان وقف النزيف كان هاجساً اساسياً في معالجة الجروح وقد استعملت عدة طرق في وقف النزيف^(٣٤).

١ - استعمال الضغط بالاصبع.

٢ - الربط للعضو.

٣ - الاسفنج.

٤ - الكي.

٥ - استعمال الماء البارد.

٦ - الادوية القابضة.

٧ - ربط الاوعية الدموية^(٣٥)، يقول الزهراوي «فان كان في هذه الجراحات شريان او عرق اصبته لم ينتر فابتر بالمبضع واربطه وان دعت الضرورة اذا لم ينفع ما ذكرنا فاكوه حتى ينقطع الدم فان كانت هذه الجراحات صفاراً بساطاً فامرّها سهل هين يكتفي بعلاجها بان تذر عليها الذرور وهي بدمها قبل ان يغيرها الهواء. وصفة الذرور ان يؤخذ من اللبان جزء ومن الشبان جزأً ومن الجير المطفاً او غير المطفاً ثلاثة اجزاء ويسحق الجميع وينخل ويحشى به الجرح ويشد شداً جيداً حتى يلصق عليه لصوقاً جيداً وينعقد بالدم ثم تشده من فوق بالرفائد وتتركه لا تحله ما دام لا يتورم وان لا ينقلع عن الدواء حتى يبرأ»^(٣٦). وهناك مجموعة من الادوية المستعملة في الجروح وهي تعطى على هيئة ذرور أو بودرات بالمصطلح الحديث أو مراهم.

١ - المجففات لازالة القيح وتخفيف الدم المنصب في الجرح .

٢ - الملتصقات «واما الادوية الملحمة فهي التي تجمع بين المتباعدين ولا تحتاج إلى ان تتصرف الا في سطحها فلتصق بينها بالنداوة التي في جوهرها وان كان دم حاضر فهي التي تجفف الدم الحاضر في الجرح المكتفي به في الالتصاق تجفيفاً سريعاً قبل ان يتقيح»^(٣٧).

٣ - منبتات اللحم «المنبت للحم هو الذي يعقد الدم الصحيح لحماً، فان كان له تخفيف

شديد منع الدم الوارد، فلم تكن مادة للحم وان كان له جلاء شديد، ازالة وسيلة، فانفذ المادة الموجودة للحم، فيجب ان لا يكون له كبير تخفيف بل إلى حد، ولا جلاء قوي جداً بل جلاء قليل قدر ما يحلو^(٣٨) هذا بالاضافة الى تغذية المريض بالاغذية الملائمة.

٤ - الادوية الحادة الاكالة، مثل القلقطار والزاج والزرنيخ والنورة (حجر الكلز).

٥ - القوابض مثل الزاج والقلقطار إذا كان لختم جروح الجلد.

٦ - الكي لمعالجة العفونة.

٧ - المطهرات.

٨ - المراهم المنضجة، واما ان كانت قد غيرها الهواء بعض التغيير ولا سيما اذا كان في زمن الصيف فليس في وضع هذا الضرر معنى فعالجه بما ذكرنا بان تحمل عليه بعض المراهم المنضجة^(٣٩).

٣ - خياطة الجروح:

يحدد أبن القف أربعة شروط للخياطة^(٤٠).

١ - ان يكون الخيط معتدلاً في الصلابة واللين فان الصلب ربما خرق الجلد واللين سهل القطع سريعة.

٢ - ان تكون الغرز معتدلة في القرب والبعد بعضها من بعض، فإن البعيدة لا تضبط الاحشاء على ما ينبغي والشديدة القرب كثيرة الالم.

٣ - ان لا يكون مغرز الابرة قريباً من حافة الجرح فتتخرم ولا بعيدة عنه فيتعذر انضمام الشفتين.

٤ - ان تكون الابرة لرأسها ثلاثة حدود وهي التي يخيطة بها الفراء فان مثل هذه الابرة تكون سهلة الدخول في الجلد.

ويحدثنا الزهراوي عن الخياطة بالخيط الرقيق الذي يسيل من مصران الحيوان اللاصق بعد ان يدخل في ابرة وهو ان يؤخذ طرف هذا الخيط من المصران فيسلت ناعماً، ثم يربط في طرفه خيط كتان رقيق مفتول ثم يدخل ذلك الخيط في الابرة وفيه خيط المصران فيخاط به المكان ثم يرد إلى الجوف^(٤١).

وفي خياطة جراح الامعاء: «يؤخذ النمل الكبار الرؤوس ثم تجمع شفتا الجرح ثم توضع غملة منها وهي مفتوحة الفم على شفتي الجرح فإذا قبضت عليه وشدت فمها قطع رأسها فانه يلصق ولا ينحل»^(٤٢).

أما كيفية الخياطة فإن أبن القف يحدد أربعة طرق^(٤٣):

١ - ان تدخل الابرة المذكورة من خارج الجلد إلى داخله ثم في الفصلة ثم في الصفاق ثم من داخل الطرف الاخر في الاجزاء المذكورة إلى خارج ثم من خارج الطرف الاخر إلى داخل ثم من داخل إلى الخارج ثم خارج الطرف الاخر إلى داخل ثم من داخل إلى خارج مستمرة وهو الافضل على رأيه.

٢ - امر صاحب (الكامل المجوسي) ان يعقد كل غرزة وما يقابلها عقدة واحدة ويقطع الخيط ثم تدخل الابرة من خارج الجلد إلى داخله ثم من داخله إلى خارج ثم يعقد الخيطين ويقص وهكذا وهو رأي جيد (أبن القف).

٣ - ان تجمع الاجزاء كلها من كل جانب مع الاجزاء كلها من الجانب الاخر وتدخل فيها الابرة جملة من خارج إلى خارج ثم تجانب الابرة إلى هذا الجانب وتدخل على العادة الى خارج وهذا ضعيف.

٤ - ان يتخذ ابرتين ويخيط بهما الحواشي جميعها من الجانبين كما تخطط الاساكفة الجلد، وهذا وجه ردىء.

٥ - الوجه الثاني من الخياطة ان تجمع كل جزء إلى نظيره مثلاً حافة الصفاق الى حافته الاخرى العضلات الى العضلات والجلد إلى الجلد وتخطط كل شيء مع نظيره وهذه متعذرة لوجود الدم وفيها تكرار الالم.

يقول الزهراوي عن النوع الثالث:- «وبهذه الخياطة قد خطت جراحة عرضت لرجل في بطنه كان قد جرح بسكين وكان خرق الجراحة أكثر من شبر وكان قد خرج من معائه نحو شبرين من الامعاء الاوسط وكان الخرق في وسط البطن، فرددته بعد ان قام معائه خارجاً من الجرح أربعة وعشرين ساعة فالتحم الجرح في نحو خمسة عشر يوماً

وعالجته حتى برىء وعاش بعد ذلك سنين كثيرة. يتصرف في جميع احواله وكان الاطباء يحكمون عليه ان لا يبرأ البتة»^(٤٤).

ويذكر الزهراوي في خياطة البطن «واعلم ان خياطة البطن على اربعة وجوه، الخياطتان الاثنتان عاميتان تصلح في خياطة البطن وفي خياطة سائر جراحات البدن والخياطتان الاخريان خاصيتان لعم سائر الجراحات الا انهما اخص بخياطة البطن وانا اصفها لك واحدة واحدة»^(٤٥) ويذكر الزهراوي انه اقتبس بعضها عن جالينوس^(٤٦).

ج - قواعد عامة في معالجة الجروح.

بالاضافة إلى الادوية والخياطة فان هناك قواعد يتبناها الجراحون العرب ويحدد ابن سينا ثلاث قواعد يجب مراعاتها في الجراح^(٤٧).

- ١ - قطع ما يسيل وقطع مادته لمنع التورم.
- ٢ - الحام الشق بالادوية والاغذية الموافقة.
- ٣ - منع العفونة ما امكن ويحدد ثلاث طرق لمنع العفونة.

التجفيف والادوية الحادة الاكالة، ثم النار، ويحدد لتفرق الاتصال في الاعضاء العظمية التسوية والرباط الملائم ثم السكون واستعمال الغذاء المغذي. وهناك قواعد عامة نجدها عند جميع الجراحين العرب.

١ - النظافة وتشمل:

أ - ان لا يقع بين شفتي الجرح شيء «في المعدة خروج الكيلوس يعيق شفائها جرح المعدة» فإن كان الجرح قد اثر في العظم مفتته فان كان فيه شظايا من العظم فاجتذبها كلها أو ما يمكن منها^(٤٨).

ب - الهدوء توصية بعد كل جرح بالراحة، القلب لا يبرأ لانه دائم الحركة الالتحام مفتقر السكون.

ج - الجرح المخيط ثانوياً أي بعد مدة تحك الشفتان برأس المجس حتى يدميها ثم تجمع الشفتان عليهما الرفائد ويعصب.

د - حلق مكان الجرح^(٤٩) وأما نفس الموضع فأول شيء يعمل قص الشعر قصاً مستقصياً.

هـ - عمل درنقة، فم ليخرج منه الصديد^(٥٠).

و - استعمال الحرق لتطهير الجرح^(٥١) «أو تأخذ خرقة كتان نظيفة إلى الغاية وتحرق وتكمد بشيء يمنع وصول الهواء إليها إلى حين تنطفئ النار فيها أو تؤخذ نورة غير مطفأة تجعل على الموضع.

ز - استعمال المطهرات:- «وفي العملية يهتم الجراح بقطع اظافر يديه وتنظيفها وغسل محل العملية في الجسم والمكان الذي يعمل فيه وتبخيره ويستحضر مقدماً ما يحتاجه من الآلات ورفائد ومراهم^(٥٢). ويدهن الموضع بدهن الخل أو بدهن البنفسج مذاب فيه شمع فقير.

ح - علم أنه في كل قرحة رطوبتين لطيفة (سيروم) وغلظة وهما المانعان للطبقة من انبات اللحم والتحام القرحة، فإذا أزيلت تمكنت الطبقة من فعلها^(٥٣).

٢ - وضع فتائل في الجروح^(٥٤) فإن كانت القرحة كثيرة الرطوبة فيجعل بعسل منزوع الرغوة ويعمل فتيلة من قطنة عتيقة ويلوث به ويدخل داخل القرحة^(٥٥).

٣ - فتح فتحة لإخراج القيح «فإن كان لها غور فينبغي أن تخيط ويترك لها فم أسفل الجرح ليخرج منه الصديد ثم تداوى بما يداوى به القروح^(٥٦).

ويقول ابن سينا «وتحري أن يكون لفوهة الجرح مكان ينصب الوضرم منه دائماً بطبيعته أما بان يوقع البط هناك، وأما بان يشكله بذلك الشكل فاني قد أبرأت جرحاً كبيراً كان غورة حيث الركبة وفوهته في الفخذ من غير أن جعلت له فوهة أخرى أسفل عند الركبة لكن نصبت الفخذ نصبة كان القعر فوق والفوهة أسفل، فبريء من غير بط في الأسفل^(٥٧).

٤ - الحاجة إلى خادم جيد لمساعدة الجراح في عمله، وذلك أنه ينبغي أن يمسك موضع

تلك الجراحة كله بيده من خارج فيفتحه ويجمعه ويكشف منه شيئاً بعد شيء للمتولي خياطتها.

٥ - التغذية للمساعدة في التئام الجروح، ثم بعد هذا يراعى في تغذية العليل أمور خمسة:- أحدها أن لا يمتلىء بالطعام، ثانيها أن يجعل غذاءه رقيقاً - يمنع من استعمال الحامض يمنع من استعمال الاغذية المنفخة، يمنع من استعمال الفاكهة.

ونستطيع ان نلخص المبادئ العامة للجراحه كما يلي:

١ - لقد عرف العرب وجود أجسام صغيرة (جراثيم) تسبب الأمراض وانتقال الأمراض بالعدوى والاحتكاك بالمرضى والهواء والماء.

٢ - أهمية نظافة الجروح من الاجسام الغريبة والدرنقة والفتيلة.

٣ - استعمالوا المطهرات للجروح مثل النبيذ والأعشاب المهدئة كالبابونج والبنفسج، كما اضافوا الكحول إلى قائمة الأدوية، واستعملوا المطهرات قبل وبعد العمليات.

٤ - استعمالوا الخمير والشعب الفطري لعلاج الجروح كذلك الخبز المتعفن للجروح المختلفة.

٥ - استعمالوا الكي كوسيلة مهمة لتنظيف الجروح الملتهبة بالاضافة إلى الاستعمالات الاخرى للحرارة الكاوية.

٦ - تقسيم الجروح ودقة تفصيل وصفها بطريقة علمية.

٧ - علاج الجروح بطرق تقارب العلاج الحالي في أيامنا.

٨ - وقف التزيف يساوي أيضاً ما وصل اليه العلم الحديث.

٩ - استعمال الدرنة.

١٠ - الخياطة بأساليب متعددة معروفة حالياً ومعرفة خيوط من أمعاء حيوانات. إن جميع

ما سبق يدل على علاج الجروح بطريقة علمية تقارب طريقة العلاج في عصرنا

الحالي، وإذا أهملنا بعض التفاصيل عن الفصد والادوية المختلفة والتي بحاجة إلى

تحليل ودراسة مدى منفعتها والمواد التي تحتوي عليها، لوجدنا ان العرب في

العصور الوسطى أي عصور النهضة الاسلامية قد عالجوا الجروح كما نعالجها في

القرن العشرين.

مراجع لفصل التاسع

- ١ - د. أحمد عبد الحلي وسيد وسيم أحمد - الهند الطب الاسلامي
ISLAMIC MEDICINE 1- INTERNATIONAL CONFERENCE/ KUWAIT 1981
P
 - ٢ - سامي حمارنة - تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، جامعة اليرموك ١٩٨٦
ص ٢٥٣ .
 - ٣ - أبن سينا - القانون، ص ١٨٣١ المجلد الثالث، الكتاب الرابع.
 - ٤ - زيجريد هونكه، فضل العرب على أوروبا، ترجمة د. فؤاد حسنين علي دار النهضة - مصر/ ص
١٦٦ .
 - ٥ - د. علي عبد الله الدفاع - اسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة - مؤسسة الرسالة ١٩٨٥ -
بيروت .
 - ٦ - الطب الاسلامي المصدر السابق ص ٤٦ .
 - ٧ - أبن القف - العمدة في الجراحة، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد.
 - ٨ - أبن سينا - القانون ص ٢٠٥٢ المجلد الثالث/ الكتاب الرابع.
 - ٩ - زيجريد هونكه/ المصدر السابق، ص ١٩٨ .
 - ١٠ - أبن سينا - القانون، المصدر السابق ص ١٩٢٨ المجلد الثالث الكتاب الرابع.
 - ١١ - أبن سينا - القانون، المصدر السابق ص ٣٩٥ الكتاب الثاني المجلد الاول.
 - ١٢ - د. كمال السامرائي ص ٣٥. الطب وتاريخه عند العرب - المورد العدد الرابع ج ٤ / ١٩٨٥ .
 - ١٣ - د. محمد كامل حسين - الموجز في تاريخ الطب عند العرب ص ١٢٣ . المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم ، جامعة الدول العربية - ادارة الثقافة.
 - ١٤ - الزهراوي - ص ٤١٥
- ALBU CASIS ON SURGERY AND INSTRUMENTS/ M.S. SPINK G.L. LEWIS
LONDON WELCOME INSTITUTE. ١٩٧٣
- ١٥ - زيجريد هونكه المصدر السابق ص ١٩٩ .

- ١٦ - زيجريد هونكه، المصدر السابق ص ٢٤٧ .
- ١٧ - د. علي عبد الله الدفاع - اسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، المصدر السابق، ص ٢١٩ .
- ١٨ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ١٩٧٨ .
- ١٩ - د. علي عبد الله الدفاع - اسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، المصدر السابق، ص ٢٠٩ .
- ٢٠ - زيجريد هونكه المصدر السابق ص ٢٤٥ .
- ٢١ - د. علي عبد الله الدفاع - اسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة، ص ٢١٩ .
- ٢٢ - نور حسين شوذري - باكستان الطب الاسلامي ص ٨٣ ISLAMIC MEDICINE .
- ٢٣ - ابن القف العمدة ج ٢ ص ١٦١ .
- ٢٤ - ابن القف العمدة ج ١ ص ١٩٨ .
- ٢٥ - أبو القاسم الزهراوي ص ١١ ALBUCASIS IBID .
- ٢٦ - أبو القاسم الزهراوي - ص ١٣ ALBUCASIS IBID .
- ٢٧ - ابن سينا - القانون المصدر السابق ص ٣٢٥ الكتاب الاول.
- ٢٨ - ابن القف - العمدة في الجراحة ص ٩٨ .
- ٢٩ - ابن سينا - القانون - ص ٥٢٧ .
- ٣٠ - ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر السابق ج ٢ ص ١٠١ .
- ٣١ - ابن سينا - القانون - ص ١٩٦٧ المجلد الثالث مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت لبنان.
- ٣٢ - ابن سينا القانون في الطب ص ١٩٦٦ نفس المصدر السابق.
- ٣٣ - الزهراوي ALBUCASIS هي ٥٢٧ نفس المصدر السابق.
- ٣٤ - ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر.
- ٣٥ - ابن سينا - القانون نفس المصدر ص ١٩٦٩ .
- ٣٦ - الزهراوي ALBUCASIS ص ٥٢٧ نفس المصدر.
- ٣٧ - ابن سينا - القانون - نفس المصدر ١٩٦٨ .

- ٣٨ - ابن سينا - القانون - نفس المصدر ١٩٦٨ .
- ٣٩ - الزهراوي ALBUCASIS ص ٥٣١ نفس المصدر.
- ٤٠ - ابن القف - العمدة في الجراحة - ص ١٠٤ نفس المصدر.
- ٤١ - الزهراوي ALBUCASIS نفس المصدر ص ٥٥١ .
- ٤٢ - الزهراوي ALBUCASIS نفس المصدر ص ٥٥١ .
- ٤٣ - ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر ص ١٠٥ .
- ٤٤ - الزهراوي - ALBUCASIS نفس المصدر ص ٥٣٧ .
- ٤٥ - الزهراوي - ALBUCASIS نفس المصدر ص ٥٣٧ .
- ٤٦ - الزهراوي - ALBUCASIS نفس المصدر ص ٥٤٣ ، ٥٤٥ .
- ٤٧ - ابن سينا - القانون - نفس المصدر المجلد الاول ص ٣٢٢ .
- ٤٨ - الزهراوي - ALBUCASIS نفس المصدر ص ٥٣٣ .
- ٤٩ - ابن القف - العمدة في الجراحة - ص ١٠٢ نفس المصدر.
- ٥٠ - ابن القف - العمدة في الجراحة - ص ١٠٠ نفس المصدر.
- ٥١ - ابن القف - العمدة في الجراحة - ص ١٠٢ نفس المصدر د. كمال السامرائي المورد ص ٣٥ .
- ٥٢ - ابن القف - العمدة في الجراحة - ص ١٠٤ نفس المصدر.
- ٥٣ - ابن القف - العمدة في الجراحة - ص ١٧٥ نفس المصدر.
- ٥٤ - ابن القف - العمدة في الجراحة - ص ١٠٠ نفس المصدر.
- ٥٥ - ابن القف - العمدة في الجراحة - ص ١٠٠ نفس المصدر.
- ٥٦ - ابن القف - العمدة في الجراحة - ص ١٠٠ نفس المصدر.
- ٥٧ - ابن سينا - القانون - ص ١٩٧٠ نفس المصدر.

الفصل العاشر

الجراحة عند العرب

في الكي والفصد والحجامة

الفصل العاشر في الكي والفصد والحجامة

كان الكي والفصد والحجامة من أهم الممارسات الجراحية التي مارسها العرب ومع أن هذه الطرق الثلاث تبدو محرمة في الطب الحديث إلا أنه لابد من الإشارة الى أن الجراحين العرب بنوا خبرتهم وممارساتهم ليس فقط على ما نقلوه من الامم القديمة في المنطقة بل أيضا على تجربة وهم يذكرون هذا في كتبهم، ولا شك ان هذه الطرق كانت تؤدي في تلك الايام وظيفة هامة في الشفاء، ولا يأتي استعراضها في باب الاستفادة منها في ايماننا بقدر ما يأتي في نطاق القاء الضوء على التجربة العربية بل على الاسلوب العلمي الذي اتبعوه ولا بد ان يعجب الانسان في كل مرة عندما يقرأ «وهذا اثبتته التجربة».

الكي :- يتوخى الزهراوي الدقة المتناهية في ممارسة الكي «الا أنه لا ينبغي ان يتقدم على ذلك الا من ارتاض ودرب في باب الكي دربه بالغة ووقف على اختلاف مزاجات الناس وحال الامراض في أنفسها وأسبابها وأعراضها ومدة زمانها»^(١).

وينفع الكي لكل مزاج ولكن يفضل الامراض الباردة الرطبة، ويحدد الزهراوي سر الكي بانه لا يتعدى فعله العضو الذي كوي ولا يضر بعضو اخر متصل به الا ضررا يسيرا.

ويحدد الزهراوي زمان الكي فيقول انه ينفع في كل زمان، اما نوعية المعدن فيفضل الزهراوي الحديد «وقد ذكرت الاوائل ان الكي بالذهب افضل من الكي بالحديد، وانما قالوا ذلك لاعتدال الذهب وشرف جوهره، وقالوا انه لا يتقيح موضع الكي، وليس ذلك على الاطلاق، لاني قد جربت ذلك فوجدته انما يفعل ذلك في بعض الابدان دون بعض، والكي به أحسن وأفضل من الحديد كما قالوا الا انك اذا احमित المكواه في النار من الذهب لم يتبين لك متى تحمى على القدر الذي تريد كحمرة الذهب ولأنه يسرع اليه البرد وان زدت عليه في الحمى ذاب في النار فلذلك صار الكي بالحديد عندنا اسرع واقرب من الصواب»^(٢).

والزهرراوي في هذا الاقتباس انما يفعل مثل انطونيوس في مسرحية شكسبير فبعد ان يوافق الاقدمين على أن الذهب افضل يوضح لماذا يختار الحديد ويبقى الباب مفتوحا حتى لا يحمل عليه احد بحجة مهاجمة العلماء الاقدمين، اما ابن القف فيحدد أهم سبب لاستعمال الكي «الكي علاج بالغ لمنع الفساد ولذلك يستعمل حيث لا تفي الادوية بما يحتاج اليه في التخفيف، والة الكي تتخذ من الحديد ومن النحاس ومن الفضة ومن الذهب وأجودها جميعا الذهب لا لانه جوهر نفيس غالي الثمن بل لان التجربة قد شهدت بتوقيته للعضو بحيث انه لا يعقبه فساد ولا عفن كما يعقب غيره، وان كان في هذا خلاف على ما سنذكر فيما بعد»^(٣).

وابن القف اكثر تحفظا من الزهرراوي في رأيه ، ويتابع ابن القف (ويقصد بالكي امور خمسة)^(٤):

- ١ - انه يمنع انتشار الفساد لانه يضيق مجاري المادة وربما سد بعضها.
- ٢ - ليمنع مادة معتادة الانصباب من الانصباب الى عضو من الاعضاء.
- ٣ - لتسخين عضو قد فسد مزاجه كما يفعل بالمعدة الرطبة فان الارطب مما ينبغي يجعل العضو ابرد مما ينبغي.
- ٤ - لحبس دم قد افراط خروجه وجريانه فانه يحدث على فوهة المجرى خشكريشة تحبس الدم الخارج.
- ٥ - لذوبان لحم فاسد، قد عجزت الادوية عن ذوبانه. ثم يحدد كيفية كي المكان الباطن كالانف والفم والمقعدة والرحم «والطريق الى ذلك أن تتخذ لك انبوبة من خشب وتطلى بمغرة مجبولة بماء ورد ويجعل ثخانة المكوى دون نضاء الانبوبة وتدخل ويجعل طرفها على موضوع الكي ثم يدخل المكوى بحيث لا يصيب الانبوبة ويكوى به الموضع حتى لا يبقى فيه شيء من الفساد ... ويتوقى دائما ان يصيب شيء من الاعصاب والعضلات والاوراق»^(٥).

وبينما يتوسع الزهرراوي في شرح الكي فيفرد له باباً من ثلاثة في الجزء الثلاثين من كتاب التصريف في ٥٦ فصلا ويصور المكاوي المختلفة ، ويخترع جديدة، فان ابن القف في كتابه العمدة في صناعة الجراح يذكر الكي في الفصل العاشر من الجزء الاول حوالي

صفحه ونصف ، ولا يفرز له ابن سينا في القانون أي باب وإنما يذكره عند كل حاجة.. ويذكره الثلاثة في علاج الفتق في أماكن مختلفة ويستعمله الزهراوي في أمراض مختلفة: من الناصور الذي يكون في المقعدة وفي كفي المسامير وكفي التفرق وعرق النساء وفي علاج الشقيقة وأوجاع الأذن والعين والنسيان والحنازير والاسهال والبتير ويط ورم الكبد بالإضافة إلى كفي النزف الحادث من قطع الشريان ، وإذا كان هناك شيء من المبالغة في استعمال الكي بالنسبة للطب الحديث فهو لا يمنع من الاعتراف بأن كثيرا من الاستعمالات القديمة ما زالت تستعمل في الطب الحديث، ولكن بأساليب حديثة كهربائية، وتخدير بتسمية مختلفة.

الفصل : لا يذكر الزهراوي أي شيء عن الفصد في الجزء الثلاثين من كتابه «التصريف» الذي يتحدث عن الجراحة، بينما يقف ابن القف طويلا عند الفصد وكذلك ابن سينا في القانون.

ويعرف الفصد بأنه اخراج كمية من الدم من أحد الأوردة أو الشرايين، ويعرفه ابن القف بأنه «تفرق اتصال ارادي ويحدد استعملاته» في:

- ١ - زيادة الاخلاط في الكمية
- ٢ - زيادة في كمية الدم .
- ٣ - زيادة الكيفية إلى جانب الحرارة^(٦).

ويقول ابن سينا «أما أن يفصد لكثرة الدم وأما أن يفصد لرداءة الدم وأما أن يفصد لكليهما»^(٧).

ويحدد ابن القف وابن سينا شروط الفاصد:

- ١ - أن يكون عارفا بالتشريح ليعرف مسالك الأوردة وأوضاعها وما يجاورها - ابن القف - .
- ٢ - أن لا يفصد في مكان مظلّم - ابن القف -
- ٣ - يعرف كيف يضع الموضع وأن تكون من مباضع كثيرة ، «يجب أن يكون مع الفصاد

مباضع كثيرة ذات شعرة وغير ذات شعرة» - ابن سينا - (٨).

٤ - ان يوسع في الشتاء ويضيق في الصيف. «اعلم ان الفصد له وقتان، وقت اختيار ووقت ضرورة، فالوقت المختار فيه ضحوة بعد تمام الهضم والنقص، وأما وقت الاضطرار فهذا الوقت الموجب الذي لا يجوز تأخيرهُ ولا يلتفت فيه الى سبب مانع واعلم ان المبضع الكال كثير المضرة فانه يخطيء فلا يحلق».

«ويوجع فاذا اعلمت المبضع فلا تدفعه باليد غمزا بل برفق، بالاختلاس لتوصل طرف المبضع حشو العروق واذا عنفت فكثيراً ما ينكسر رأس المبضع انكساراً خفياً، فيصير زلاقاً يجرح العرق فان المحت بفصده زدت شراً» (٩).

٥ - يكون المبضع نقياً من الصداء والحشن.

٦ - ان يطيل زمان جسّ للعرق لاظهاره «واجتهد ان تملأ العرق وتنفضه بالدم وان استعصى فحله وشده مراراً وامسحه وانزل في الضغط واصعد حتى تنبهه وتظهره» (١٠).

٧ - طولا او عرضا حسب الحاجة الى سرعة الالتحام .

٨ - ان يشد العضو عند الفصد بعصابة معتدلة العرض دقيقة.

٩ - تكون معه أدوية قطع الدم، وان تكون معه كبة من جز وحرير ومقيا من خشب او ريشة وان يكون معه وير الارنب ودواء الصبر والكندر ونافجة المسك ودخان الكندر ودم الاخوين والصبر المر، والقلقطار والزاج (١١).

١٠ - الاهتمام بالنظافة في موضوع الفصد واثناء العمل.

شروط الفصد :

١ - احتمال القدرة.

٢ - بعد تمام هضم المعدة ودفع الفضلات البرازية والهضمية.

٣ - ويحذر عند خلو المعدة وعقب الجماع فيمن كان ضعيف الكبد مترهل السمنة، المزاج الحار السمين سمنا شخصياً، كثير الصوم، ومعتاد استعمال اغذية حقيقية.

٤ - في الاوقات الحارة جدا والباردة جدا.

٥ - في وقت الغضب والحل وجريان دم الطمث .

٦ - مراعاة اختلاف الاشخاص «فمن الناس من يجهل ولو في حمأة اخذ خمسة او ستة

ارطال من الدم ومنهم من لا يحتفل في الصحة اخذ رطل لكن يجب ان تراعي
احوالا ثلاث احداها حصة الدم واستوخاؤه والثانية لون الدم والثالثة النبض فان
صغر النبض فاحبس^(١٢).

- موضع الفصد، يكون الفصد عادة في الاوردة الا فيما ندر.

«واما الشرايين فان فصدها ينبغي أن لا يقدم عليه الا بعد الضرورة العظيمة مع توق
وحذر»^(١٣).

ويحدد ابن القف أربعة وثلاثين وريدا منها اثنا عشر في الرأس واثنا عشر في اليد
وعرقان في البطن وثمانية عروق في الرجلين.

- استطبابات الفصد :- يحدد ابن سينا «المنهى لهذه الامراض هو مثل المستعد
لعرق النساء والقرس الدموي وأوجاع المفاصل الدموية والذي يضربه نفث والمالنخوليا مع
فور دم الخوانيق ولاورام الاحشاء وارق الحار والمنقطع عنهم دم البواصير كانت تسيل في
العادة والمحتبس عنهن دم حيضهن، والذين بهم ضعف في الاعضاء الباطنة مع مزاج حار.
ويحدد ابن القف أمراض أكثر في الرأس والعينين وفي كل الجسم تقريرا، ولا زال الفصد
يستعمل في ايامنا هذه لعلاج ارتفاع ضغط الدم، كما يعتبر التبرع بالدم ايضا عملية فصد
لزيادة نشاط خلايا الدم الاساسية.

مضادات الاستطباب بالفصد :

- لا يفصد في يوم حركة المرض.
- الحبلى والكامن لا تفصدان.
- ليس كلما ظهرت علامات الامتلاء بل ربما كان الامتلاء من اخلاط نية وكان الفصد
ضاراً جداً.
- ان يجتنب الفصد في الحميات الشديدة الالتهاب^(١٤).
- ان كان النافض قويا فاياك والفصد^(١٥).
- عند الوجع الشديد وبعد الاستحمام وعقب الجماع بعد الامتلاء من الطعام وصاحب
التخمة.

٣- في السن القاصر على اربعة عشر وفي سن الشيخوخة.

- الابدان شديدة القضاة والشديدة السمنة والمتخلخلة والبيض المترهل والصغر القديمة الدم^(١٦).

ويؤكد ابن سينا وابن القف على ضرورة استعداد الطبيب الفاصد للمضاعفات مثل النزيف الكثير والذي يوجب البتر اي ربط العرق او ايقاف النزيف بالادوية كما يؤكدان على نظافة الادوات والموضع .

الحجامة:- وهي جرح الجلد «والحجامة انما تجتذب الدم من العروق الرقاق المبثوثة في اللحم^(١٧) والتحجم نوعين بشرط وبلا شرط والتي يشترط (بجراحة) على نوعين بنار وبغير نار ولنذكر اولاً احكام التي بالشرط وهي التي الجرائحي محتاج اليها، فتقول: المادة الدموية المراد اخراجها لا تخلو ان تكون مستولية على الظاهر او على الباطن او عليهما او فيما بينهما، فان كان الاول فاخرجها بالحجامة وان كان الثاني والثالث فاخرجها بالفصد وان كان الرابع فبالعلق. والعلة في هذا ان الطبيب خادم للطبيعة بمعنى انه يحذو حذو افعالها والمواد البدنية اجسام سيالة ليس شأنها الاندفاع الى جهة الاندفاع والدافع اما الطبيعة البدنية واما الطبيعة الخليطة، والحركة الاولى للمادة وتسمى قسرية والثانية تسمى طبيعية، فاذا دعت الطبيعة المادة الى جهة من الجهات او مالت هي بنفسها الى تلك الجهة فالواجب ان تعان الطبيعة على اخراجها ويخفف مقدارها وذلك بفتح مجاريها او بشرط الجلد ثم وضع ما يعين على بروزها وهو المحاجم بسبب ضرورة الخلاء فهذا بيان الى الحجامة المذكورة^(١٨).

ولعل تحليل ابن القف هو التحليل الفلسفي للطب في ذلك الزمان المتأثر بالطب الاغريقي، وهو ان يعين الطبيب الطبيعة في عملها في كل شيء، وهذا لا ينطبق فقط على الحجامة والفصد والعلق، بل على جميع انواع العلاج اي العلاج بالضد، بهدف العودة الى التوازن بين الإخلاط في جسم الانسان والتوازن بين الانسان والطبيعة.

ويضع ابن القف للحجامة بلا شرط عشرة شروط^(١٩) يجب توفرها كما يضع شروط للمريض والطبيب ووقت الحجامة يحدد الزهراوي نوع المحاجم فيقول انها قد

تكون من القرون ومن الخشب ومن النحاس ثم يقول: «والمحاجم التي تستعمل بالشرط واخراج الدم لها اربعة عشر موضعا في الجسم احدها محاجم النقرة وهو مؤخرة الرأس والكاهل وهو القفا ومحاجم الاخدعين، وهما صفحتا العنق من الجهتين جميعا ومحاجم العصعص على عجز الذنب ومحاجم الزندين وهما وسط الذراعين ومحاجم العرقوين»^(٢٠).

استطبائات الحجامة:- نقل الرأس، الربو، ضيق النفس، انصداع التنفس، والسعال والامثلاء واوجاع الرأس، والشقيقة، والحناق ولكل من الاوضاع السابقة الذكر أسبابها واستطبائاتها. كيفية وضع المحاجم «وهو ان توضع المحجمة اولا فارغة وتمص مصا معتدلا ولا تطيل وضع المحاجم ولكنك تضعها سريعا وتنزعها سريعا، لتقبل الاخلط الى الموضع اقبالا مستويا ولا تزال تكرر ذلك وتواليه حتى ترى وتعاود المص رويدا رويدا»^(٢١).

والحجامة بشرط هي ما يسمى في أيامنا هذه بالتشطيب وهي ممارسة ما زال بعض الاطباء الشعبيين يمارسها، أما الحجامة بغير شرط فهي ما يعادل كاسات الهواء كما تدل صور المحاجم التي رسمها الزهراوي وما تزال تستعمل في شرق آسيا وبعض البلاد العربية.

أخيراً، فاننا نستطيع أن نجمل أن الاطباء العرب قد مارسوا الكي والفصد والحجامة مع توخي أقصى الدقة والنظافة، وما زالت بعض هذه الممارسات تستعمل في الطب الحديث أو في الطب الشعبي في بلدان مختلفة في العصر الحالي .

مراجع الفصل العاشر:-

١ - ابو القاسم الزهراوي في الالات والجراحة ص ٩ ALBUCASIS, INSTRUMENTS AND SURGERY

- ٢ - ابو القاسم الزهراوي ALBUCASIS - نفس المصدر ص ١٥٠ .
- ٣ - ابن القف العمدة في الجراحة ص ١٩٨ .
- ٤ - ابن القف - نفس المصدر العمدة في الجراحة ص ١٩٨ .
- ٥ - ابن القف - نفس المصدر العمدة في الجراحة ص ١٩٩ .
- ٦ - ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر - ص ١٦٧ .
- ٧ - ابن سينا - القانون ج ١ - المصدر السابق ص ٢٩٩ .
- ٨ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ٣٠٥ .
- ٩ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق - ص ٣٠٧ .
- ١٠ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ٣٠٧ .
- ١١ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ٣٠٥ .
- ١٢ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ٣٠٤ .
- ١٣ - ابن القف - العمدة في الجراحة - المصدر السابق ص ٢٩٩ .
- ١٤ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ٣٠٠ .
- ١٥ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ٣٠٠ .
- ١٦ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ٣٠١ .
- ١٧ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ٦٥٧ .
- ١٨ - ابن القف - العمدة في الجراحة - المصدر السابق ص ١٧٥ .
- ١٩ - ابن القف - العمدة في الجراحة - المصدر السابق ص ١٧٩ .
- ٢٠ - الزهراوي - ALBUCASIS - المصدر السابق ص ٦٥٧ .
- ٢١ - الزهراوي - ALBUCASIS - المصدر السابق ص ٦٦٣ .

الفصل الحادي عشر

الجراحة العامة

الفصل الحادي عشر الجراحة العامة

أولاً - جراحة البطن:

لقد تعامل الجراحون العرب مع جسم الانسان كوحدة متكاملة خاضعة لنظرية الاخلاط اليونانية، ولكنهم توسعوا في تطوير التشريح وممارسته كما طوروا الجراحة بالرغم من التحفظات اليونانية، وقد تعاملوا بشكل خاص مع الجراحات الطارئة سواء جراحة الحروب او الحوادث، ولم يلجئوا الى الجراحة اذا لم يكونوا مجبرين عليها من أجل مساعدة المريض وانقاذ حياته وهذا لم يمنعهم من تطوير وسائل الجراحة سواء بالمطهرات واستخدام الكحول الى اختراع ادوات جراحية ووصفها بل ورسمها كما فعل الزهراوي في التصريف واجراء عمليات جراحية جديدة في جميع انحاء الجسم.

ولعل من المفيد أن نثبت قول ابو قراط كما نقله ابن القف^(١) «على ما ذكره ابو قراط في سادسة فصوله فانه قال هناك اذا حدث في المثانة أو في الدماغ أو في القلب أو الكلى أو في بعض الأمعاء الرقاق أو في المعدة أو في الكبد فذلك قتال».

- جروح البطن : أول ما يفعل الجراح عند خروج الامعاء هوردها الى داخل البطن وخياطة البطن او خياطتها اذا كانت مجروحة . يقول ابن القف^(٢) «وان وقعت الجراحة في البطن فاردأها ما كان وقوعها في اسفله، فان الاحشاء بطبعها تميل الى اسفل البطن، ثم ما وقع في وسط الجوف واسلمه ما كان في الجانبين، والمعتدلة في العظم من ذلك اجود من الصغيرة والكبيرة، فان الصغيرة ربما تقدر فيها رد ما يخرج منها كالمعاء وغيرها وذلك لان الخارج اذا ناله البرد لا سيما المعاء انتفخ وحينئذ يحتاج في رده الى احد امرين: اما توسيع الجرح واما ان يوضع على المعاء ما يحلل رايحها وذلك بان يبل اسفنجة بماء حار ويوضع على الموضع (وهو ما يفعله الجراحون اليوم) او شراب عتيق قابض مسخن وهو اجود او ينظف بماء قد طبخ فيه ادخر وسعه وسنبل وتكمد المعاء باسفنجة وهي مبلولة في ذلك مرارا فان تحلل النفخ فروه وهو اجود من الشق وان لم يتحلل فيوسع الجرح ويدخل

الخارج وسنذكر كيفية ذلك الرد، والكبيرة يكون الخارج منها له مقدار وفي ذلك خطر من ردها الى موضعها وحفظها فيه ومن كثرة الالم التابع لكثرة عدد غرزات الخياطة وايضا ربما ان المعاء يتعذر ردها لما نالها من تأثير البرد فتنتفخ كما ذكرنا ويحصل ما ذكرناه واما كيفية الرد فهو ان يعلق العليل بيديه ورجليه حتى يصير ظهره منحني الى أسفل فان كان الزمان صيفا فليكن فعلك هذا بالعليل خارج الحمام في موضوع دافئ بحيث ان العليل يجد فيه كربا ويعرق بدنه ويدهن الموضع بدهن خل او بدهن بنفسج مذاب (مطهرات) فيه شمع مفتر على النار (لتسهيل الانزلاق) ويحتال في رد المعاء الى مواضعها وان كان الزمان شتاء او كان المكان باردا فليكن هذا الفعل داخل الحمام بعد ان يدهن الموضع بالدهن المذكور فان كان الجرح مائلا الى جهة السفلى فيرفع جانب البدن السفلي على الفوقاني وان كان بالعكس فبالعكس وذلك ليسهل دخول ما خرج من الاحشاء الى الداخل، وبالجمله اجعل قصدك دائما ان تجعل الناحية التي فيها الجراحة ارفع من الناحية الاخرى (هذا ما يجري اليوم بتحريك طاولة العمليات).

فان تعذر دخول الاحشاء وذلك لما ذكرنا فزد في الشق كما ذكرنا أيضاً بالأكثر التي تشبه الصولجان الصغير ولتكن حادة الى الغاية ثم بعد رد الاحشاء مع بعض الخدام (مساعد الجراح) بجمع شفتي الجرح ومسكها بيديه ثم تخيط قليلا قليلا بعد ان تعلم ان الخياطة لها شروط اربعة.

ويتابع «قال ابوقراط في سادسة الفصول اذا برز الثرب فهو لامحالة يعفن وذلك لشدة استعداده، لذلك بسبب استيلاء الدسومة عليه ففي مثل هذه الصورة ينبغي ان ينظر فيه فان كان قد اخضر او اسود فاربط أطراف الشرايين والأوردة التي فيه بخيط ابريسم ثم اقطعه وادخل الباقي الى داخل ثم افعل ما ذكرناه من الخياطة، وان كان لونه لم يتغير فرده الى موضعه على ما ذكرناه ثم خيط الموضع ثم راع في غذاء العليل ما ذكرناه، وامر العليل بالنوم على ظهره فقط»^(٣).

اما الزهراوي فيربط كل الثرب المسود وليس فقط الشرايين والاوردة^(٤) «واما ان كان الذي برز من الجرح الثرب وادركته طريا فرده على حسب ردك المعاء سواء بسواء فان مضى له مدة وقد اخضر او اسود فينبغي ان تشده بخيط فوق الموضع الذي اسود منه لئلا

يعرض فيه نزف دم فان في الشرب عروق وشريانات ثم تقطع ما دون الرباط وتجعل طرفي الخيط متعلقين من أسفل الجراحة خارجاً منها ليسهل عليك سله واخراجه عند سقوط الشرب وتقيح الجرح».

أما في جراحة الامعاء وخياطها فقد كانوا متحفظين يقول الزهراوي^(٥) «ذكر الجرح الذي يعرض في المعاء فاما اذا عرض خرق في المعاء وكان صغيراً فقد يمكن ان ينجر في بعض الناس من أجل اني رأيت انساناً كان قد جرح في بطنه بطعنة رمح فكان الجرح عن يمين المعدة فاز من الجرح وصار ناصوراً يخرج منه البراز والريح فجعلت اعالجه علي اني لم اطمع في برئه فلم أزل الاطفه حتى برىء والتحم الموضع فلما رأيت الموضع قد التحم خشيت على العليل ان يحدث عليه حادث وء في جوفه فلم يعرض له من ذلك حادث سوء البتة وبقي في افضل» وقد ذكر بعض أهل التجربة انه متى عرض في المعاء جرح وكان صغيراً فينبغي ان يخاط على هذه الصفة وهوان يؤخذ النمل الكبار الرؤوس ثم تجمع شفتا الجرح ثم توضع ثملة منها وهي مفتوحة الفم على شفتي الجرح فاذا قبضت عليه وشدت فمها قطع رأسها فانه يلصق ولا ينحل، ثم توضع ثملة اخرى بقرب الاولى ولا تزال تفعل ذلك بعدة ثمل على قدر الجرح ثم ترده وتخييط الجرح فان تلك الرؤوس تبقى لاصقه في المعاء حتى يتغرى المعاء ويبرأ ولا تحدث بالعليل آفة البتة».

«وقد يمكن ان يخاط المعاء أيضاً بالمعاء بالخيط الرقيق الذي يسلم من مصران الحيوان اللاصق به بعد ان يدخل في ابرة وهوان يؤخذ طرف هذا الخيط من المصران فيسلت نعماً ثم يربط في طرفه خيط كتان رقيق مفتول ثم يدخل ذلك الخيط في الأبرة وفيه خيط المصران فيخاط به المعاء ثم يرد الى الجوف، وهذا الضرب من الخياطة بالنمل والمصران انما هو على طريق الطمع والرجاء فاما ان كان الخرق كبيراً واسعاً ولا سيما ان كان في احد الامعاء الرقاق فليس فيه حيله ولا فيه برء البتة».

أما طرق خياطة الجروح فتتطبق على البطن ايضاً وهي:

- ١ - ان تخيط كل طبقة من الطبقات لوحدها.
- ٢ - ان يخيط جميع الطبقات بخيط مستمر بطرفين.
- ٣ - ان تخيط جميع الطبقات بقطب منفصلة قد ذكرت جميع هذه الطرق عند ابو قراط

وجالينوس، ويضيف الزهراوي طريقة أخرى وهي الخياطة بابرتين «وقد قال بعضهم قد تستقيم خياطة البطن بابرتين وذلك ان تدخل فيهما خيطاً واحداً وتبدأ بادخال الابر من عندك وتنفذها الى الجانب الاخر وتدخل الابر الاخرى من الجانب المقابل له فتنفذها من عندك على حسب خياطة الاساكفة سواء».

اما مداوة الجرح فهي كبقية الجروح، ويراعى بعد ذلك تغذية العليل يقول ابن القف^(٦) «ثم بعد هذا يراعى في تغذية العليل امور خمسة احدها ان لا يمتلىء من الطعام فانه يمدد احشاءه ويوجه الى كثرة القيام للتبرز وثانيهما ان يجعل غذاؤه حشورقيق لئلا يؤلمه لحشونته أو يوقف طبعه بيبوسة قوامه أو ثالثها ان يمنع من استعمال الحامض لئلا يلدغ الموضع أو يعجده ان كان ذا لدغ كالخل وماء الليمون ويقرب منه ماء النارنج ويمسك الطبع ان كان ذا قبض بالسماق والرعان والحصرم ورابعها ان يمنع من استعمال الاغذية المنفخة حذفاً مما ذكرناه وخامسها ان يمنعه من استعمال الفاكهة مطلقاً وذلك لانها ترطب الجرح وتنديه وتمنعه الى كثرة القيام».

وهذه التوجيهات صحيحة وهامة جداً في زمن لم يعرفوا فيه التغذية عبر الوريد.

وقد ادخل ابن زهر طريقة جديدة في تغذية المريض عن طريق انبوبة من الفضة تدخل في البلعوم ويعتبر هذا اول وصف لانبوبة المعدة كما انه كان اول من اوصى بتغذية المريض عن طريق الشرج في حالة ضيق بالمرء، وكان اول من وصف الفرق بين القرحة المعدية والسرطان المعدي وكتب عن التهابات الامعاء الغليظة^(٧).

التشخيص:- فصل الجراحون العرب الامراض الجراحية المختلفة وشخصوها كالقرحة والورم والسرطان والناصور والبواسير والقولنج الالتوائي والفتق بأنواعها، وقد انطلقوا من وصف التشريح المفصل يقول ابن سينا في تشريح المعدة^(٨) «فمنها أكثر عصبية ليكون أشد حساً ويأتيها عصب الدماغ شعبة تفيدها الحس لتشعر بالجوع والنقصان».

كما يقول في وصف الثرب OMENTUM «وهذا الثرب كانه جراب لو اوعى شيئاً سيالاً لأمسكه»^(٩) وهي ملاحظات دقيقة جداً مثل جميع التفصيل التشريحي عند الاطباء العرب.

ويشرح ابن سينا في القانون وظائف الاعضاء شرحاً تفصيلاً كما يشرح الامراض التي تحصل في جميع الاعضاء من المريء والمعدة والاثني عشر والمعاء الدقيقة والغليظة. ومن الامراض التي يذكرها في الفن الثالث عشر ص ١٢٣٣ في خمس مقالات:

- فصل في أورام المريء وعلاجها.
- انفجار الدم من المريء وعلاجه وبواسير المعدة.
- قروح المريء وعلاجها.
- في أمراض المعدة ويذكر أهمية الاحوال النفسية في امراض المعدة «وربما كان السبب غضباً أو غماً أو انفعالاً نفسانياً مما يحرك المادة»^(١٠).
- فصل في وجع المعدة والقرحة المعدية والاورام الحارة والباردة ثم يتحدث عن الكبد في الفصل الرابع عشر ومزاجه وأورامه، يقول في علاج الورم الصلب في الكبد «انه لم يبرأ من الورم الصلب المستحكم احد» وفي الشق والقطع^(١١) «زعم ابوقراط ان من انخرق كبده مات ويعني به تفرق اتصال عام فيها لجرحها ولعروقتها، وأما ما دون ذلك فقد يرجي وربما حدث هناك بوم واسهاله بحسب جانبي الكبد».

«وعلاج ذلك بالادوية القابضة والمفرية على ما تعلم وعلى ما قيل في باب نفث الدم وربما نفع سقيه وزن درهمين من الورد بماء الورد أو سقيه جلنار بماء الورد أو يضمده بهما أو يضمده بالطين المختوم مع الصندلين المحكوك بماء الورد فانه نافع».

وهي محاولة لوقف النزيف بالتضميد بالطين لعلها كانت نافعة ولكنها محاولة ضد الموت المقدر من ابوقراط، ويعالج ابن سينا الاستسقاء^(١٢). «وأما البزل من المراق فاعلم انه قلما تجمع الا في قوة البدن جدا ويجب ان لا تقدم عليه ما امكن علاج غيره والصواب ان لا يكون في دفعة واحدة فيستفرغ الروح دفعة وتسقط القوة بل قليلاً قليلاً».

«وان اردت ان تبزله فيجب ان تبزل أسفل السرة قدر ثلاث أصابع مضمومة ثم يشق ان كان الاستسقاء قد ابتداء من المعى وان كان من جانب الكبد فلتجعل الشق من الجانب الايسر من السرة وان كان السبب فيه الطحال فلتجعله من الجانب الايمن من السرة وارفق كي لا تشق الصفاق بل لتسلخ الصفاق عن المراق قليلاً الى اسفل من موضع

شق المراق ثم تثقب المراق ثقباً صغيراً على ان يكون ثقب المراق أسفل من ثقب الصفاق حتى اذا اخرجت الانبوبة انطبق ذلك الثقب فاحتبس الماء لاختلاف الشقين ثم لتدخل فيه انبوبة نحاس» ويتحدث ابن سينا في الفن الخامس عشر في أحوال المرارة والطحال^(١٣) ويتحدث عن الفرق بين اليرقان الاصفر والاسود.

ويعدد اسباب اليرقان الاصفر في:-

- كثرة تولد الصفراء
- امتناع استفراغها نتيجة أورام في الكبد وفي مجاري الصفراء أو لسدة تحتبس المرارة (حصاة المرارة) وتحدث عن القولنج مع السدة COLIC.

وقد عولجت جميع أمراض الكبد علاجاً تقليدياً بالادوية، ويتحدث عن القولنج والايلانوس، والقولنج يعني ألم القولون وايلانوس يعني ألم الامعاء الدقيقة وفرق بينهما بشكل دقيق.

أما أسباب القولنج فهي - سدة تمنع البراز، أكثره ورم أو ريح

- التواء قاتل للمعي، فتق، انتهاك رباط.

- ديدان مزدحمــــــــــــــــة.

- الثقل اليــــــــــــــــاس.

وتحدث عن الكلية وفرق القولنج في القولون وحصاة الكلية وحدد القولنج الالتوائي Ileus. يقول في علاج القولنج البارد «وأما تدبير القولنج البارد على سبيل القانون فانه لا يبادر فيه الى التخدير فان المبادرين الى تسكين الوجع بالمخدرات يركبون امرا عظيما من الخطر، فان استعمال المخدرات ليس هو بعلاج حقيقي في شيء، وذلك فان العلاج الحقيقي هو قطع السبب والتخدير تمكين للسبب وابطال للحس به «بل يشتغل بتبعيد السبب وتقطيعه وتحليله وتوسيع مسام ما احتبس بارتخائه»^(١٤).

وهذه ملاحظة هامة حتى يومنا هذا، وخصص للقولنج بأنواعه وعلاجه حوالي ٣٠ صفحة من القانون. (١٢٧٨ - ١٤٩٩)^(١٥).

ولعل الجراحة الوحيدة في علاج القولنج كانت مخصصة لعلاج القولنج الفتقي، وعلاجه باصلاح الفتق واصلاح الفتق النهائي لا يكون الا بالجراحة التي عرفها العرب ايضا.

ثانيا : الفتق :-

لم يأت على ذكر الادرة بأنواعها المعائية الريحية والمائية غير الزهراوي في الجزء الثلاثين من كتابه التصريف ووصف لها جميعا علاجاً جراحياً، ولم أعثر في قانون ابن سينا او في عمدة ابن القف أي اشارة للادرة او الفتق أو ما شابه بالرغم من تقارب زمن الزهراوي وابن سينا وبالرغم من ان ابن القف قد قرأ الاثنتين وأشار إليهما في كتبه وأشار للزهراوي خاصة في العمدة.

اما الادرة المائية فهي اجتماع الماء في الصفن ويسمى Hydrocele وسيأتي بحثها في مكان آخر، وأما الادرة الهوائية فهي الفتق الاربي الغير مباشر Indirect Inguinal واما الفتق الذي يكون في الاربية فهو الفتق الاربي المباشر Direct Inguinal واما الفتق الذي يكون في الاربية فهو الفتق الاربي المباشر Direct Inguinal واما الفتق الذي يكون في الاربية فهو الفتق الاربي المباشر Direct Inguinal وفي علاج الادرة المعائية بعد أن يعرض الزهراوي^(١٦) كيفية حدوث الادرة المعائية يقول «وقد يخرج مع المعاء الثرب فتسمى هذه الادرة معائية وثرية وقد تكون مع ريح وقد يجري في المعاء والزبل ويحتبس هناك فيكون معه هلاك العليل لانه يحدث وجعاً صعباً وقرقرة ولاسيما اذا عصر وعلاج أنواع هذه العلة بالحديد خطر فينبغي أن تحذر الوقوع فيه وصفة العمل ان تأمر العليل أن يرد المعاء بيده الى داخل جوفه ان تأتي للرجوع ثم يستلقي على قفاه بين يديك ويرفع ساقيه ثم تمد الجلد الذي يلي الاربية الى فوق وتشق جلده الخصي كلها بالطول ثم تغرز في شفتي الشق صفارات على قدر ما يحتاج لفتح الشق بها ويكون الشق على قدر ما يمكن ان تخرج منه البيضة ثم تسليخ الصفاقات التي تحت جلدة الخصي حتى اذا انكشف الصفاق الابيض الصلب من كل ناحية فحيث فادخل أصبعك السبابة فيما يلي البيضة فيما بين الصفاق الابيض الذي تحت جلدة البيضة وبين الصفاق الثاني ونطلق بها الالتصاق الذي من خلف البيضة ثم تشني باليد اليمنى الى داخل جلدة الخصي ومع هذا تمد الصفاق الابيض الى فوق باليد اليسرى وترفع البيضة مع الصفاق الى ناحية الشق وتأمر الخادم بمد البيضة الى فوق وتطلق انت الالتصاق الذي من

خلف اطلاقا تاما وتفتش بأصبعك لئلا يكون هناك شيء من المعاء المتتوي في الصفاق الابيض الصلب فان اصبحت منه شيئا فادفعه الى البطن اسفل، ثم تأخذ ابرة فيها خيط تخيط قد قتل من عشرة خيوط وتدخلها عند آخر الصفاق الذي تحت جلده الخصي الذي يلي الشق ثم تقطع اطراف انشاء الخيط حتى تكون اربعة خيوط ثم تتركب بعضها على بعض بشكل مصلب وتربط بها الصفاق التي قلنا أنها تحت جلدة الخصي رباطا شديداً من ناحيتين ثم تلتف أيضاً أطراف الخيوط وتربطها رباطا شديداً حتى لا يقدر شيء من الأوعية التي تغذوها على أن يصل اليها شيء لئلا يعرض من ذلك ورم حار ويعتبر أيضاً رباطا ثانياً خارجاً من الرباط الاول بعيداً منه أقل من اصبعين وبعد هذين الرباطين تدع من الصفاق الذي تحت جلدة الخصي قدر عظم الاصبع وتقطع الباقي كله على استدارة وتنزع معه البيضة، ثم تشق أسفل جلدة الخصي شقاً يسيل منه الدم والمدة كما وصفنا فيما تقدم».

ويمكن تلخيص ما سبق في عدة خطوات:

- ١ - رد الفتق الى داخل البطن
- ٢ - فتح الجلد على طول البيضة
- ٣ - تحرير البيضة
- ٤ - ارجاع الصفاق الى البطن وخياطة اخر الصفاق
- ٥ - قطع اخر الصفاق بعد اصبع من الخيط وقطع البيضة كذلك

ولعل الخطوة الاخيرة وهي قطع البيضة هي موضع السؤال ، فلماذا يتم قطعها ما دام الفتق قد عولج ولكن الزهراوي لا يجيب هذا السؤال اما علاج الفتق الذي في الاربية Direct Hernie فيفضل الزهراوي علاجها بالكي ولكنه يصف علاجها بالجراحة أيضاً «وقد يعالج بالحديد على هذه الصفة وهو ان يضطجع العليل على ظهره بين يديك ثم تشق موضع الفتق الوارم الثاني شقا بالعرض على قدر ثلاث اصابع ثم تبط الصفاقات التي تحت الجلد اذا انكشف الصفاق الابيض الذي يليه فتأخذ مرودا فتضعه على الموضع الثاني من الصفاق وتكبسه الى عمق البطن ثم تخيط الموضعين النائمين على طرف المروود من الصفاق وتلزم بالخياطة احدهما بالآخر ثم تسل طرف المروود ولا تقطع

الصفاق البتة ولا تمس البيضة ولا غير ذلك كما اعلمتك في علاج الادرة المعائية ثم تعالجه بعلاج الجراحات»^(١٧).

وقد عالج الرازي الفتق باستعمال الاحزمة ايضا .

ثالثا: جراحة الدوالي:-

يتعرض ابن سينا في القانون لتعريف الدوالي كما يتعرض ابن القف والزهرراوي .

يقول ابن سينا «هو اتساع عروق الساقين والقدم لكثرة ما ينزل اليها من الدم وكثرة الدم السوداوي، وقد يكون دماً نقياً غير سوداوي، وقد يكون دماً باغمياً وكيف ما كان يكون دماً لا عفونة فيه والا لما سلمت عليه الرجل من التقرح والاورام الخبيثة»^(١٨).

اما ابن القف والزهرراوي فيتفقان أنه دم سوداوي فقط.

«الدوالي هي عروق غلاظ مملوثة فضولاً سوداوية تحدث في أكثر أعضاء الجسم وأكثر حدوثها في الساقين»^(١٩).

ويرى فيها ابن القف مرضاً مضراً فيما ينتج عن السوداء^(٢٠).

ويذكر ابن سينا العلاج الجراحي بدون تفصيل.

(وهذه الدوالي قد لا تقبل العلاج. وقد تقطع فيعرض من قطعها هزال للعضو لعدم سواء في الغذاء^(٢١) ويعالجها ابن القف بالفصد والضمادات. اما الزهرراوي فيعالجها بالادوية والجراحة).

«فينبغي أولاً أن تستعمل نفخ البدن من المرة السوداء مرات نفصاً قوياً ثم افصد صاحبها الباسليق وأما علاجها بالحديد فيكون مرتين. أحدهما أن يشق ويخرج الدم الاسود. والوجه الآخر أن يسيل العرق ويخرج بأسره^(٢٢). ويفصل الزهرراوي تفاصيل الطريقتين^(٢٣). فأما شقه فعلى هذه الصفة تنطل الساق أولاً بالماء الحار نعماً حتى ينحل الدم الغليظ العكر ثم تشد ساق العليل من فوق فخذة الى أسفل ركبته بعمامة ثم تشق

العرق في موضع واحد أو في موضعين أو في ثلاثة شقاً واسعاً ثم تسلت الدم الاسود بيدك من أسفل الساق الى فوق ومن فوق الى أسفل حتى تخرج من الدم القدر الذي تراه كافياً أو ما تحتمل قوة العليل ثم تربطه وتأمره باجتناّب الأغذية المولدة للمرة السوداء ويعاد الاستفراغ والفصد متى امتلأت العروق وأضر ذلك بالعليل.

وأما سله فيكون على هذه الصفة تحلق ساق العليل ان كان فيه شعر كثير ثم تدخله الحمام وتنظّل ساقه بالماء الحار حتى تحمر وتندر العرق او يرتاض رياضة قوية ان لم يحضره حمام حتى يسخن العضو، ثم تشق الجلد قبالة العرق شقاً بالطول اما في آخره عند الركبة واما في أسفله عند الكعب ثم تفتح الجلد بالصنانيير وتسليخ العرق من كل جهة حتى يظهر للحس وهو عند ظهوره تراه أحمر قائماً فاذا خلص من الجلد تراه أيضاً كأنه الوتر، ثم تدخل تحته مروداً حتى اذا ارتفع وخرج عن الجلد علقه بصنارة عمياء ملساء، ثم شق شقاً آخر بقرب ذلك الشق بقدر ثلاث أصابع ثم اسليخ الجلد من على العرق حتى يظهره، ثم ارفعه بالمروود كما فعلت وعلقه بصنارة أخرى كما فعلت أولاً، ثم شق شقاً آخر أو شقوقاً كثيرة ان احتجت الى ذلك، ثم سله واقطعه في اخر الشق عند الكعب ثم اجذبه وسله حتى يخرج من الشق الثاني ثم اجذبه الى الشق الذي فوقه وافعل ذلك حتى تجذبه من الشق الثالث أعلى الشقوق كلها حتى اذا خرج جميعه فاقطعه، فان لم يجبك للجذب والسل فادخل ابرة بخيط قوى مثني واربطه واجذبه وادخل تحته المروود وافتل به يدك الى كل جهة حتى يخرج وتحفظ لا ينقطع فان انقطع فانه يعسر عليك سله جدا ويدخل على العليل منه مضرة، فاذا سللته كله فضع على موضع الجراحات صوفاً مغموساً في شراب ودهن ورد او زيت وعالجه حتى يبرأ، وهذا الوصف قريب ولا شك مما يجري في هذه الايام من تحضير للعملية واستئصال الدوالي وربطها ومما لا شك فيه ان الجراحون الاوربيون قد اضافوا الى هذه طريقة جديدة ولكن مبدأ استئصال الدوالي ما زال سارياً وحتى هذا القطع المتكرر قد يكون ضرورياً في بعض الحالات اذا لم يكن السل سهلاً.

رابعاً : - جراحة البواسير

يتحدث ابن سينا في الفصل السابع عشر من القانون عن أمراض المقعدة التي عرفها ويبدأ بالبواسير وأورام المقعدة ثم شقاق المقعدة واسترخاء المقعدة وخروجها ثم في

النواصير والحكة.

١ - يقسم ابن سينا البواسير الى ثلاثة أنواع.

«والبواسير تنقسم بضرب من القسمة المشهورة الى ثلوعية وهي اردؤها والى عنبية والى توتيه وتؤلوية تشبه الثآليل الصغار والعنبية مستعرضة مدوره ارجوانية اللون او الى الارجوانية والتوتية رخوة دموية»^(٢٤).

ويقول ابن القف «اما البواسير فهي زيادات تنبت حول المقعدة او داخلها بمواد سوداوية تنصب اليها»^(٢٥).

ويقول الزهراوي «تكون البواسير على نوعين اما ان تكون في داخل المقعدة تشبه تفاحات حمر او كأنها حب العنب وتكون منها صغار وكبار الدم يسيل منها دائماً وتكون واحده وتكون كثيرة. وتكون خارج المقعدة وفي أطرافها. الا ان هذه التي تكون من خارج المقعدة. تكون في أكثر الأمر قليلة الرطوبة يسيل منها ماء أصفر أو قليل دم سيلانا دائماً وتكون على لون البدن»^(٢٦).

وبينما يفضل ابن سينا التقسيم حسب المظهر يفضل الزهراوي وابن القف التقسيم الموضوعي وهو المتبع في أيامنا هذه.

٢ - وبينما يسارع ابن القف والزهراوي الى ذكر العلاج الجراحي نجد ابن سينا يولي العلاج الطبيعي أولوية ونلخص ما ذكره حول الموضوع^(٢٧).

- ١ - اصلاح البدن والفصد.
- ٢ - تليين الطبيعة لئلا تؤذي صلابة الثقل المقعدة، واستعمال المسهلات والمليينات.
- ٣ - الادوية الباسورية اما مفتحات، مدملات، حابسات لافراط السيلان قاطعات له. مسكنات اللوجع .
- ٤ - انواعها اما مشروبات واما حمولات، اطلية، ضمادات ولطوخات أو ذرورات ومبخرات أو مياه يجلس فيها أو حوابس.
- ٥ - ابانة الباسور، اسقاط بقطعه، أو تخفيفه واطراقه بما يفعل ذلك ويقول في فصل تدبير

قطع البواسير.

«اسقاط البواسير قد يكون بقطع بها وقد يكون الادوية الحادة واذا كانت بواسير عدة لم يحب ان تقطع جميعها معا بل يجب ان تسمع وصية ابو قراط ويترك منها واحدة.

ثم تعالج بل الاصوب ان تعالج بالقطع واحد بعد واحدة ان صبر على ذلك. وفي آخر الامر يترك منها واحدة يسيل منها الدم الفاسد المعتاد في الطبيعة خروجها منها. وذلك المقطوع - ان كان ظاهرا - كان تديره أسهل. وان كان غائرا كان تديره أصعب. والظاهر فان الاصوب ان يشد أصله بخيط ابريسم أو كتان، أو شعر قوي ويترك. فان سقط بذلك، والا جرب عليه الادوية المسقطة والاقطع والغائر يجب ان يقلب ثم يقطع».

«والجلوس في نبيذ الدادى عجيب النفع في تسكين وجع القطع ونحوه وكذلك الجلوس في مياه طبخ فيها المليينات والتنطيل بها».

«على انه يجب ان يمنع من دخول الخلاء يوما وليلة. وخصوصاً بعد نزف قوي، واما ان لم ترد يكون قطع الباسور بالة او خزم بل بالدواء، نثر عليه دواء حاد. فانه يأكله ويفنيه ويظهر اللحم الصحيح»^(٢٨). فابن سينا يحضر المريض ويقطع البواسير بالحديد أو الخيط ثم يعالجه بعد العملية الجراحية أيضاً.

ويوضح الزهراوي طريقة القطع «وعلاج الذي يكون من داخل المقعدة ان تأمر العليل ان يتبرز ويتزحر حتى تخرج المقعدة ويظهر اليك الثآليل فتسرع فتعلقها بالصنانير أو تمسكها بظفرك ثم تقطعها عند أصولها فان لم تحتبس فيها الصنار لرطوبتها واسترخائها فخذها بخرقة خشنة أو بقطع من خبه مرغز أو أجذبها باصابعك ثم اقطعها ثم ذر عليها بعد القطع بعض الذروات الحادة لكي تقوم لها مقام الكي. او فاكوها على ما تقدم في باب الكي ثم عالجها بسائر العلاج حين يبرأ. فان لم تجبك المقعدة للخروج فاحقن العليل بحقنه فيها قليلا لتغسل بها ما في المقعد وتنقاد للخروج بسرعة عندما يتزحر العليل». ومن كسرة القطع بالحديد فينبغي ان تستعمل خزمها على هذه الصفة .

- تأخذ خيطا مفتولا وتدخله في ابرة ثم تجذب الثؤلول الى فوق وتنفذه بالابرة في

أصله من الجهة الأخرى وتلف طرفي الخيط أسفل الأبرة وهي معترضة وتشد الثلول شداً وثيقاً ثم تعقد الخيط وتخرج الأبرة، تفعل ذلك بجميع التآليل وتترك منها واحدة لا تخرمها لتسيل منها فصله الدم، ثم تضع على المقعدة خرقة مغموسة في دهن ورد أو قيروطي وتضعها على المقعدة وتأمّر العليل بالسكون ثم تتركه حتى تسقطت فإذا سقطت التآليل فعالجها بالمرهم وسائر العلاجات حتى تبرأ^(٣٩). وهذه الطريقة من الطرق الحديثة اللينة إذ تتجنب النزيف القوي في عملية البواسير ويصف ابن سينا مأكولات خاصة للمبسور «ان يجتنبوا كل غليظ من اللحمان أو الأشياء اللينة وكل محرق من الدم من التوابل ويجب ان يأكل أو يسرع هضمه»^(٣٠). ويورد ابن القف^(٣١) ثلاثة أنواع للعلاج.

«ثم بعد ذلك يستعمل العلاج وهو على ثلاثة أنواع الخزم والشد والقطع أما الخزم فهذا ان تأخذ أبرة وتجعل في خرمة خيط ابريسم مفتول فتلاً جيداً وتدخل الأبرة داخل الباسوره في أصلها ثم تدير الخيط على أصلها وتربطه ربطاً وثيقاً ومن الناس من يلف الخيط على أصل الباسورة تحت الأبرة وهي معرضة فيها ويلف الخيط ثلاث اربع طاقات ويشد بعد ذلك وأما الشد فهو أن تشد الباسوره عند أصلها شداً معتدلاً ثم يربط الخيط بناشوطه ويترك يوماً وليلة ثم يحل الشد ويربط أقوى من ذلك ويترك يوماً وليلة ثم كذلك في اليوم الآخر الى حين تسقط الباسورة. وأما القطع فهو ان تعلق منها الصنارة أو ظفر طويل أو تمسك بخرقة خشنة بريق ثم تقطع من أصلها بمقراض بعد ان يقوم العليل على ظهره في موضع مضى ويرفع الى فوق ثم بعد ذلك يذر على الموضع الذرور».

ويضيف ابن القف هنا الموضع المضى لعملية في بقعة مظلمة ثم يضيف رفع المريض الى فوق ما يسمى اليوم Trendelenburg Position وضع ترند لنبرغ.

وقد وضع الجراحون العرب كتباً خاصة عن البواسير نظراً لما كانت أمراض البواسير تمثله من مشكلة طبية كبيرة وقد كتب ابو عمران موسى ابو ميمون - ١٢٠٤ - ١١٣٥ كتاباً سماه في البواسير ركز فيه على دور التغذية والجراحة في حالات خاصة وهذا هو احدث اتجاه لعلاج البواسير في هذه الايام بعيداً عن الجراحة.

كما كتب محمد بن محمود القسم ١٥٢٥ م كتاباً سماه (زاد المصير في علاج البواسير) كرسه لعلاج البواسير^(٣٢).

وتحدث ابن سينا عن اورام المقعدة «أورام المقعدة قد تعرض في الأقل مبتدئة وفي الأكثر عقيب الشقاق والحكة، وعقيب انسداد البواسير وعقيب معالجة البواسير بالقطع والادوية الحادة وإذا كانت الاورام تجمع وتصير خراجات خيف عليها ان تصير نواصير فلهذا أربطها قبل النضج»^(٣٣).

أما علاج شقاق المقعدة فهو بالدهون او بالحك «فان لم يسكن بهذا فحك حول المقعدة بالمجس حكاً قوياً حتى يدمي ثم يعالج بما تعالج به الجراحات ومع ذلك فامر به بما يلين الطبع وامنعه مما يمسكه»^(٣٤). ويعرض ابن سينا في فصل استرخاء المقعدة لمضاعفات البواسير والنواصير «وقد يكون بسبب ناصور او خزم باصور وقطعه اذا اصاب العضلة آفة عامة وقد يكون بسبب سقطة على الظهر او ضربة تضر بمبدأ العصب تهتكه وهذا يكون دققه ولا علاج له»^(٣٥). ثم يقول «وربما كان استرخاء مع حس وربما كان مع بطلان الحس والذي مع الحس اسلم»^(٣٦). ولا شك ان هذه ملاحظات قيمة وصحيحة.

خامساً: النواصير:-

١ - يعرف الزهراوي النواصير فيقول «اعلم ان كل جرح أو ورم اذا أزمن وتقادم وصار قرحة ولم يلتحم وكان يمد القيح دائماً لا ينقطع فيسمى على الجملة في أي عضو كان ناصوراً ونحن نسميه زكاماً والناصر هو على الحقيقة تعقد متلبد صلب أبيض لا وجع معه له تجويف كتجويف ريش الطير ولذلك سماه بعضهم ريشه»^(٣٧).

وهذا وصف دقيق بالاضافة الى حقيقة أنه يحدث في سائر الاعضاء والنواصير قد تكون له فم واحد او عدة افواه يمكن تحديدها كما ذكر الزهراوي .

«فخذ مسبارا sonde من نحاس أو حديد ان كان الناصور على استقامة ففتشه به، فان كان في الناصور تقريح ففتشه بمسبار من رصاص رقيق لان الرصاص يلين جسمه فيسلس عند الدخول وينعطف نحو التقريح فان كان الناصور ذا افواه كثيرة لا يمكنك ان تستدل عليها بالمسبار فاحقن منها فماً واحداً من افواهه الرطبة فان الرطوبة التي تحقن بها تسلك نحو الافواه الأخرى وتسيل منها ثم استقص التفتيش على أي وجه أمكنك لتعرف ان كان هناك عظم أو عصب أو كان الناصور قعره بعيداً أو قريباً»^(٣٨) ويقول ابن سينا:

«ويعرف الفرق بين النافذ وغير النافذ بادخال ميل في الناصور وأصبح في المقعدة يتجسس بهما مستهماً موضع الميل (المروء) فيعرف النفوذ وغير النفوذ»^(٣٩).

«والنافذ قد يكون له فوهة واحدة وقد يكون كثير الأفواه»^(٤٠) وبذا تتكون صورة واضحة عن التعريف والتشخيص بالمروء أو بالحقن بمادة معينة لمعرفة الفم الواحد أو الأفواه العديدة وهذا الكلام يبدو معاصراً.

٢ - أما العلاج فيتم اما بأدوية كاوية «والاستعمل الدواء الحاد لتبين ظاهر الناصور واللحم الميت ويظهر اللحم الصحيح»^(٤١). أو بالجراحة فان وقفت على جميع ذلك وقوف حقيقة فحينئذ فصر الى العلاج على ثقة وهو ان تنظر فان كان الناصور ظاهراً قريباً أو في موضع سالم بعيداً من مفصل أو عصب أو شريان أو وريد أو أحد المواضع التي ذكرت فشق الناصور على ما تقدم من وصفي وانتزع ما فيه من التلبد واللحم الفاسدة واللحم الزائدة وما ينبت في فمه من لحم أو ثؤلول أو نحو ذلك وعالجه حتى يبرأ.

«فان كان الناصور بعيد القعر وكان على استقامة فينبغي أن تشقه في العمق بقدر ما أمكنك ثم تنقيه من جميع لحومه الفاسدة ثم استعمل الفتلة المثلثة في الادوية الحادة ودسها الى قعر الناصور الذي تدركه بالحديد، افعل ذلك مرات حتى يأكل ذلك الدواء الحاد جميع ما تبقى في قعر الناصور من الفساد ثم اجبره بالمراهم التي تثبت اللحم صحيحاً حتى يبرأ فان لم يبرأ بذلك فاكوه على ما تقدم وصفه»^(٤٢).

٣ - اما اذا كان الناصور بجانب العظم وكان هناك فساد في العظم فلا بد من نشر العظم وتنظيفه يتحدث الزهراوي عن التهابات العظم المزمنة OSTEOMYELITIS CHRONIC الذي تكون ناصورا أيضاً^(٤٣).

«وأنا أخبرك في زكام كان قد عرض لرجل في ساقه لتجعله مثلاً وعوناً على علاجه، كان هذا الرجل حدث السن نحو الثلاثين عاماً قد عرض له وجع في ساقه عن سبب تحرك عليه من داخل البدن حتى اتصلت المواد الى الساق وتورم ورماً عظيماً ولم يكن سبب من خارج، ثم تمادى به الزمان مع خطأ الاطباء حتى انفتح الورم وجرت منه مواد كثيرة واسيء في علاجه حتى تزكم الساق وصارت فيه أفواه كثيرة كلها تمد القيح

ورطوبات البدن فعالجه جماعة من الاطباء نحو عامين ولم يكن فيهم حاذق بصناعة اليد حتى قصدني فرأيت ساقه والمواد تسيل من تلك الافواه سيلاناً عظيماً والرجل قد نحل جسمه واصفر لونه فادخلت المسبار في أحد تلك الافواه فافضى المسبار الى العظم ثم فنشت الافواه كلها موجاتها تقص بعضها الى بعض من جميع جهات الساق فبدرت فشقت على أحد تلك الافواه حتى كشفت بعض العظم فوجدته فاسداً قد تأكل وأسود وتعفن وتنقب حتى نفذت الثقب الى المخ فنشرت ما انكشف لي وتمكن من العظم الفاسد وأنا اظن ان ليس في العظم غير ذلك الفساد الذي قطعت ونشرت واني قد استأصلته، ثم جعلت اجبر الجرح بالأدوية الملحمة مدة أطول فلم يلتحم ثم عدت فكشفت عن العظم ثانية فوق الكشف الأول فوجدت الفساد متصلاً بالعظم فنشرت ما ظهر لي أيضاً من ذلك الفساد ثم رمت اجباره فلم يجبر ولا التحم ثم كشفت عليه أيضاً فلم أزل أقطع العظم جزءاً جزءاً وأروم جبره فلا يجبر حتى قطعت من العظم نحو شبر وأخرجته بمخه ثم جبرته بالأدوية فالتحم سريعاً وبريء وإنما وجب هذا التكرار في عمله وشقه لحالة ضعف العليل وقلة احتماله وخوفي عليه الموت لانه كان يحدث له في كل الأوقات من افراط الاستفراغ غشى رديء فبريء برأ تاماً ونبت في موضع العظم لحم صلب وصلحت حاله في جسمه وتراجعت قوته وتصرف في أحواله ولم تتعرضه في المشي آفة تضر به البتة» (٤٤).

٤ - ويتحدث الزهراوي في الفصل الثامن والثمانين من كتاب الجراحة والادوات عن علاج الخبايا وكيفية حقن الادوية.

«والخبايا هي مقدمة النواصير على ما ذكر أي أنها دمايل كبيرة» اذا حدث ورم في الأعضاء اللحمية وطالت مدة الورم حتى جمع مدة ثم انفجر أو بط وخرج جميع ما كان فيه من المدة وبقي الموضع فارغاً كأنه وعاء والجلد الذي عليه كالحرق قد رق ولم يكن بالغ في مسارد أن أثر في عظم ولا في عصب ولا في رباط ومن هنا استحق ان يسمى مخبأ ولم يسمى ناصورا الا إن تطول مدته حتى يورث الفساد في شيء من هذه الاعضاء فحيثئذ يسمى ناصور او زكاماً» (٤٥).

ويعالجه بالبط والادوية حتى يبرأ «فإن طال أمر الخبايا ولم يبرأ بهذا العلاج فاعلم ان

في غوره فساداً وقد أثر في العظام أو في سائر الاعصاب الصلبة أو الرباطات فعالجه علاج الناصور على ما تقدم^(٤٦). ويضع بها ادوية ويضع فتائل بها ادوية مختلفة.

ختاماً نلخص ما مر في الجراحة العامة:-

- ١ - ان الجراحين العرب لم يقفوا عند الحدود التي وضعها ابوقراط وجالينوس بل تجاوزوها في الجراحة واجراء العمليات وقد اعتمدوا على الخبرة والتجارب المكتسبة في توسيع آفاق علومهم.
- ٢ - ان الزهراوي استعمل الخيط المسلول من مصران الحيوان في خياطة الامعاء واستعملوا اساليب في الخياطة لا تختلف عن الاساليب التي ظلت تستعمل الى يومنا هذا.
- ٣ - اهتموا بمسألة التغذية بعد العمليات بشكل عام وعمليات البطن بشكل خاص، وأضاف ابن زهر التغذية بواسطة انبوبة عند ضيق المريء او بواسطة الشرج.
- ٤ - اهتم ابن سينا بوصف أعراض جميع أمراض البطن الجراحية وان كان عالجها بطريقة محافظة الا أنه وصفها وصفاً دقيقاً وفرق بين القولنج والحصوة في الكلية أو الحالب والايلوس أي وجع الأمعاء الدقيقة وحدد وظائف جميع الاعضاء.
- ٥ - ذكر الزهراوي الفرق بين الفتق الاربي المباشر والغير مباشر وذكر علاجهما الجراحي.
- ٦ - عرف الجراحون العرب استئصال الدوالي - وسهلها بطريقة تقارب الطريقة العصرية.
- ٧ - اهتموا كثيراً بجراحة البواسير وعرفوا ثلاث طرق لعلاجها الشد والقطع والخرم كما عرفوا علاجها بالادوية والطرق المحافظة.
- ٨ - ذكر ابن سينا استرخاء المقعدة كنتيجة لجرح العضلة القابضة كأحد مضاعفات جراحة البواسير والنواصير.

- ٩ - وصف ابن القف النوم في وضع تريند لنبرغ أثناء عملية البواسير.
- ١٠ - وضعوا كتباً خاصة لجراحة البواسير.
- ١١ - عرفوا النواصير المتعددة الفتحات وشخصوها بالحقن والمسبار وعالجوها بالجراحة أو بالكلي أو بالأدوية الحادة.
- ١٢ - عرفوا علاج الالتهاب المزمنة أعظم التي تنشي النواصير وعالجوها باستئصال العظم أو ببيتره وإمكانية عودة الناصور بعد علاجه.

مراجع الفصل الحادي عشر

- ١ - ابن القف ، العمدة في الجراحة ، الطبعة الاولى - حيدر اباد بلا تاريخ . مكتبة الجامعة الاردنية ص ٩٨ ج ٢ .
- ٢ - ابن القف - العمدة في الجراحة - المصدر السابق ص ١٠٣ ج ٢ .
- ٣ - ابن القف - العمدة في الجراحة - المصدر السابق ص ١٠٦ ج ٢ .
- ٤ - الزهراوي - ص ٥٤٩ ALBUCASIS ON SURGERY AND INSTRUMENTS BY MS. SPINK AND G.L LEWIS WELLCOME INSTITUTE 1973.
- ٥ - الزهراوي - ALBUCASIS المصدر السابق ص ٥٤٩ .
- ٦ - ابن القف - العمدة في الجراحة - المصدر السابق ص ١٠٦ ج ٢ .
- ٧ - د. احمد عبد الحي وسيد وسيم احمد - ص ٩٣ ISLAMIC MEDICINE - INTERNATIONAL CONFERENCE KUWAIT 1981.
- ٨ - ابن سينا ، القانون في الطب - حقق عليه ادوار القش ص ١٢٣٤ استاذ في الجامعة اللبنانية - بيروت - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
- ٩ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ١٢٣٥ .
- ١٠ - ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ١٢٤١ .

- ١١- ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ١٣٧٠ .
- ١٢- ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ١٣٨٧ .
- ١٣- ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ١٣٩٧ .
- ١٤- ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ١٤٧٩ .
- ١٥- ابن سينا - القانون - المصدر السابق ص ١٤٦٨ - ١٤٩٩ .
- ١٦- الزهراوي - ALBUCASIS المصدر السابق ص ٤٤١ .
- ١٧- الزهراوي - ALBUCASIS - المصدر السابق ص ٤٤٩ .
- ١٨- ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ١٧٠٤ .
- ١٩- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر - ص ٥٩٥ .
- ٢٠- ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر ص ٥٤ ج ٨ .
- ٢١- ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ١٧٠٤ .
- ٢٢- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر ص ٥٩٥ .
- ٢٣- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر ص ٥٩٩-٥٩٥ .
- ٢٤- ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ١٥٠٩ .
- ٢٥- ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر ص ٢١٩ ج ٢ .
- ٢٦- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر ص ٥١٣ .
- ٢٧- ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ١٥١٠ .
- ٢٨- ابن سينا - القانون - نفس المصدر - ص ١٥١١ .
- ٢٩- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر - ص ٥١٥ .
- ٣٠- ابن سينا - القانون - نفس المصدر - ص ١٥١٦ .
- ٣١- ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر - ص ٢١٩ ج ٢ .
- ٣٢- د. سامي حمارنه JOURNAL OF HISTORY OF ARAB SCIENCES ١٩٧٧ .
- ٣٣- د. سامي حمارنه - نفس المصدر J.H.A.S .

- ٣٤- ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ١٥١٧ .
- ٣٥- ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر ص ٢٢٠ ج ٢ .
- ٣٦- ابن سينا - القانون - نفس المصدر - ١٥١٩
- ٣٧- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر - ص ٥١٣ .
- ٣٨- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر - ص ٥٥٥ .
- ٣٩- ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ١٥٢٠ .
- ٤٠- ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ١٥٢١ .
- ٤١- ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ١٥٢١ .
- ٤٢- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر ص ٥٥٧
- ٤٣- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر ص ٥٥٩
- ٤٤- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر ص ٥٣٩
- ٤٥- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر ص ٥٨٣
- ٤٦- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر ص ٥٨ .

الفصل الثاني عشر جراحة المسالك البولية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الفصل الثاني عشر جراحة المسالك البولية

عرف الاطباء والجراحون العرب تشريح الكلى والمسالك البولية ووظائفها ووصفوها في كتبهم، وقد أسهبوا في وصف التشريح والعمليات الجراحية المحدودة التي قاموا باجرائها، وكفرع من الجراحة فقد نال هذا القسم أيضاً حظاً من التطور والابداع الذي تناسب مع مستوى الثقافة والعلوم في ذلك الوقت.

١ - التشريح: يصف ابن القف (العمدة في الجراحة) في الفصل الثامن والتاسع عشر تشريح الكليتين والمثانة^(١) «اما الكليتين فانها موضعتان على جنبي فقار الصلب، واليمنى أرفع من اليسرى حتى أنها ربما واحدة منهما قاربت زوائد الكبد. وجوهرها صلب ولونها أحمر وشكلها مستطيل، ولكل واحدة منهما تحديب يلي الصلب وتغير من داخل ويفصل بكل واحدة منها شعبتان من الكبد احدهما يأتي فيها غذائها والأخرى تنفذ فيها المائية. وهذا المجرى يسمى البربخ ولكل واحدة منهما مجرى آخر يتصل بالمثانة يسمى الحالب وهو أضيق من الأول ويتصل بكل واحدة منهما شعبة من الشريان المستبطن بالصلب وعصبة من اعصاب النخاع على ما عرفت فهذه هيئة الكليتين».

ويلاحظ الخلط عند مقارنتها بالمعلومات الحديثة، فالكلى لا يصلها أي شعبة من الكبد لا ماء ولا غذاء كما أنه لم يذكر أي شيء عن التقسيم الداخلي للكلى. وعن المثانة يقول «المثانة عضو عصبي ذات طبقة واحدة ظاهرة للحس صلبة الجوهر، منسجة من أصناف الشظايا الثلاث وشكلها مستدير وعند اتصال الحالب بها لها طبقتان فاذا اتصل الحالب بالطبقة الخارجية دخل بينهما ثم اتصل بغم الطبقة الخارجية يقابله نفس الطبقة، وعند اتصال الحالب بها لحماية ما وغدد تولد رطوبة تسمى عند الاطباء المذى، وعلى فيها عضلة مستديرة تمنع خروج البول بغير ارادة وتتصل بها من نخاع العجز عصبة ومن الشرايين والاوردة المتحددة الى الرجل شعب»^(٢).

وهو تشريح لا يقارن بالتشريح الحديث ثم يتحدث ابن القف في الفصل العشرون

عن تشريح الخصيتين والقضيب والجهاز التناسلي عند المرأة. ولا بد من توضيح أن المعلومات التشريحية ليست كافية ولعل هذا أعاق التقدم في جراحة المسالك البولية.

٢ - التشخيص : عرف الاطباء أهمية البول واستدلوا من أحواله وتغير صفاته أحوال الجسد يقول ابن سينا. «يستدل من البول في مقداره ورقته، ولونه، وما يخالطه، ومن حال العطش ومن حال الشهوة والجماع ومن حال الظهر وأوجاعه ومن حال الساقين ومن نفس الوجع ومن الملمس ومما يوافق وينافر، وأمراض الكلية قد يصحبها قلة البول وتفاقر ما يسببها من أمراض الكبد بأن الشهوة لا تكون ساقطة كل السقوط ومن بال بولاً كثير الغيب فوقه، فيه علة في كلاه، وكذلك صاحب الرسوب اللحمي والشعري والكرسني النضيج، لان النضيج من قبل الكلية، لكن النضج اذا كان شديداً جداً ومعه خلط من أشياء أخرى فأحس أن العلة في المثانة وان كان النضج دون ذلك في الكلية»^(٣).

ويستعرض ابن سينا في المقالة الثانية «الأوقات التي يعرض فيها البول ويذكر حرق البول وعسر البول واحتباسه وسلسه ومن جملتها كثرته وتقطيره وديايطس في جملة كثرته»^(٤) وقد وصف لها علاجات كثيرة ويذكر في فصل امراض الكلية «الكلية قد يعرض لها أمراض المزاج ويعرض لها أمراض التركيب من صغير المقدار وكبره ومن السدة، ومن جملتها الحصاة وأمراض الاتصال مثل القروح والاكلة وانقطاع العروق وانتفاخها وكل ذلك يعرض لها اما في نفسها واما في المجاري التي بينها وبين غيرها وذلك في العليل»^(٥).

ويتحدث ابن سينا ايضا عن القشاطر واستعمالها في التبول والزرق «يقول اذا لم تنجح الأدوية لم يكن بد من حيلة أخرى ومن استعمال القشاطر والمبولة واياك ان تستعملها عند ورم المثانة أو في ضاغط لها قريب فان ادخالها يورم ويزيد الوجع، واجود القشاطر ما كان من ألين الاجساد وأقبلها للثنينة وقد يوجد جلود بعض حيوانات البحر وبعض جلود حيوانات البر، اذا دبغ دباعة ما ثم اتخذ منه آلة والصقت بغراء الجبن، وقد يتخذ من الاسرب والرصاص القلعي وهو جيد ايضاً.. ومع ذلك فانه يشدد الرصاصين وحينئذ يجب أن يكون رأسها صلباً مستديراً ويثقب فيها عدة ثقوب.. وقد يتخذ من

الفضة ومن سائر الأجساد وقد يعد جميع ذلك نحو حقن شيء فيه، وقد يعد نحو استخراج شيء به وقد يمكن أن يتخذ على نحو الحقنة المختارة التي ذكرناها في باب القولنج.. وأما استعمال هذه الآلة فأجوده أن يجلس العليل على طرف عصصه منزعج المقعدة مضبوطاً من خلف، وقد طليت القشاطر بأدهان مناسبة فإذا استوى فيه قدر عقدة ينصب الذكر نصباً مستوياً كالقائم مع ميل إلى ناحية السرة. ثم يرفع في دفع القشاطر في مجرى المثانة قدر عقدة أو عقدتين^(٦).

أي أن ابن سينا يشرح مادة القشاطر المستعملة وكيفية ادخالها بطريقة معاصرة تقريباً كما يشرح تكون الحقنة واستعمالها في التشخيص والعلاج وقد استعمل العرب المجسات Sonds في المسالك البولية لتوسيع مجرى البول.

ذكر التجاني الماحي في كتاب مقدمة في تاريخ الطب العربي نقداً عن طاشكبرى عن أحد أساتذته قال: «نبت لي ألم في مجرى البول حتى كدت أموت فعرضت ذلك على الأطباء فأمرؤا بقطع العضو، ثم ذهبت إلى ابن الذهبي فعرضت عليه حالي وقول الأطباء في قطعه قال: فضحك من قولهم ثم استدعى برصاص فعمل منه إبراً كثيرة بعضها اغلظ من بعض فجعل الدقيق أولاً ثم الاغلظ فالاغلظ، وما تم يوم وليلة حتى انفتح ثم أوصاني بأن لا أخلي العضو من أن أدخل فيه ابرة عظيمة غليظة من تلك الإبر مقدار سنة^(٧) ويصف الزهراوي الحقنة الزرقة لحقن المثانة.

«إذا عرض في المثانة قرحة أو جمد فيها دم أو احتقن ثم وارتد ان تقطرا المياه والادوية فيكون ذلك بالة تسمى الزرقة وهذه صورتها تصنع من فضة أو من عاج مجوفة. لها انبوبة طويلة على رقة الميل مجوفة كلها الا الطرف فانه مصمت فيه ثلاث ثقب اثنتان من جهة وواحدة من جهة أخرى كما ترى والموضع الاجوف الذي فيه المدفع يكون على قدر ما يسده بلا مزيد حتى اذا جربت به شيئاً من الرطوبات انجذبت واذا دفعت به اندفعت إلى بعد^(٨).

ويصف ايضاً محقنة للمثانة تصنع من فضة أو أسبادورس رأسها الأعلى يشبه القمع الصغير وتحتته حز يقع فيه الرباط^(٩).

٣ - الأعمال الجراحية: لم يجرؤ أحد في تلك الايام ان يفتح الكلية في مريض، وعالجوا كل أمراضها بالوسائل التقليدية كالأعشاب والاطلاءات، ولكن الأعضاء الظاهرة تم اجراء عمليات جراحية بها كالحصيتين والقضيب بالإضافة الى المثانة.

أ- الطهور: الطهور عادة قديمة تعود الى عبادات قديمة مثل عبادة الزهرة والقمر وغيرها وكان يقوم باجرائها الكهنة أو مطهرين خاصين ولكن الطب العربي أدخلها ضمن الأعمال الجراحية التي يجب اجرائها من قبل الطبيب وقد أفرد لها أبواباً خاصة في كتب الطب والجراحة.

يقول ابن القف^(١٠) في الفصل الواحد والعشرين من الجزء الثاني من كتاب العمدة «أما التطهير فيستعمل على وجوه احدهما ان تجعل القلفة داخل المشقاص بحيث ان تصير الكمرة خارجة عن ذلك ثم تقطع بموس حاد. وثانيها ان تجعل شيء مستدير على قدر سعة جلدة القلفة داخل القلفة ويدفع بها الكمرة الى داخل وتمسك الجلدة بقوة ثم تقطع.

وثالثها ان تربط القلفة بخيط ناعم بحيث ان تجعل الكمرة داخل الرباط فيدفع باليد ثم تقطع القلفة من دون الرباط.

ورابعها ان يجعل داخل القلفة مرود يدفع الكمرة ويمسك طرف القلفة ثم يجعل المشقاص على القلفة وهو ما بين الكمرة وطرف المرود ثم يقطع بموس حاد الى الغاية ثم بعد هذا العمل جميعه اترك الكمرة تخرج واترك الدم يخرج ثم ذر على هذا الموضع رمادا وأجوده رماد القرع اليابس او تذر على الموضع بعض الذرورات القاطعة للدم ويعصب الموضع ويترك حتى يجف ثم يدخل ثاني يوم الحمام ويطهر بماء حار حتى تخرج اللقافة ثم يعالج بعلاج الجراحات الى حين يختم على الموضع ويبرأ».

ب- استخراج الحصاة: يتحدث ابن سينا^(١١) في فصل عن حصاة الكلية وسببها ثم يعرض فصلاً لعلاج الحصاة^(١٢) «لندكرها هنا المعالجات التي تكون للكلية خاصة والمشاركة بها مع حصاة المثانة، ثم نود لحصاة المثانة باباً منفرداً وعلاجات مفردة خاصة، والاعراض التي تقصدها الاطباء في علاج الحصاة، قطع مادتها ومنع تولدها

بقطع السبب واصلاحه ثم تفتيتها وكسرها، وازعاجها وابانتها من متعلقها بالادوية التي تفعل ذلك ثم اخراجها والتلطف فيه وترتيبه وذلك يتم بالادوية المدرة، أو بمعونات من الخارج. ثم تدير وتسكين الأوجاع واصلاح ما يعرف معها من قروح وقد يتصدى قوم لاجراجها من الشق بالخاصرة ومن الظهر وهو خطر عظيم وفعل من لا عقل له».

وشك أن تسلل الأفكار منطقي الى أن يصل الى شق الخاصرة والتي لم يصلنا عنه شيء ولعله احدى العمليات المغامرة في تلك الايام ولكن ذكرها يعني حدوثها، وهناك أدوية كثيرة مفتتة وأغذية خاصة لتجنب الحصة ولتفتيتها.

ويتحدث الزهراوي عن تفتيت الحصة بالة رسمها واستعملها^(١٣) لتفتيت الحصة الكبيرة في المثانة ويقول ابن سينا^(١٤):

«وإذا عسر البول أو احتبس بسبب حصة المثانة ولم يكن سبيل الى شق لحائل أو لجفن فمن الناس من يحتال فيشق فيما بين الشرج والخصي شقاً صغيراً، ويجعل فيه أنبوباً ليخرج به البول، فيدفع الموت وإن كان عبثاً غير هنيئ، وإن لم تنجح الادوية، وأريد الشق يجب أن يختار الشق من يعرف تشريح المثانة، ويعرف المواضع التي تتصل به من عنقها أوعية المنى ويعرف موضع الشريان وموضع اللحمى من المثانة، ليتوقى ما يجب ان يتوقاه فلا تحدث آفة في النسل أو نزفاً للدم أو ناصوراً لم يلتحم ويجب ان يكمد المعى والمثانة قبل ذلك مشتعلاً ومع هذا الاشتعال بالشق خطر عظيم وأنا لا اذن به». ابن سينا يشرح كل شيء بالتفصيل ولكنه حذر جداً في العمليات ويتفق الجميع على عدة خطوات:

- ١ - تحضير المريض للعملية:
 - أ- يحقن العليل وتنقى أمعاءه من جميع ما فيها.
 - ب- يجلس المريض في وضع وهو أن يهياً كرسي يقعد عليه العليل ويحضر خادم يدخل يديه تحت ركبتيه ثم يدبر للشق.
- ٢ - يجلس موضع الحصة بالاصبع في المقعدة.
- ٣ - يتجنب الدرز ويكون الشق موارباً.
- ٤ - تخرج الحصة بالملقط وإذا كانت كبيرة تفتت ثم تخرج.
- ٥ - يمكن شق القضيب اذا كانت به حصة عالقة وقد وصفت الطريقة أيضاً.

٦ - علاج الجروح هو العلاج التقليدي ويراعى تقليل البول (والبول مؤذ جداً للمبطوطين ولذلك يجب ان لا يسقوا ماء كثيراً^(١٥)).

٧ - اخراج الحصىة في النساء يتم عن طريق الفرج كما ذكر الزهراوي^(١٦) «فامر القابلة ان تدخل اصبعها في فرج العليلة وتفتش على الحصىة بعد ان تضع يدها اليسرى على المثانة وتعصرها عصراً جيداً فان وجدتتها فينبغي أن تدرجها عن فم المثانة الى أسفل مبلغ طاقتها حتى تنتهي الى أصل الفخذ ثم تشق عليها عند قبالة نصف الفرج عند اصل الفخذ». ويقول سبرغل ان الزهراوي كان أول من عمل عملية استئصال حصىة المثانة عن طريق المهبل^(١٧).

٨ - وصف كيفية اخراج الدم المتجمد من المثانة بعد العملية. ووصف الزهراوي طريقة جديدة لتفتيت الحصى حيث يدخل مثقاب من خلال الاحليل وعندما يلامس الحصىة يدور حتى يكسر الحصىة الى حصيات تخرج مع البول^(١٨).

ج- في احوال الخصيتين:

بعد ان يورد ابن سينا وصفاً تشريحياً دقيقاً للخصيتين والبربخ والاغشية الرقيقة التي تغطيها فانه يصف أهمية الجماع والاعذية المغذية وأمراض المنى والخصيتين ثم يذكر في أحوال هذه الاعضاء فيحدث عن أورام الخصية ويذكر علاجها حيث يذكر الاخضاء أي استئصال الخصية في حالة الاورام الحادة والخصية المتأكلة^(١٩). ويذكر ابن القف استئصال الورم «واما اللحمي فهو أن ينبت لحم في الأجسام المحيطة بالانثيين ويكون الورم في هذه الحال جاسياً وربما كان متحجراً أو تنبته أوجاع رديئة فاذا اريد علاجه بالحديد وكان اطباء اليونان يمنعون من هذه المعالجة خوفاً من هلاك العليل واما الحدث منهم فانهم يعالجون هذه العلة على هذه الصورة. وهو ان ينام العليل على ظهره ثم يشق الجلد المحيط بالخصيتين في موضع الدرن الوسط على ما وصفنا الى ان يصل الى الصفاق الذي بين الخصيتين فان كان تولد اللحم على شيء من الانثيين فيشق الصفاق المحيط بها ويقطع اللحم الثابت جميعه ثم ذر على الموضع بعض الذرورات القاطعة للدم ثم علاجه بعلاج القروح^(٢٠)». ويذكر ابن القف خمسة أنواع لتمدد جلد الخصية «القرو» وهي المائي واللحمي (ما ذكرناه) والمعائي والريحي وما معه الدوالي والمائي والمعائي اي الفتاق الاربي

وما معه الدوالي هو دوالي الخصية وقد وصفت الطريقة الجراحية لعلاج هذه الانواع.
يقول الزهراوي:

«ثم يشق بمبضع عريض حاد سقا موربا بحذاء الاوعية حتى تنكشف الاوعية ثم تسليخ من كل جهة كما ذكرت لك في سل الشريانات الذي في الاصداع ثم تغرز فيها ابرة خيط متني وتربط في اول المواضع التي عرضت لها الدالية وتربطها ايضا في اخرها . ثم تشق في الوسط شقا قائما على طول البدن وتخرج ما اجتمع فيها من الرطوبات المعكرة الفاسدة ثم تعالج الجرح بعلاج سائر الجراحات»^(٢١).

وهذا الوصف لا يختلف كثيرا عما يفعله الجراح المعاصر وقد ذكرنا في الجراحة العامة جراحة الفتق الاربي وادرة المائية.

ويعرف ابن سينا أمراض القضيب وسرطانة وقروحه والجهاز التناسلي عند المرأة وأمراضه وعلاجه.

وقد عالج الرازي تضيق الاصليل بفتحة من العجان^(٢٢).

ملخص :-

- ١ - عرف الأطباء والعرب تشريح الجهاز البولي والتناسلي للذكر والانثى.
- ٢ - استخدموا القشاطر والزراقة والحبسات في التشخيص وعلاج امراض المسالك البولية.
- ٣ - أجروا عمليات جراحية كثيرة منها الشق لخراج الحصى. بل لخراج الحصى بشق الظهر.
- ٤ - وصفوا الطهور بطريقة جراحية.
- ٥ - اخرج حصى النساء عن طريق المهبل.
- ٦ - تفتيت الحصى في المثانة عن طريق الشق العجاني أو عن طريق مثقاب من خلال الاعليل.
- ٧ - استأصلوا اورام الخصيتين والقضيب.

مراجع الفصل الثاني عشر

- ١ - ابن القف العمدة في الجراحة ص ١٢١-١٢٠ ج ١ حيدر اباد.
- ٢ - ابن القف العمدة في الجراحة ص ١٢١ ج ١ حيدر اباد.
- ٣ - ابن سينا - القانون في الطب المجلة الثاني ص ١٥٢٦ .
- ٤ - ابن سينا - القانون - نفس المصدر السابق ص ١٥٦٧ .
- ٥ - ابن سينا - القانون - نفس المصدر السابق ص ١٥٢٦ .
- ٦ - ابن سينا - القانون - نفس المصدر السابق ص ١٥٧٤ .
- ٧ - الدكتور محمود قاسم . الموجز لما اضافة العرب في الطب والعلوم التقليدية - مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧٤ نقلاً عن الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية بهامش كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان.
- ٨ - الزهراوي.
- ٩ - المصدر السابق.
- ١٠ - ابن القف ج ٢ ص ٢٠٦ المصدر السابق.
- ١١ - ابن سينا ص ١٥٤١ المصدر السابق.
- ١٢ - ابن سينا ص ١٥٤٣ المصدر السابق.
- ١٣ - الزهراوي المصدر السابق.
- ١٤ - ابن سينا ص ١٥٥٧ المصدر السابق.
- ١٥ - ابن سينا ص ١٥٥٨ المصدر السابق.
- ١٦ - الزهراوي ص ٤٢١ المصدر السابق.
- ١٧ - الدكتور محمود قاسم الموجز لما اضافه الطب مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧٤ . ص ٣٧ .
- ١٨ - الزهراوي ALBACUSIS ص ٤٢١ - المصدر السابق.
- ١٩ - ابن سينا ص ١٦١٥ المصدر السابق.
- ٢٠ - ابن القف ص ٢١٢ ج ٢ المصدر السابق
- ٢١ - الزهراوي ص ٤٣٩ المصدر السابق
- ٢٢ - ابو بكر الرازي واثره في الطب ص - جامعة بغداد - مركز اطباء التراث العلمي الاردني . ١٩٨٨ .

الفصل الثالث عشر

جراحة الاطفال

الفصل الثالث عشر جراحة الاطفال

اهتم العرب بالاطفال وبدأت هناك دراسات خاصة ومنحى الى التخصص في امراض الاطفال. وقد اشتملت معظم المؤلفات الطبية على أبواب خاصة لمعالجة امراض الاطفال ونصائح للتربية الصحيحة والوقاية من الامراض. وقادهم هذا الى وصف مراحل نمو الاجنة والاطفال ووصف الامراض وعلاجها بالاعشاب او بالتدليك او بالتدخل الجراحي.

وأشهر من كتب عن الاطفال.

علي بن ربن الطبري - ٨٥٠ - ٧٨٠ في مقاله الرابعة من كتابه «فردوس الحكمة» في الباب الاول في تربية وحفظ صحتهم والباب الثاني في تربية الطفل اذا ترعرع.

وكتب ثابت ابن قره الحراسي المتوفي ٩٠٠ م رساله في الحصبة والجدرى. وكتاب نمو الجنين وكتاب في المولودين لسبعة اشهر «مقالة في طبيعة كون الجنين»^(١).

كما كتب الرازي المتوفي ٩٢٣ مقالة عن الجدرى والحصبة اربعة عشر بابا^(٢). وكتب ابو سهل المسيحي مقالة في الجدرى^(٣) وكتب على ابن عباس المجوسي في كتابه «كامل الصناعة الطبية» اربعة أبواب لطب الاطفال. أما ابن سينا ١٠٣٦ - ٩٨٠ م فقد خصص في «القانون في الطب» قسماً للتربية عند الاطفال^(٤) في الفصول التالية:

- ١ - تدبير المولود كما يولد الى ان ينهض.
- ٢ - تدبير الارضاع والنقل.
- ٣ - الامراض التي يتعرض لها الصبيان وعلاماتها.
- ٤ - تدبير الأطفال اذا انتقلوا الى سن الصبا، وكتب فصلاً خاصاً عن الجدرى والحميات المختلفة^(٥). ومارس العرب التلقيح ضد الجدرى^(٦).

كما كتب في الاطفال ابو جعفر احمد ابراهيم المعروف بابن الجزار القيرواني كتابه المشهور «سياسة الصبيان وتديبرهم». وعريب بن سعد الكاتب القرطبي الطبيب الشاعر المورخ في الاندلسي كتابا في «خلق الجنين وتديبر الحبالى والمولودين»^(٦).

ويحيى بن عيسى علي بن حنبل البغدادي وابو الحسن علي بن هبل البغدادي وكثيرون غيرهم^(٦). لقد عرف الجراحون العرب امراض الاطفال التي تعالج بتدخل جراحي، وضرورة الجراحة لانقاذ المواليد من الامراض الخلقية التي يولدون بها وذكروا العديد من الامراض كالماء الذي يجتمع في رؤوس الصبيان، والاطفال الذين يولدون ومواضع البول غير مثقوبة، كذلك المقعدة غير مثقوبة، واجروا الشق على الادرة المائية كما ادخلوا التطهير في علم الجراحة وقتنوه.

أ- الماء في رؤوس الصبيان .

أولاً :-

يقسم ابن القف المرض الى ثلاثة أنواع:-

- ١ - ان يجتمع الماء بين الجلد والسمحاق.
- ٢ - ان يجتمع الماء بين السمحاق والعظم.
- ٣ - ان يجتمع الماء بين العظم والام الجافية.

ويعرض أسبابه اما ضغط القابلة للرأس عند الولادة أو سقوط المولود على رأسه أو ضربه على رأسه. أما العلاج فيحدده ابن القف في النوع الأول والثاني بالجراحة «واما علاج ذلك - وأما النوع الاول فعلاجه أن تشق جلدة الرأس عرضة، شقاً واحداً ويكون الشق نحو عقدين ، حتى تخرج الرطوبة جميعها واجتهد ان لا يكون خروجها دفعة واحدة ثم تحشو الشق خرق كتان ويعصب عصباً جيداً الى ثلاثة أيام ثم تحل العصاب في اليوم الثالث ويعصر الموضع ما فيه مما بقي من الرطوبات ثم تشق خرقاً آخر ثم تعصب ثلاثة أيام آخر ثم يحل الرباط ويعالج بعلاج الجرح وقد عرفته. وأما النوع الثاني فعلاجه أن يشق الرأس شقين طولاً وعرضاً متقاطعين تقاطع صليبي ثم يستعمل ما ذكرناه.

وأما النوع الثالث فلا تقربه بشيء من ذلك فان كانت القوة والمادة مندفعة الى خارج وهي ظاهرة جداً، فاستعمل علاج النوع الثاني ومع هذا جميعه قوي العليل بالاغذية والاشربة واستعمل ما ذكرناه في علاج الجرح والله أعلم»^(٧).

ويقول الزهراوي «وان كانت الرطوبة تحت العظم وعلامته أن ترى خياطات الرأس مفتوحة من كل جهة والماء ينخفض اذا عصرته بيدك الى داخل وليس يخفى ذلك عليك فينبغي أن تشق في وسط الراس ثلاثة شقوق على هذه الصورة».

«وبعد الشق تخرج الرطوبة كلها ثم تشد الشقوق بالخرق والرفائد ثم تنظله من فوق الشراب والزيت الى اليوم الخامس»^(٨).

ثانياً :- ب: «في التشوهات»

ولا شك ان التشوهات الخلقية في الأنف والفم كانت معروفة في تلك الايام وقد ذكرها حنين ابن اسحق في المسائل حيث قال^(٩) «أما أمراض الخلقية فهي خمسة أمراض وهي:-

- ١ - المرض الذي يكون في الشكل.
- ٢ - المرض الذي يكون في التجويف.
- ٣ - والمرض الذي يكون في المجاري.
- ٤ - والمرض الذي يكون من الخشونة.
- ٥ - والمرض الذي يكون من الملاسه «وقد عالجها الزهراوي كما عالج الاصابات في ذلك المكان».

يقول الزهراوي ص ٢٧٦ «اعلم انه حدث تفرق اتصال في احد هذه الغضاريف فقل ما ينجح فيها العمل الا في بعض الناس فينبغي متى عرض لاحد شيء من ذلك. فانظر ان كان الجرح طرياً بدمه أن تجمع شفتي الجرح بالخياطة ثم تعالجه حتى يبرأ. وان كان تفرق اتصال قد افترق شفتاه، وصار كل شق صحيحاً فينبغي ان تسليخ كل شق بشخن جلده الظاهر حتى يدمي، ثم تجمع الشفتين بالخياطة وتشدها وتذر عليها الشيان

واللبان مسحوقين وتضع من فوق الذوررو لصقة من المرهم النخلي أو غيره من المراهم الملحمة وتتركه مشددا يومين أو ثلاثة، ثم تحل وتبدل الدواء وتتركه حتى تنقطع الخيوط من ذاتها ثم تعالجها بالمراهم حتى يبرأ، وصفة الخياطة أن تجمع تفرق الاتصال اما لابر كما وصفنا في خياطة البطن واما بالخيط كما عرفته هناك^(١٠).

وفي علاج من يولد وكمرته غير مثقوبة يقول الزهراوي «قد يخرج بعض الصبيان من بطن أمه وكمرته غير مثقوبة فينبغي ان تبادر بثقبه من ساعة يولد بمبضع رقيق جداً على هذه الصورة.

ثم تضع في الثقب مسماراً رقيقاً من رصاص وتربطه وتمسكه ثلاثة أيام أو أربعة فمتى أراد البول نحي عنه وبال ثم رده. وان لم تجعل الرصاص فقد يمكن ان البول الذي يسلك على الموضع لا يتركه ينغلق، وأما الثقب الذي يكون ضيقاً فيعالج بالرصاص كما قلنا أياما كثيرة حتى يتسع والذين يكون منهم الثقب في غير موضعه وذلك ان منهم من يولد والثقب عند نهاية الكمرة فلا يقدر أن يبول الى قدام حتى يرفع الاحليل بيده الى فوق ووجه العمل أن يستلقى على ظهره ثم تمد كمرته بيدك اليسرى مدأ شديداً وتبرى رأس الاحليل بشفرة أو شبيها وليقع الثقب في الوسط على ما ينبغي^(١١) ومع أنه أجاد في البداية فانه لم يتقدم في علاج الثقب الذي في غير موضعه.

وتحدث ابن القف عن الاصابع الزائدة والملتصقة كأمراض ولادية «وأما الالتصاق فتارة يكون ولاديا وتارة يكون حادثا. اما لقرحة واما لجرح واما لحرق نار وفي مثل هذه الصور يشق الالتصاق. أما الاصابع الزائدة فربما كانت لحمية كلها وربما كانت عصبية وربما كانت فيها سلاميات وأظفار وربما كانت خالية من الأظفار ثم هذه تحركت وربما لم تتحرك مما كان من هذه لحمياً او عصبياً فعلاجه بالحديد سهل وهو أن تقطع بحيث يختفي اثرها»^(١٢).

وذكر الاطباء أيضاً علاج الخنثى وذكر ابن القف فصلاً في اخراج الجنين الميت وذكر الطهور في جراحة المسالك البولية.

ثالثاً :- ج- المقعدة غير المثقوبة .

يقول الزهراوي^(١٣) «قد يولد كثير من الصبيان ومقاعدهم غير مثقوبة قد سدها صفاق رقيق، فينبغي للقبالة أن تثقب ذلك الثقاب بصبعها والا فلتبطه بمبضع حاد وتحذر العضلة لا تمسها ثم تضع عليه صوفة مغموسة في الشراب والزيت ثم تعالجه بالمراهم حتى يبرأ فان خشيت ان ينسد فضع في الثقب انبوبة رصاص أياما كثيرة وتنزع متى اراد الطفل البراز وقد يعرض سد المقعدة أيضاً من اندمال جرح أو ورم فينبغي أن يشق ذلك الاندمال ثم يعالج بما ذكرنا من العلاج والرصاص»^(١٣) ولا شك أن العلم الحديث أوجد امكانيات لتشخيص وعلاج عدة أنواع من أمراض المقعدة غير المثقوبة لم تكن معروفة في تلك الايام.

امراض الصبيان :-

يتعرض ابن سينا في الفصل الثالث من الفن الثالث لامراض الصبيان^(١٤):

- ١ - فيذكر الأورام التي تعرض لهم في اللثة عند نبات الاسنان وأورام تعرض لهم عند أوتار ناحية اللحين «الحنك».
- ٢ - استطلاق البطن.
- ٣ - وقد يعرض لهم كزاز فيعالج بماء قد طبخ فيه قثاء الحمار أو بدهن البنفسج مع دهن قثاء الحمار فان حدث التشنج العارض به من يس لوقوعه عقيب الحميات والاسهال الضعيف أو لحدوثه قليلا عرفت مفاصله بدهن البنفسج وحده أو مضروباً بشيء من الشمع المصفى صب على دماغهم زيت ودهن بنفسج وذلك صباً كثيراً وكذلك ان عرض لهم كزاز يابس.
- ٤ - سعال وزكام.
- ٥ - سوء تنفس.
- ٦ - القلاع.
- ٧ - وقد يعرض في آذانهم سيلان الرطوبة ووجع الاذن.
- ٨ - وربما عرض في دماغ الصبيان ورم حاد يسمى العطاس.

٩ - وقد يعرض للصبي ماء في رأسه (وقد ذكرناه).

١٠ - وقد يصيهم حميات.

١١ - وقد يعرض لهم بثور في البدن فما كان قرحياً أسود فهو قتال.

١٢ - وربما احدث كثرة البكاء فيهم تنوء في السرة أو احدث سبباً من أسباب الفتق، وربما عرض للصبيان وخصوصاً عند قطع السرة ورم فحيثذ يجب أن يأخذ الشنكال «نبات».

١٣ - وقد يعرض للصبي قيء مبرح، ضعف المعدة.

١٤ - وقد يعرض للصبي ورم الحلق بين الفم والمرى وربما امتد الى الفصّل والى فرز القفا.

١٥ - وقد يعرض للصبي خروج للمقعدة وقد يعرض زحير.

١٦ - وقد يعرض للصبي سحج في الفخذ.

وغالب العلاج يكون بالأدوية العشبية والغذاء الملائم. الا بعض الأمور التي تتطلب العمل باليد أي الجراحة وقد ذكرت في جراحة الفتق والاورام.

خامساً - في الشق على الادرة المائية:

تحدث الجراحون عن الأدرة المائية وعالجوها بالجراحة يقول الزهراوي «الادرة المائية انما هي اجتماع رطوبة في الصفاق الابيض الذي يكون تحت جلده الخصي المحيطة بالبيضة وتسمى الصفن وقد يكون في غشاء خاص له تهيئه الطبيعة في جهة من البيضة حتى يظن انه بيضة أخرى ويكون بين الصفاق الأبيض الذي قلنا ولا يكون ذلك في الندرة» وبعد أن يتحدث عن أسبابها يذكر علاجها.

«ثم تأخذ مبضعاً عريضاً وتشق جلده الخصي من الوسط بالطول الى قريب من العانة وتصير الشق على استقامة موازياً للخط الذي يقسم جلده الخصي نصفين حتى يصل الى الصفاق الابيض الحادى فنسلخه وتحفظ من أن تشقه ويكون سلخك له من الجهة التي تلتصق بالبيضة اكثر وتستقصى السلخ على قدر ما يمكنك ثم تبط الصفاق المملوء ماء بطلاً واسعاً وتخرج جميع الماء.

ثم تفرق بين شفتي الشق بصنارات وتمد الصفاق الى فوق ولا تمس جلدة الخصي

الحاوية وتقطع الصفاق كيف ما امكنت قطعه اما بجملته واما قطعاً ورسيماً جانبه الرقيق فانك ان لم تستقضي قطعة لم تأمن الماء ان يعود. وهو كلام معقول وخاصة فيما يخص قطع الصفاق واستئصاله، وقد ذكر الكثير من أمراض الاطفال أيضاً في مواضع كثيرة ولكن لم يتم تجميعها في فصل واحد حيث أن تخصص الاطفال او جراحة الاطفال لم يتم معروفة مثل باقي تخصصات الطب التي عرف منها الجراحة والطب العام.

ملخص :-

١ - لقد عرف الاطباء والجراحون العرب أمراض الاطفال التي تعالج بتدخل جراحي وأجروا هذا التدخل بالرغم من صعوبة من ناحية التخدير خاصة ووصفت هذه التدخلات في مواضع متعددة كأنها تدخلات جراحية للكبار.

٢ - لقد عرف الجراحون الفتق الاربي والشق على الادرة المائية والمعاية وغيرها كما عالجوا المقعدة غير المثقوبة وأجروا الطهور بطريقة جراحية.

مراجع الفصل الثالث عشر

- ١ - ابن أبي اصيبعة عيون الانباء في الاطباء منشورات دار الحياة - بيروت.
- ٢ - ابن أبي اصيبعة عيون الانباء في الاطباء ص ٤٢٢ .
- ٣ - ابن أبي اصيبعة عيون الانباء في الاطباء ص ٤٣٦ .
- ٤ - ابن سينا القانون في الطب ص ٢١١-١٩٩ .
- ٥ - ابن سينا القانون في الطب ١١٣٤، ١٨٤٢٠ .
- ٦ - الدكتور محمود الحاج قاسم محمد - الموجز كما اضافته العرب في الطب والعلوم - مطبعة الارشاد وبغداد ص ٥٠-٥٣ .
- ٧ - ابن القف ص ١٨٩ العمدة في صناعة الجراح حيدر اباد.
- ٨ - الزهرراوي ALBUCASIS - نفس المصدر - ص ١٧٣ .
- ٩ - حنين ابن اسحق المسائل في الطب ١٩٧٨ دار الجامعات المصرية الاسكندرية. ص ٢٦ تحقيق د: محمد علي ابو ريان، د: جلال محمد موسى، د: موسى محمد عرب.

- ١٠- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر - ص ٢٦٧ .
- ١١- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر - ص ٣٨٩ .
- ١٢- ابن القف - العمدة في الجراحة - نفس المصدر - ج ٢ ص ٢٢١ .
- ١٣- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر - ص ٥٠٣ .
- ١٤- ابن سينا - القانون - نفس المصدر ص ٢٠٤ .
- ١٥- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر ص ٤٢٥ .

الفصل الرابع عشر

جراحة الاورام

الفصل الرابع عشر جراحة الأورام

الأورام: والورم هو كل غلظ يحصل للعضو، وهذا التعريف ما زال قائماً الى اليوم. ويناقش ابن القف تعريف الورم فيقول: «أما الورم فقال صاحب الكامل (المجوسي) غلظ يحصل للعضو يغير فعله. وهذا تعريف ناقص لانه لم تدرج فيه الأورام الريحية والمائية، فانه ليس ولا واحد منها يصح أن يقال عنه غلظ، مع أنه ورم، بل الواجب أن يقال تمدد يحصل للعضو مضر بفعله»^(١) وقد عرف الجراحون العرب الفرق بين الورم الخبيث الذي يستمر في النمو والذي ليس له علاج اذا بلغ حجماً معيناً، والورم غير الخبيث، وعرفوا الورم الخارجي الذي يراه الانسان والورم الباطني الذي لا يراه الطبيب وانما يستدل على وجوده بأعراض معينة.

أسباب الورم:-

يعدد ابن سينا أسباب الورم فيقول: «هذه الاسباب بعضها من المادة وبعضها من هيئة العضو، أما الكائنة من جهة المادة فالامتلاء من الأشياء الست المذكورة، وأما الكائنة من جهة هيئات الأعضاء فقوة العضو الدافع وضعف العضو القابل وتهيؤه لقبول الفصل، أما لطبع جوهره وانه خلق لذلك كالجلد أو لسخاقتة مثل اللحم الرخو في المعاطف الثلاث، خلف الاذن من العنق والابط والارنبه، او لاتساع الطرق اليه، وضيق الطرق عنه، او لوضعه من تحت، أو لصغره فيضيق عما يأتيه من مادة الغذاء، وأما لضعفه عن هضم غذائه لآفة فيه، واما لضربه تحقن فيه المادة، واما لفقدانه تحلل ما يتحلل عنه بالرياضة، وبالحرارة مفرطة فيه فيجذب، وتلك الحرارة اما طبيعية كما اللحم أو مستفادة أحدثها وجع، أو حركة عنيفة، أو شيء من المسخنات والكسر يحدث الورم لشيء من الأسباب المذكورة مثل الرض وضغط العضو والتمديد الذي به يجبر والعظم نفسه، بل السن قد يرم لأنه يقبل النمو من الغذاء ويقبل الابتلال والعفونة فيقبل الورم»^(٢).

ويقول ابن القف في أسباب حدوث الورم في باب أسباب انصباب المادة عشرة

- ١ - قوة العضو الدافع: فان مثل هذا العضو قد انصبت اليه مادة ، او كان فيه، دفعتها دافعة الى ما هو اضعف منه.
- ٢ - ضعف العضو القابل: وذلك لان العضو المندفع اليه المادة متى لم يكن كذلك حصل منه ما حصل من الاول.
- ٣ - اتساع المجاري النافذة.
- ٤ - ضيق المجاري الناشئة منه.
- ٥ - تسفل العضو فانه من كان كذلك سهل اندفاع ما يندفع اليه.
- ٦ - ضعف هاضمته فعجزت عن هضم ما يصل اليه من الغذاء.
- ٧ - انقطاع استفراغ معتاد كخروج الدم من افواه العروق أو البواسير.
- ٨ - انقطاع عضو كبير: فان هذا العضو متى انقطع بقي ما كان ينصرف في غذائه كلا على الطبيعة فتدفعه الى بعض الاعضاء.
- ٩ - ترك حركة معتادة يستعيق بها على تحليل الفضلات من البدن.
- ١٠ - حرارة العضو فان مزاج العضو اذا كان فيه هذه الصفة اعان على انصباب المواد^(٣).

ويناقش ابن القف الورم: - «وأما كيفية حدوثه فنقول أن الاعضاء على نوعين صلبة ولينة، فما كان منها صلباً ففرجه ظاهر للحس كباطن العظام لأنها ليست هي منضغطة بعضها على بعض، وما كان منها ليناً ففرجه خفية عن الحس، فاذا انصبت الى العضو مادة من الأسباب المذكورة فان كان العضو صلباً اختلف الاطباء في توريمها له، فذهب محمد بن زكريا الرازي الى أنها لا ترم البتة محتجاً بأن التوريم مفتقر الى التمدد والصلب لا يقبل ذلك، وما لا يقبل التمدد لا يرم، فالعظم لا يرم، وذهب ابن سينا الى أنها ترم واحتج على ذلك بأنها تقبل التمدد والنحاء بنفوذ مادة الاغتذاء فيها، واذا جاز قبولها ذلك بالمادة المذكورة جاز قبولها ذلك بالمادة الفاسدة، وذلك هو الورم، واعلم ان الحق في هذه المسألة مع الرازي^(٤).

ولعل الأسباب المذكورة جميعها صحيحة ولكنها لا تتعدى الحديث عن الظواهر وان كانت تدل على ملاحظة دقيقة، لقد اعتمدت نظرية الطب والتغيرات البدنية في

تلك الأيام على نظرية الاخلاط اليونانية، ولم تكن الكيمياء والابحاث الحديثة متاحة في تلك الايام، ولكن مناقشتها بهذه الروح العلمية والانفتاح، وجعل كل الاشياء قابلة للبحث، كان يعتبر كافياً في ذلك الوقت للتعبير عن امكانية التغيير والتجديد.

انواع الاورام :

تقسم الاورام الى نوعين:-

- حسب المادة التي يحتويها.
- وحسب الموقع وقد قسمها ابن سينا حسب الموقع الى قسمين ظاهرية وباطنية.

قال الزهراوي «الأورام أنواعها كثيرة متفننة على حسب ما يأتي ذكرها واحداً واحداً في هذا الكتاب، وهي تختلف في بطها وشقها في وجهين أحدهما من نوع الورم في نفسه وما يحوي من الرطوبات والنوع الثاني من قبل المواضع التي تحدث فيها من البدن»^(٥).

أولاً: حسب المادة التي يحتويها «واعلم أن مواد الاورام عند المتأخرين ستة: الاخلاط الاربعة والريح المائية والريحية تنقسم الى قسمين: التهيج والنفخة، والفرق بينهما من وجهين أحدهما ان مادة التهيج مداخله لجوهر العضو، ومادة النفخة مجتمعة في تجويف العضو الثاني، ان التهيج يستلقيه الحس والنفخة تقاوم المدافع وأما المائية فهي مثل القيلة واجتماع الماء في بطون المستسقين على ما عرف في علم الطبيعة والله اعلم بالصواب»^(٦).

أ- فيما يحدث من الدم من الاورام وهي الفلغموني والجذري والدمامل في بنات الليل والدمس والبادشنام والدم الميت تحت الجلد والطواعين وايورسما والتوتة^(٧). وهي اصطلاحات عصرها تصف صوراً مشابهة ولكنها ليست دقيقة لصور اليوم، وهي في الغالب أورام غير خبيثة، فالطواعين ورم الغدد اللمفاوية Lymphadenitis وايورسما هي Aneurisma والدمامل هي Abscess والدم تحت الجلد هو Haematoma.

ب- فيما يحدث من البلغم من الاورام وهي الاوذيميا Odema والسلع Lipoma

والخنازير Lymphadenitis وقد يكون ورم الغدة الدرقية في الرقبة ، وتورم العصب Neuroma والبرص والبهق الابيضين^(٨).

والخنازير ورم شبيه بالسلع غير أنها ليست هي متبرئة كتبرئ السلع عن العضو، بل هي متعلقة باللحم وأكثر حدوثها في اللحوم الغدية لاسيما في الرقبة، وهي على نوعين منها ما يصحبها وجع، ومنها ما لا يصحبها وجع، وهي أعسر علاجاً، وربما احتيج في علاجها الى البط، وسميت هذه الغدد بالخنازير لوجهين أحدهما أنها كثيرة العروض للخنازير وثانيهما تشبيهاً للحيوان المذكورة في كبر واحدة منها وكثرة عدد الصغار حولها كالخنزيرة واولادها والله اعلم^(٩).

ويقول ابن سينا في القانون «واعلم ان من الخنازير ما يكون فيها سرطانية، فان احتيج في علاج الخنازير الى استعمال الحديد فيجب أن يكون استعماله في الخنازير المجاورة للعروق الكثيرة والعروق الشريطة بتقية واحتياط، فان رجلاً اخطأ في بظه عن بعض الخنازير فأصاب شعبة من العصب الراجع فأبطل الصوت»^(١٠).

ج - فيما يحدث من الصفراء وهي الحمرة والنملة والحصبه.

د - فيما يحدث من السوداء من الأورام وأولها السرطان والجذام والبرص والبهق الاسوديين وتشقق الاطراف ثم الدوالي ومرض الفيل^(١١).

وعن السرطان يقول ابن القف «المادة السوداء لا تخلو اما أن تكون طبيعية أو محترقة، فان كانت طبيعية أوجبت الصلابة وهو سقيروس وسنذكره، وان كانت احتراقية أوجبت السرطان وهو ورم متفرح له أرجل شبيهة بأرجل السرطان وذلك لامتلاء العروق المتصلة بمحل الورم والفرق بينه وبين الصلابة من وجوه أربعة، أحدهما بما ذكر من جهة الشكل وهو أن السرطان ورم متصل به عروق ممتلئة من مادة سوداوية واما الصلابة فليس لها ذلك، وثانيها أن الصلابة هادئة ساكنة وثالثها أن السرطان متفرع، وأما الصلابة فغير متفرعة والسرطان مؤذ متحرك ورابطها أن السرطان حدوثه دائماً ابتداء والصلابة بغالب الحال حدوثها انتقالاً وأكثر حدوث السرطان في الأجسام المتخلخلة، ولذلك كثر حدوثه في النساء، وأول ما يظهر يكون كالباقلاء، صلب مستدير الشكل كمن اللون ثم

يكبر ويتفرع وسمي هذا المرض بالاسم المذكور اما لأنه يثبت بالعضو كما يثبت السرطان بما يمسكه، واما لان له وسطاً عظيماً وتتصل به عروق فيكون شبيهاً بالسرطان في كثرة الارجل والله اعلم»^(١٢).

مما سبق يتضح معرفة السرطان ونموه وتشبته بالعضو مما يعكس نفسه على طريقة العلاج كما سنرى.

هـ - فيما يحصل من اكثر من مادة واحدة من الورم وهي في ريح الشوكة Osteomyelitis وداء الثعلبية وداء الحية والحزاز والسعف العقرب، جميعها أمراض جلدية، والحمرة والشراما في سقيروس، وهو نوع من السرطان، ثم التآليل، والعرق المدني، والأورام الغددية، ثم الاكلة والحرب والحكة والنفخات.. وجميع هذه الاورام خبيثة كانت أم غير خبيثة، خارجية، وهناك الاورام الباطنية. يقول ابن سينا: «وأما الظاهرة فيدل عليها الحس والمشاهدة وأما الباطنة فالخار منها يدل عليه الحس اللازمة والثقل ان كان لا حس للعضو الذي هو فيه، أو الثقل مع الوجع الناحس ان كان للعضو الورم حس، ومما يدل أيضاً أو يعيق في الدلالة الآفة الداخلية في أفعال ذلك العضو، ومما يؤدي الى احساس الانتفاخ في ناحية ذلك العضو، ان كان للحس اليه سبيل ماء، واما البارد فليس يتبعه لا محالة وجع وتعسر الاشارة الى علاماته الكلية»^(١٤).

ويتابع: «وجميع أورام الاحشاء يحدث رقةً ونحولاً في المراق، واذا أجمعت أورام الاحشاء وأخذت في طريق الخراجية اشتد الوجع جداً، والحس وخشن اللسان خشونة شديدة، واشتد السهر وعظمت الاعراض، وعظم الثقل وربما أحس الصلابة والتركز، وربما ظهر في البدن نحافة وفي العينين غوار مفاجيء»^(١٥).

وربما انتقلت المادة في الأورام الباطنية من عضو الى عضو، وذلك الانتقال قد يكون جيداً، وقد يكون رديئاً، والجيد أن ينتقل من عضو شريد الى عضو خسيس مثل ما ينتقل في أورام الدماغ الى ما خلف الاذنين، وفي أورام الكبد الى الاربتين^(١٦).

ثانياً: ويعدد ابن سينا في القانون الاعضاء التي تحصل فيها أورام ويقول بتشخيصها وعلاجها، فالدماغ والوجه ص ٨٦٣ - ٨٧٧، والقلب ص ١٢٠٠ والشدي ص ١٢٢٧

١٢٢٨ - والمرء ص ١٢٣٨ - ١٢٣٩ والمعدة ص ١٢٩٥ - ١٣٠٠ والكبد
ص ١٣٥٥ - ١٣٧٠ والطحال ص ١٤١٤ - ١١٤٢ والكلية ص ١٥٣٠ - ١٥٣٦
والمثانة ص ١٥٥٨ - ١٥٦١ والخصية ص ١٦١٥ - ١٦١٧ والقضيب ١٦٢١ والرحم
١٦٨٢ - ١٦٨٥ .

ويقسمها بشكل عام الى:-

- أورام باردة.
- أورام حادة.
- أورام صلبة.

ويقول في أورام المعدة الصلبة: فان الأورام الغليظة الصلبة قد تكون ابتداء وقد
تكون من انتقال الأورام الحارة وعلى ما قد عرفته في الاحوال، وفي النادر يكون عن ورم
بلغمي عرض له أن يصلب ويدل عليه مع دلالاته على الأورام صلابة المجس وكثرة اليبوسة
ونحافة البدن^(١٧).

ويشدد ابن سينا على التشخيص المقارن في أورام البطن فيقول «وقد يغلط في
الأورام الباطنية التي تحت البطن فانها ربما لم تكن أوراماً بل كانت فتقاً فيكون بطها فيه
خطر، وربما كانت ورماً باطنياً، وليس في الصفاق، بل في المعى نفسه وكان في بطنه خطر
فاعلم بذلك»^(١٨).

علاج الاورام :-

يحدد ابن القف مصير الاورام «وقد عرفت أن مال كل ورم الى أحد ثلاثة أشياء اما
الى تحليل واما الى الجمع وتقيح واما الى صلابة، وعرفت القلة في هذا، وانها أجود فان
دلت الدلائل على أن الأمور تؤول الى التحليل فيجب أن تعان الطبيعة على تحليل المادة
وذلك بالنطولات المجففة وتجفيف الضوء وتلين الطبع وان دلت على التضج فينبغي أن
تعان على التضج»^(١٩).

وقد استعملت وسائل متعددة في علاج الاورام:-

١ - الفصد ، في الدماويل وفي علاج الغلغمونى والجدرى وبنات الليل والبادشنام والدم الميت تحت الجلد ، والطواعين والايورسما والخنزير والسبب في الاستعمال هو:-

- تخفيف المادة البدنية.
- وجود علامة الدم أي زيادة الدم.
- اذا كان السبب مواد حارة.

ولعل القصد منه هو التخفيف عن الورم باسالة بعض الدم بقدر ما يحتمل الجسم.

٢ - الاغذية وتلطيف المزاج والطبع وتليينه واعطاء المسهلات واعطاء الاغذية المضادة لطبيعة الورم، فالورم الحار يعطى أغذية مبردة، والورم البارد أغذية حارة واليابس اغذية طرية.

٣ - الادوية المختلفة كالمخللات والمنضجات والمرطبات والرادعات «ونقول في هذا أننا نراعي في هذه الصورة المهم فالاهم وهو اننا متى رأينا الخطر في استعمال الرادع أكثر من تركه تركناه، وان كان الخطر في تركه أكثر من استعماله استعملناه، كما في الخوانيق وهذا الاعتراض والجواب عنه ليس للجرائحي فيه كلام^(٢٠).

«واما الثاني فخوفا من معاندة الطبيعة ومقاومتها في مما تروم ان تفعله وتعمله من مصالح البدن».

أي أن استعمال الادوية خاضع لنظرية الاخلاط أيضاً.

٤ - الكي، «أو البط والحديد، في الشق على الأورام وهي تختلف في بطها وشقها من وجهين أحدهما من نوع الورم نفسه وما يحدث به من الرطوبات والنوع الثاني من قبل المواضع التي تحدث فيها من البدن لان الورم الحادث في الرأس غير الورم الحادث في مفصل، لان لكل واحد منها حكم في العمل»^(٢١).

ويضع الزهراوى شروطا للبطن:^(٢٢)

١ - بعد نضج المدة.

- ٢ - البط في أسفل موضع من الورم سيكون ذلك اسهل لسيلان المادة الى الاسفل.
- ٣ - في طول البدن.
- ٤ - بط واحد في الورم الصغير أو أكثر في الورم الكبير. ويقوم الجلد أو شق ذات ثلاث زوايا أو مثل ورقة الاس.
- ٥ - استعمال الفتائل والادوية بعد الشق من الكتان والقطن.
- ٦ - وقف النزيف.
- ٧ - اخراج الاورام مع الصفاقات.
- ٨ - استئصال جذري للورم مع محيطه المباشر.

ويقول ابن القف «واذا عرفت هذا فتقول واذا بططت الخراج وخرج من المدة المقدار المحتمل لاجراجه، واجعل في موضع البط فتيلة قطن عتيق ان أريد توسيع البط وان أريد اخراج شيء من المادة فيجعل على الفتيلة شيء من المرهم الجذاب وسندكره في الاقرباذهين.

وعلى باقي الاجزاء قطنة عليها زبد طري أو شيء من المنضجات المذكورة ولا تزال تدبره بهذا التدبير الى أن ينقئ الموضع مما فيه من المدة ثم بعد هذا استعمل المراهم المحللة وستعرفها في الاقرباذهين، ومع هذا لا تغفل عن طبيعة العليل وهو أن يلين بالحقن اللينة أو بالفتائل، وأما غذاؤه فالواجب أن يكون مرقة ساذجة لتجلى المادة وتعيق الطبيعة من اخراجها وجراحية زماننا يشيرون على العليل في مثل هذا الوقت باستعمال القلايا والمطجن يقصدون تقليل المدة، والجهال منهم يأمرن العليل بالتخليط أي أخذ أغذية كيفما اتفق» (٢٣).

وهناك نقاط مهمة في علاج السرطان انتبه لها الجراحون العرب وهي:

- ١ - امكانية عودة السرطان بعد استئصاله «وهو اذا استعمل فيه العلاج المذكور ما لم يستقصى في قطع اصوله وهي العروق المتصلة والا امكن عودة» (٢٤).
- ٢ - امكانية انتقاله «ولربما انتقلت المادة في الاورام الباطنة من عضو الى عضو» (٢٥) واعلم ان الطحال قد يرم بعد الكبد على سبيل الانتقال.

٣ - امكانية التقرح في نهاية المطاف، ويقول ابن القف (استعمال الأدوية الموضعية يتنوع الى أربعة أنواع، أحدها ابطاله ومنعه من التولد، وثانيها منعه من الزيادة وثالثها منعه من التقرح ورابعها علاج المتقرح).

٤ - «أهمية المعرفة المبكرة في العلاج يقول ابن سينا (انه اذا ابتداء امكن ان يحفظ على ما هو عليه حتى لا يزيد وان يخطط حتى لا يتقرح وقد يتفق في الاحيان ان يبرأ المبتدئ وأما المستحکم فلا»^(٢٨) وقال في علاج الورم المستحکم «أنه لم يبرأ من الورم الصلب المستقر المستحکم أحد والذين برؤوا منه فهم الذين عولجوا في ابتداء»^(٢٩).

٥ - العلاج الجراحي الجذري يقول ابن القف في سرطان الصدر «وكيفية عمله هو ان يقرر بالموس تقويرا مستديرا حتى لا يبقى شيء من أصوله ويترك الدم يجري الى حين ينقطع من ذاته واعصر العروق التي حوله حتى يخرج منها الدم المحتبس فيها ثم يعالج الموضوع بالمراهم والادوية التي تعالج بها القروح»^(٣٠).

ويقول ابن سينا «وربما احتمل السرطان الصغير القطع وان امكن أن ييطل بشيء فانما يمكن ان ييطل بالقطع الشديد الاستئصال المتعدي الى طائفة يقطعها من المطيف بالورم السال لجميع العروق التي تسقيه حتى لا يغادر منها شيء وربما احتاج بعد القطع الى كي وربما كان في الكي خطر عظيم»^(٣١).

٦ - ترك العلاج في الحالات المتقدمة يقول ابن القف «قال ابو قراط في سادسة فصوله من كان به سرطان خفي فالأصح أن لا يعالج فانه ان عولج هلك سريعا وان لم يعالج بقي زمانا طويلا وقد خفي آثاره يفهم منه المبتدئ في ظهوره وتارة يفهم منه الحاصل في الباطن»^(٣٢). ختاماً فاننا نستطيع أن نقول أن الجراحين العرب كانوا أبناء عصرهم وامكانياته في كشفهم ووضعهم تصورات كاملة عن الأورام بدقة متناهية ظلت مشار اعجاب الباحثين والدارسين والطلاب على السواء.

لقد قدم العرب اضافات جيدة في هذا المجال فقدم الزهراوي وصفا وتصويراً، للالات الجراحية التي تستعمل في جراحة واستئصال الأورام كما أجرى العمليات

المختلفة لأورام الغدة الدرقية والأورام الباطنة في الحالات الطارئة، ولكن جراحة الاورام في باطن الجسم لم تتطور واعتمد في علاجها على الأدوية المختلفة حسب نوع ومكان الورم، والتي قد تكون بحاجة الى اعادة بحث ودراسة من قبل المختصين في هذا المجال.

مراجع الفصل الرابع عشر

- ١ - ابن القف : العمد في صناعة الجراح ص ١٣٧ ج ١ - كتاب العمد في الجراحة تأليف ابي الفرج ابن موفق الدين يعقوب ابن اسحق المعروف بابن القف المتطبب المسيحي الكركي المتوفي سنة ٦٨٥ هـ الطبعة الاولى حيدر اباد من غير تاريخ.
- ٢ - ابن سينا القانون ص ١٤٤ ك - ١ القانون في الطب تأليف الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن علي بن سينا ٩٨٠ - ١٠٣٧ م مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٨٧ .
- ٣ - ابن القف : نفس المصدر ص ١٣٦ ج ١ .
- ٤ - ابن القف : نفس المصدر ص ١٣٧ .
- ٥ - الزهرواي : في الالات الجراحية ص ٣٢١ .
- ٦ - ابن القف : نفس المصدر.
- ٧ - ابن القف : ص ١٤٥ ج ١ ، نفس المصدر.
- ٨ - ابن القف : ابن القف نفس المصدر .
- ٩ - ابن القف : نفس المصدر ، ص ١٥٠ - ١٥١ .
- ١٠ - ابن سينا : نفس المصدر ، ١٩٤٢ ك.
- ١١ - ابن القف : نفس المصدر.
- ١٢ - ابن القف : نفس المصدر ، ص ١٥٤ .
- ١٣ - ابن القف : نفس المصدر ، ص ٥٥ ج ٢ .
- ١٤ - ابن القف : نفس المصدر ، ص ١٦٣ ك ١ .
- ١٥ - ابن سينا : نفس المصدر ، ص ١٦٤ .

- ١٦- ابن سينا : نفس المصدر ، ص ١٦٤ .
- ١٧- ابن سينا : نفس المصدر ، ص ١٢٢٩ .
- ١٨- ابن سينا : نفس المصدر ، ص ١٦٤ .
- ١٩- ابن القف : نفس المصدر ، ص ١٨٨ ج ١ .
- ٢٠- ابن القف : نفس المصدر ، ص ١٨٥ .
- ٢١- الزهراوي : نفس المصدر ، ص ٣٢١ .
- ٢٢- الزهراوي : نفس المصدر ، ص ٣٢٣ .
- ٢٣- ابن القف : نفس المصدر ، ص ٩ ج ٢ .
- ٢٤- ابن القف : نفس المصدر ، ص ٤٤ ج ٢ .
- ٢٥- ابن سينا : نفس المصدر ، ص ١٦٤ .
- ٢٦- ابن سينا : نفس المصدر ، ص ١٤١٣ .
- ٢٧- ابن القف : نفس المصدر ، ص ٢٦ ج ٢ .
- ٢٨- ابن سينا : نفس المصدر ، ص ١٣٦٧ .
- ٢٩- ابن سينا : نفس المصدر ، ص ١٩٤٦ .
- ٣٠- ابن القف : نفس المصدر ، ص ٤٨ ج ٢ .
- ٣١- ابن سينا : نفس المصدر ، ص ١٣٦٧ ك ٣ .
- ٣٢- ابن القف : نفس المصدر ، ص ٤٣ ج ٢ .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الخامس عشر

جراحة العظام

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الخامس عشر جراحة العظام

كادت جراحة الحوادث والكسور تنفصل عن الجراحة والطب بوجود تخصص
المجبر الذي لا يمارس الطب وإنما تجبير كسور العظام فقط، وقد فصل العرب منذ بداية
تطور الطب العربي بين الجراحة العامة والعظام يسأل (حنين) في المسائل ويجب «كم
عدد اصناف العلاج باليد في الطب؟ - صنفان

ماهي:

- ١ - أنا ربما استعملناه في اللحم
- ٢ - أنا ربما استعملناه في العظم
- ما امثال هذا العلاج في اللحم ؟
- البط والكي والخياطة
- وما امثال استعمالنا له بالعظام ؟
- اما برد الخلع واما بجبر الكسور ؟؟^(١)

فتجبير الكسور جزء من الجراحة ولكنه من أوائل فروع التخصص في الجراحة وقد
برع فيها الأطباء العرب وتوسعوا في بحثه وعالجوا جميع أنواع الكسور في العظام
الصغيرة منها والكبيرة . ويوجه الزهراوي النظر الى أهمية جراحة الكسور والعظام فيقول
في الباب الثالث من الفصل الثلاثين في كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، «اعلم يا
بني انه قد يدعي هذا الكتاب الجهال من الاطباء والعوام ومن لم يتصفح قط للقدماء فيه
كتاباً ولا قراء منه حرفاً ولهذه العلة صار هذا الفن من العلم في بلدنا معروفاً وانى لم الق فيه
قط محسناً البته وانما استفدت منه ما استفدت لطول قرائتي لكتب الأوائل وحرصى على
فهمها حتى استخرجت علم ذلك ثم لزممت التجربة والدربة طول عمري»^(٢).

ولعل معالجة الكسور بواسطة المجبرين هي من أهم فروع الطب العربي الذي بقي
ممارساً الى يومنا هذا عبر أجيال من المجبرين من أمثال من ذكرهم الزهراوي.

الكسور وأنواعها:

يعرف ابن القف الكسر أنه تفرق اتصال في العظم^(٣) وان وقع تفرق الاتصال بالعظم وكان سببه من الخارج وقسمه الى جزئين أو الى أجزاء كبار سمي كسراً وان قسمه الى أجزاء صغار سمي تفتتاً وان كان من داخل وهو أن تكون استولت عليه مادة فاسدة فانه يسمى ريح الشوكة وان وقع بين عظمتين ملتصقتين كالزندين سمي انفصالا وان كان أحدهما راکزاً بالآخر وخرج الراكز عن موضعه خروجاً تاماً سمي خلعاً.

وان لم تخرج بالتمام سمي زوالاً ومنهم من يسميه وثياً وان لم يتحرك من موضعه لكن الرص حوله سمي وهنا وان وقع في الغضروف كيف كان سمي بترأ. وان وقع في العصبه وكان عرضاً سمي بترأ أيضاً وان كان طولاً سمي شقاً، وان كثر عدده سمي فدغاً وان وقع في طرف العضلة سمي هتكاً. وان وقع في نفس العضلة سمي جزأ^(٤).

ويقول الزهراوي «واعلم أن الكسر قد تختلف أنواعه بحسب اختلاف الاعضاء لأن كسر عظم الساق مخالف لكسر عظم الرأس وكسر عظم الصدر مخالف لكسر عظم الظهر وكذلك سائر الاعضاء وكلها مخالف بعضها بعضاً وقد يختلف نوع كسر العظم في نفسه قد يكون كسره تقصفاً من غير أن تحدث فيه شظايا وزوائد متبرئة وغير متبرئة ويكون الكسر مع جرح وخرق في الجلد ويكون الكسر صدعا يسيراً^(٥).

أما ابن سينا فيقسم الى متفرق وغير متفرق وغير المتفرق ينقسم الى مستوى ومتشعب اما المستوي فينقسم الى طولي وعرضي والعرضي الى مابين وغير مابين^(٦).

لقد اتفق الجراحون اذن على تقسيم الكسور حسب:

- ١ - الوصف الظاهر.
- ٢ - وضع العظم: فدغ تفتت، قصف.
- ٣ - علاقته بالجلد والانسجة المحيطة، مع جرح ابو بدون جرح والغضروف عضل.
- ٤ - حسب العضو الذي يقع فيه

وهذا التقسيم ينسجم مع الامكانيات التشخيصية المتاحة بشكل جيد.

التشخيص :-

وقد شخّص الأطباء الكسور تشخيصاً دقيقاً «ومما يتعرف به كسر العظم اعوجاجه ونتؤه وظهوره للحس وتخشخشه عند غمزك إياه بيديك، فمتى لم يكن في الموضع اعوجاج ظاهر ولا تخشخش ولا تحس عند جرسك العظم باضطراب ولا يجد العليل كبير وجع فليس هناك كسر بل يمكن ان يكون» وثمّاً أو كسراً هيناً أو صدعاً يسيراً فلا ينبغي أن تحركه بالمد والغمز البتة بل احمل عليه من الادوية التي اذكرها بعد حين ما يوافق الموضع ثم تشده شداً لطيفاً»^(٧) ويجعل ابن سينا الالم عاملاً رئيسياً في التشخيص «موضع الكسر من الكبار يعرف بالوجع ومن موقع السبب الكاسر».

«وأما الصبيان فيظهر بالوجع والورم والحمرة»^(٨) ويقول ابن القف: بعد هذا يتأمل ميل العظم المكسور ويعرف هذا بوجوه ثلاثة أحدها باللمس وهو أن يحس الجهة التي مال إليها وغور في الجهة التي مال عنها وثانيها أن الجهة التي مال إليها العظم يكون في الوجع فيها شديد جداً لمزاحمة طرف العظم المائل وثالثها أن يحس في الجهة التي مال في الجهة التي مال إليها بخشخشة «لقد اتفق الجميع في استعمال الحواس الموجودة في التشخيص وهي النظر والسمع واللمس تدل على عدة أمور»^(٩)

١ - السمع، خشخشة.

٢ - النظر، الورم والحمرة وتغير وضع العظم.

٣ - اللمس، الوجع والتواء.

بالإضافة الى معرفة العضو وطريقة فحصه وتشخيص مثل كسر الانف والفك وأصابع اليد التي تحتاج الى جهد خاص في التشخيص.

العلاج :- علاج الكسر جبره أي تصحيح الكسر واعادته الى الوضع السابق قدر الامكان وهذا ما اتفق الاطباء العرب عليه ومارسوه أو ما زلنا نمارسه الى يومنا هذا وقد اتفق الاطباء على عدة مبادئ نستعرضها فيما يلي :-

١ - السرعة في العلاج :- «واعلم أن العظم اذا انقصف واندق باثنين من غير أن

تحدث فيه شظايا الا أنه قد زال كل جزء عن صاحبه فينبغي لك ان تبادر من حينك الى تقويمه وتسويته قبل ان يحدث له ورم خاد فان حدث ورم خاد فاتركه أياما حتى يسكن الورم الحاد ثم سده بأي وجه من الرفق والحيلة»^(١٠).

٢ - الشد برفق وتجنب الألم كما ذكر الزهراوي سابقاً وكما يذكر ابن القف «فاذا أعلم ذلك يجب أن يمد العضو بمقدار ما ينبغي لئلا يؤلم وتنجذب من مادة الى جهة العظم المكسور»^(١١) ويقول الزهراوي «فان كان العظم فيه شظايا فلا بد من شد العضو المكسور من الناحيتين يداً كان أو رجلاً إما بيديك ان كان العضو صغيراً وإما بحيلين وإما مع الحبل واليد واحرص جهدك ان لا تحدث على العليل بفعلك وجعا ولا ألماً ورم جهدك أن يضم أحد العظمين لصاحبها على أفضل هيئة وينبغي في ذلك الوقت ان تلمسها وتحبسها بيدك فان رأيت هناك شيئا مخالفاً أصلحته وسويته بقدر طاقتك واحذر المد الشديد والغمز القوي كما يفعل كثير من الجهال»^(١٢).

ويقول ابن سينا «ويجب ان يحذر الايجاع الشديد عن المد والشد في الكسر والخلع معاً، وكثيراً ما يعرض من الشد الشديد وابطاء الحبل وقلة تعهد ذلك ان يموت ذلك العضو ويعفن ويحتاج الى قطعه»^(١٣). لقد استعمل الاطباء اذن الشد بالحبل بالاضافة الى الشد باليدين لتسوية الكسر.

٤ - وضع الرباطات:-

للرباطات المستعملة في الكسور صفات يذكرها ابن سينا:

«يجب أن تكون خرق الرباط نظيفة فان الوسخ صلب يوجع وتكون رقيقة لينفذ شيء اذا طلي بها وخفيفة لئلا يثقل على العضو الألم ويجب أن يأخذ الرباط من الوضع الصحيح شيئاً له قدر، فان ذلك أضبط للمجبور من أن يزول»^(١٤). اما شكل الرباط فيكون عريضاً أو رقيقاً حسب العضو ولكن بحسب ما يمكن في كل عضو فليس ما يمكن من ذلك في الصدر مثل ما يمكن في اليد»^(١٥).

وكيفية الربط أيضاً محددة «يجب أن يبدأ بالربط من الموضوع المكسور ومن حيث

يميل الى العظم وهناك يكون أشد ما يكون شداً وحيث الكسر أشد يجب أن يكون الربط أقوى وبالجمللة موضع الكسر والموضوع الذي يحتاج ان يدفع عنه المواد وان يحفظ عليه الوضع وذلك يؤمن من تعفن العظم».

«ولا ينبغي أن يبلغ بشد الرباطات والجبائر مبلغاً يمنع وصول الغذاء والدم فذلك يمنع الاجبار».

ويتابع ابن سينا وصفه للرباطات تحت الجبائر ثم الرباطات فوق الجبائر ويتابع:

«وبقراط يستصوب ان يحل الرباط يوماً ويوماً فان ذلك أولى بان لا يضجر العليل ولا يغريه بالعبث به وحكه لما لا بد ان يتأذى العضو المصاب من رطوبة رقيقة مؤذيه»^(١٦).

٥ - وضع الجبائر :- الجبائر قطع من الخشب أو المواد الصلبة توضع على العضو المكسور لحفظ الوضع عند تجبيره وبالتالي المساعدة على التئام العظم.

يقول ابن القف «فاذا انجذب العظم ورفع الى موضعه دهون بدهن ورد وذر عليه أس مدقوق وزر ورد منزوع الا قماع وتوضع عليه الجبائر من جوانبه الأربعة وأجود ما تتخذ منه خشب قد جمع الصلابة واللين مثل خشب والدفلا والرمان»^(١٧).

ويقول الزهراوي «ثم توضع عليه حينئذ الجبائر ولتكن الجبائر من أنصاف القصب المنحوتة المهيأة بحكمة أو تكون الجبائر من خشب الغراييل التي تصنع من الصنوبر أو جرائد النخل.. ولكن سعة كل جبيرة على هذه الصورة وهذا الشكل بعينه الا ان تكون الجبيرة التي توضع على الكسر نفسه أغلظ وأعرض قليلاً من سائر الجبائر وأما طول الجبيرة فتصنع على حسب ما يليق بالعضو من كبره وصغره صورة الجبيرة»^(١٨).

ولا ينبغي أن يكون بين الجبيرة والجبيرة أقل من اصبع فان تأذى العليل بأطراف الجبائر بعد الشد في المواضع الصحيحة ما جعل تحتها من المشاق اللينة أو الصوف المنقوش حتى لا تؤذيه من ذلك شيء»^(١٩).

ويحذر الزهراوي من الجبائر فيقول «واعلم انه ليس كل عضو مكسور ينبغي أن

يشد بالجوائر من أول يوم وذلك ان العضو اذا كان كبيراً فلا ينبغي أن توضع عليه الجوائر الا بعد خمسة أيام أو أكثر على حسب أمنك من حدوث الورم الحار» (٢٠).

ويقول ابن سينا «وان وضعت الجوائر من الجوانب الاربع فهذا أحوط ولا بأس لو كان لها فضل طول فانه لا معبرة في ذلك ولا خسران في أن يأخذ من قرب المفصل عن غير أن يعيش المفصل نفسه وأطول جانبيه الجانب الذي يلي حركة ميل العضو» (٢١).

اذن فالجوائر تربط بعد تأمين عدم حدوث الورم الحار من المفصل الى المفصل ومن الجوانب الاربع ويكون عرضها وطولها حسب طول وعرض العظم المكسور.

٦ - الدشبذ (Callus):

هو المادة المتكونه حول الكسر ولها صلابه العظام يقول ابن القف (بل يلتصق أحد طرفي العظم بالطرف الآخر وينسج عليه جسم أبيض شبيه بالعصب يسميه الاطباء بالدشبذ والاطباء تختلف في انتاج هذا الجوه). ويتابع (وأوقات الربط على الشرط المذكور عشرون يوماً فان هذا هو وقت ابتداء انتاج الدشبذ وفي مثل هذا الوقت يجب على الجراح أن يعتمد في تدبير العضو أمور خمسة أحدها أن يجعل الشد رخواً لئلا يمنع مادة الدشبذ من النفوذ والمادة العضو المكسور وثانيها أن يمنع العليل من الحركة والجماع والفصد والسكون في المواضع الحارة فان هذه جميعها تذيب مادة الدشبذ ولا في المواضع الباردة جيداً فأنها تجمد مادة الدشبذ وتمنعه عن سرعة النفوذ والوصول الى العضو المكسور وثالثها أن يمنع من الشراب لاسيما الكثير المزاج - وكفيه الا باريز الحارة في الطعام فأنها تلطف مادة الدشبذ وذلك مما يرقف الجبر ورابعها أن يجعل أغذية فيها لزوجة ليسهل توليد الدشبذ منها وخامسها أن ينصل موضع الكسر عند رفع الرفائد عنه بماء - طبخ فيه زر الورد والاسى والجلنار والبابونج (٢٢)

وهذا الحرص والدقة دليل على فهم الميكانيكية والباثولوجي لجبر الكسور وهذا وان كان يفتقر الى الفهم الحديث الا انه يتمتع بالدقة والفهم الملثم في ذلك العصر والكافي لفهم ميكانيكة العلاج.

٧ - رفع العضو المكسور وتسكينه.

«ويجعل هيئة العضو مرتفعة لئلا تنصب اليه مادة ويجب أن لا تحل الجبائر عن العضو المكسور الى خمسة أيام وكيفية الربط أن يبدأ من الموضع المكسور ويكون قوياً ها هنا وكذلك من الموضع الأعلى ليمنع المادة من الانصباب الى العضو المكسور غير أنه لا ينبغي أن يبالغ في الشد الى أن يؤلم فانه رديء لوجوه أحدهما يحصر الحرارة والفضلات فيه وذلك مما يوقف في الجبر وثانيهما أنه يمنع غذائه من النفوذ اليه وذلك أيضاً مما يوقف الجبر» (٢٣).

«ويقول ابن سينا في القانون في نصبه المجبور».

«كل عضو جبرته فيجب أن تكون له نصبة موافقه تمنع الوجع وأولى بذلك ما له بالطبع مثل أن يكون في اليد الى الرقبه والرجل الى الموضع تأمل لعادة العليل في ذلك وكما أن العضو الذي يجب ان يعلق على الاستواء كذلك العضو الذي يقتضي حاله أن لا يعلق ويجب أن يكون متكؤه وموضعه على شيء مستور وجيء يجب أن يعلق كي لا يتعلق بعضه ويستند بعضه والتعليق رديء لكل مجبور، كما أن الرفع الى فوق موافق له ما لم يمد مانع. واذا جعلت نصبة العضو بحيث يكون أرفع مما يجب أو أخفض لوى العضو وعوجه بحسب امالة العلاقة» (٢٤).

ويقول ابن سينا «ويجب ان يسكن العضو ما امكن» (٢٥).

«وهدف السكون هو تكوين الدشبذ والمراد في أكثر الجبر حدوث الدشبذ فيه ليس كعظام الرأس فانها لا ينبت عليها الدشبذ ويجب عند حدوث الدشبذ أن يهجر الحركات المزعجة والجماع والغضب والحركة» (٢٦) ويقول ابن القف «ان يجتهد في تسكين الألم ولو باستعمال الخدراة» (٢٧) فرفع العضو مهم لتخفيف الورم وللسكون والسكون مهم لتكوين الدشبذ والتحام العظم هذه معرفة مهمة في علاج العظم مازالت صالحة حتى في ايامنا.

٨ - الكسر مع الجراحة.

يبدل أقصى الخدر من أجل عدم جرح الجلد وتعطى الاولوية لعلاج الجرح ويترك له فتحة في حال وضع الجبيرة. يقول ابن سينا «اذا اجتمع كسر وجراحة فليس يمكن أن

يدافع بالجبر الى أن تبرأ الجراحة» فان العظم يصلب . فلا يقبل الجبر الا بصعوبة ومد شديد وأحوال عظيمة ومع هذا فان حدث مع الجراحة أوجاع وأورام فيها خطر فلان .

يعوج العضو خير من أن يحدث خطر عظيم فيجب أن لا يزال في أمر جبر مثل هذا الكسر وان كان مع الكسر رض كأن من ذلك مخاطرة في تأكل العضو فيجب أن يشرط الموضع ليخرج الدم فان فيه خطراً وهو أن يموت العضو، وان كان نزف فيجب أن يحبس^(٢٨) ويقول ابن القف «لا ينبغي أن يبادر الى التحام الجراحة خوفاً من احتباس المادة المنصبة اليه»^(٢٩) أما الكسر مع الشظايا الخارجة من الجلد فله علاج اخر «فاما الشظايا فانها اذا لم تهدم حالت بين العظم وبين الانجبار واذا انكسرت أيضاً وقعت بين شفتي العظم فلم تدع أن يلتزم احدهما الآخر أو زالت فتركت قرحة يجتمع فيها دائماً صديد فيعرف من ذلك أنها نفسها تعفن وتعفن العضو ثم لا يكون الالتزام وثيقاً . واذا حدث من الشظايا خرق اللحم فليس من الصواب أن تشتغل بتوسيع الخرق عمل الجهال ولكن الواجب أن يمد العظمان الى الجانبين على غاية من الاستقامة لا عوج فيها ففي العوج حيثئذ فساد العظم فاذا مد فاعمد الى الشظية فردها وشدها فان لم ترد فلا توسع الخرق بل احضر لبدء بقدر ما يحتاج اليه واتقب فيه قدر ما تدخله الشظية فيه واغمز على الجلد واللبد غمزا بسفلهما ويرز العظم في الثقب ابرازاً الى أصله ثم انشره بمنشار العمل وهو منشار رقيق حاد كمنشار المشاطين وان كانت الشظية أو القطعة من العظم متمايزة تنخى في العضل وتوجع . فلا بد من شق وتدير لاجراء ما يخرج ونشرها ما يجب نشره وان كان التفتت كثيراً أو كان الكسر والتفتت كثيراً فلا بد أن يخرج الجميع واما أن كان الكسر غير مفتت وكان الانقطاع فيه والانصداع يأخذ مكاناً كبيراً فاقطع امراض موضع ودع الباقي، فانه لا مضرة بل المضرة في قطع الجميع عظيمة»^(٣٠) ويقول في مكان آخر «واذا اجتمع كسر وجراحة فليرفق الجبر بالجبر رفقاً شديداً وليبعد الجبار عن موضع الجراحة وليضع على الجرح ما ينبغي من المراهم وخصوصاً الزنتي»^(٣١) ويقول «وبقي الجرح مفتوحاً لك أن تكشفه حتى شئت ولك أن تجعل على الجبائر ثقباً بحذاء ذلك ليصل داء الجراحة اليها ويمكن اخراج الصديد منها ويكون ذلك بحيث يمكن التغطية عليهم جميعاً بعد ذلك فان ترك الجرح مكشوفاً رديء وخاصة في البرد ويكون متى أريد حل ما يغطي الجرح غدوة وعشية لعلاجه الخاص ما أمكن ولم يكن فيه تعرض لرباط الجبر للكسر

البتة»^(٣١). أي أنه يعالج الكسر وينتبه الى الجرح الذي يعالج من خلال فتحة في الرباط ولم يطرأ جديد في هذا سوى استبدال الرباط والجبيرة بالجبص.

٩ - لقد عرف الاطباء أهمية الوقت في علاج الكسور وعرفوا اختلاف الوقت اللازم في كل عظم وكسر وان أضافوا في الغالب ويعالج حتى يبرأ ولكن الجراحين يتفقون على كسر الترقوة في ثمانية وعشرين يوماً^(٣٢) والعضد في خمسين يوماً الى شهرين لا يكلف الموضع هذه المدة بحمل شيء ثقيل أو يضرب بها الى مرتب ستة أشهر بعد كمال الجبر والذراع في ثلاثين يوماً وفي اثنين وثلاثين وربما أجبر في ثمانية وعشرين^(٣٣) والفخذ في خمسين يوماً والساق في ثلاثين يوماً كما ذكر الزهراوي أو في خمسين كما ذكر ابن القف^(٣٤).

١٠ - ولوحظ الفرق بين جبر عظام الكبار وعظام الصبيان والاطفال «واعلم أن العظام المكسورة الا اذا كانت في الرجال المسنين والشيخ فليس يمكن أن تتصل وتلتحم على طبيعتها الأولى أبداً بجوف عظامهم وصلابتها وقد يتصل ويلتحم ما كان من العظام في غاية اللين بمنزلة عظام الصبيان الصغار»^(٣٥) ويظهر الكسر عند الصبيان مختلفاً عن الكبار كما يقول ابن سينا «وموضع الكسر من الكبار يعرف بالوضع ومن موقع السبب الكاسر ولمس اليد واما من الصبيان فيظهر بالوجع والورم والحمرة»^(٣٦) ويقول ابن سينا «العظام المتكسرة اذا ردت الى أوضاعها أمكن في الأطفال ومن يقرب منهم ينجر لبقاء القوى الأولى فيها»^(٣٦).

١١ - هناك طرق خاصة لجبر الكسور الخاصة مثل كسور عظام الرأس والأنف والفكين والورك وأصابع اليدين والرجلين. ويتحدث الزهراوي عن كسور الرأس ويقسمها الى:-

أ- كسر قدومي يكسر العظم ويصل الى الأم الجافية (نافذ).

ب- كسر غير نافذ وقلعاً مطلقاً.

ج- تهشم نافذ او غير نافذ.

د- صدع يسير كسر شعري.

هـ- كسر مع دخول العظم داخل الجمجمة.

ويقسم الأعراض الناتجة من كسور الرأس الى أعراض عامة ومحلية اما العامة «فتنظر الى أحوال العليل فان رأيت من أعراض ما يدل دلالة ظاهرة على الخوف قبل قيء المرارة والافتداء وذهاب العقل وانقطاع الصوت والغش والحمى الحادة وجحوظ العينين وحمرتها ونحوها من الأعراض فلا تقرب العليل ولا تعالجه فان الموت واقع به مع هذه الأعراض في أكثر الأغراض لا محالة^(٣٧) ويتطرق الى العلاج بضرورة:

١ - نزع العظم قبل اليوم الرابع عشر.

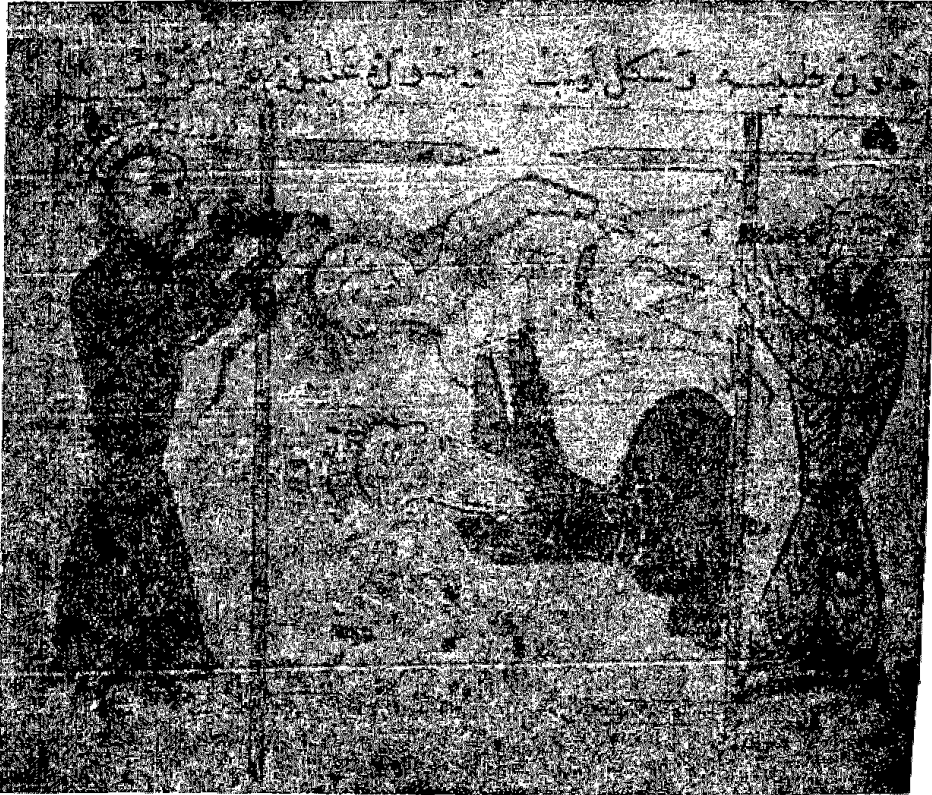
٢ - تقوير العظم وانتراعه.

٣ - ثقب العظم حول الكسر فان كان العظم قويا صلباً فينبغي أن تثقب العظم حوله قبل استعمالك المقاطع بالمثاقب التي سموها مثاقب غير غائصة لأنها لا تتجاوز حد عظم القحف الى ما وراءه من أجل أن للمثقب حرفاً مستديراً وينبغي أن تتخذ من هذه المثاقب عدة كثيرة يصلح كل واحد منها بمقدار أو شحن ذلك العظم واما كيفية الثقب حول عظم مكسور فهو أن تجعل المثقب على العظم وتديره باصابعك حتى تعلم أن العظم قد نفذ ثم تنقل المثقب الى موضع آخر وتجعل بعد ما بين كل ثقب قدر غلظ المروود أو نحوه ثم تقطع بالمقاطع ما بين كل ثقبين وتفعل ذلك بعناية. ما يستطيع عليه من الرفق كما قلنا حتى تقطع العظم اما بيدك أو بشيء آخر من بعض الآلات التي اعددت لذلك^(٣٨). وهذا وصف لعملية Trepanation كما كان يفعلها الزهراوي ويعالج الزهراوي كسر العظام الانف بنفس الدقة والوصف التفصيلي اما في كسر الفك فيربط الأسنان المتحللة بأسلاك الذهب أو الفضة أو الابريسسم ويصنع جبيرة. «فان كان قد حدث في الأسنان تزعزع أو تفرق فشد ما طعمت منها أن تبقى بخيط ذهب أو فضة أو ابريسم ثم تضع على اللحي المكسور القيروطي ثم تضع عليه خرقة مثنية وتضع على الخرقة جبيرة كبيرة محكمة أو قطعة جلد نعل ملساء لطول اللحي ثم تربطه من فوق على حسب مايتهيأ لك ربطه وتأمر العليل بالتودع والسكون وتجعل غذاءه الاحساء اللينة^(٣٩)».

كذلك يعالج جميع العظام من عظام الورك والصدر والاضلاع ويضيف الآلات اللازمة لكل عمل جراحي لتسوية العظام او للحفر.

ملخص

- ١ - عرف الطب أهمية تجبير الكسور وقسموها الى أنواعها وعرفوا تشخيصها وعلاجها.
- ٢ - عرفوا أهمية الشد باليدين وبالحبل في التجبير.
- ٣ - وضعوا الجبائر والاربطة والضمادات.
- ٤ - رفع العضو وتسكينه.
- ٥ - رفعوا الشظايا وهدموا الكسر قبل علاج الجرح.
- ٦ - عرفوا أهمية الدشبذ - في انفجار العظم.
- ٧ - اهتموا بالوقت اللازم لعلاج كل نوع من العظام.
- ٨ - عرفوا الفرق بين الصغار والكبار في علاج الكسور.
- ٩ - عرفوا فتح الجمجمة Trepanation وعلاج كسور الجمجمة والكسور المختلفة.



(شكل ١١) تصحيح كسر الحوض

مراجع الفصل الخامس عشر

- ١ - حنين ابن اسحق :- المسائل في الطب / الناشر دار الجامعات المصرية ١٩٧٨ . تحقيق د. محمد علي الريان د. محمد عزب . د. جلال محمد موسى.
- ٢ - الزهراوي albucasis on surgery and instruments by M.S. Spink and G.L lewis page 677 - London - Welcom institute of History . of Medicin.
- ٣ - ابن القف العمدة في الجراحة ج/١ ص ١٣٥ الطبقة الاولى في مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد.
- ٤ - ابن القف نفس المصدر ج/١ ص ١٣٥ .
- ٥ - الزهراوي المصدر السابق ص/ ٦٨١ .
- ٦ - ابن سينا القانون في الطب ص ٢٠٤٧ د. ادوارد العشرد. علي زيعور مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٧ .
- ٧ - الزهراوي المصدر السابق ص ٦٨١ .
- ٨ - ابن سينا - المصدر السابق.
- ٩ - ابن القف - المصدر السابق ص ٢٠٠ ج/١ .
- ١٠ - الزهراوي - المصدر السابق ص ٦٨١ .
- ١١ - ابن القف - المصدر السابق ص ٢٠١ ج/١ .
- ١٢ - الزهراوي المصدر السابق ص ٦٨٣ .
- ١٣ - ابن سينا المصدر السابق ص ٢٠٤٩ .
- ١٤ - ابن سينا نفس المصدر السابق ث ٢٠٥٢ .
- ١٥ - ابن سينا نفس المصدر السابق ص ٢٠٥٢ .
- ١٦ - ابن سينا - نفس المصدر السابق ص ٢٠٥٣ .
- ١٧ - ابن القف - المصدر السابق ص ٢٠١ ج/١ .
- ١٨ - الزهراوي - المصدر السابق ص ٦٨٧ .

- ١٩- الزهراوي المصدر السابق - ص ٦٨٩ .
- ٢٠- الزهراوي المصدر السابق ٦٩١ .
- ٢١- ابن سينا المصدر السابق ص ٢٠٥٤ .
- ٢٢- ابن القف المصدر السابق ص ٢٠٠ ج/١ .
- ٢٣- ابن القف ص ٢٠١ ج/١ .
- ٢٤- ابن سينا المصدر السابق ص ٢٠٥١ ج/١ .
- ٢٥- ابن سينا المصدر السابق ص ٢٠٤٩ .
- ٢٦- ابن سينا المصدر السابق ص ٢٠٤٩ .
- ٢٧- ابن القف المصدر السابق ص ٢٠٢ ج/١ .
- ٢٨- ابن سينا المصدر السابق ص ٢٠٤٩ .
- ٢٩- ابن القف ١ ص ٢٠٢ ج/١ .
- ٣٠- ابن سينا المصدر السابق ص ٢٠٥٠ .
- ٣١- ابن سينا المصدر السابق ص ٢٠٥٥ .
- ٣٢- الزهراوي المصدر السابق ص ٧٢٥ .
- ٣٣- ابن القف المصدر السابق ١٤٦ ج/٢ .
- ٣٤- ابن القف المصدر السابق ص ١٤٨ ج/٢ .
- ٣٥- الزهراوي المصدر السابق ص ٦٨١ .
- ٣٦- ابن سينا المصدر السابق ص ٢٠٤٨ .
- ٣٧- الزهراوي المصدر السابق ص ٧٠٧ .
- ٣٨- الزهراوي المصدر السابق ص ٧٠٥ .
- ٣٩- الزهراوي المصدر السابق ص ٧١٧ .

الفصل السادس عشر جراحة المروب

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السادس عشر جراحة المروب

لعل الحروب هي أبرز الاحداث التي تظهر فيها الحاجة الى الطب بشكل عام والى الجراحه بشكل خاص، وحيث أن الحروب من أقدم الاحتكاكات الانسانية، فلا بد أن الجراحة وعلاج الاصابات تعتبر من أقدم الممارسات الطبيه على الاطلاق فالجراحة وليدة الحرب، ويذهب بعض علماء الاجتماع الى أن الحروب سبب رئيسي في تقدم الانسانية.

وقديماً في الجيوش العربية القديمة، جيوش المصريين القدماء وجيوش البابليين والفينيقيين كان يوجد أطباء يرافقون الجيوش ويشرفون على علاج المرضى والمرافق المحيطة كنقل الجرحى وإيوائهم في خيام خاصة وربما كانت جميع هذه الاعمال يقوم بها متطوعين من الجيش كالزملاء والاقارب ولكن بالتأكيد فان مهنة الاطباء والجراحين لم تكن بهذا العموم. مما يعني ضرورة وجود أطباء خاصين. ولعل استعمال كلمة الجراحة كما تلاحظ في الكتب القديمة كانت مرادفة لجراحة الحروب. «وتعتبر خيمة رفيده أول خيمة طبية (مستشفى عسكري) في الاسلام»^(١) ان النبي (ص) امر بضرب خيمة في مسجده يرسل لها الجرحى لتضميد جراحهم وقد كانت رفيده الاسلامية تداوي الجرحى وتحبس نفسها على خدمة من كان به ضيقة بالمسلمين وعندما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق قال عليه السلام لبعض قومه «اجعلوه في خيمة رفيده حتى أزوره من قريب» وذكر ابن هشام أيضاً أن نسوة من بني غفار وعلى رأسهن امرأه (يظن أنها أم عطية) اتين الرسول وهو يسير الى خيبر فقلن له «يا رسول الله قد اردنا ان نخرج معك الى وجهك هذا فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما نصنع فقال عليه السلام على بركة الله».

فكانت هذه أول خيمة اسعاف في الاسلام وكان المرضى ينقلون اليها. وقد تكررت هذه الخيام في غزوات الرسول (ص).

واشتهر كثير من النساء اللواتي ساعدن في اسعاف الجرحى وتمريضهم مثل أم حارث الانصارية، رحمه بن جحشه، وأم زياد الاشجعية، وأم سليط، وأم سنان

الاسلمية، وصفية بنت عمر بن الخطاب، ومعاذه العفارية، وليلى العفارية، وأمى بنت قيس
أبى الصلت العفارية^(٢). وكن يسمين بالاسباب لانهن كن يعملن على تضميد الجراح
ومواساة الجرحى.

كذلك اشتهر من النساء الطبييات زينب الاودية، وابن ابى رمثة التميمي الذي
مارس الجراحة فى عهد الرسول (ص). وكان يصحب الجيوش العربية الاسلامية
باستمرار الاطباء الذين يشرفون على علاج الجرحى. وان أهم خطوة فى علاج الجروح فى
الحروب هي المحافظة على نظافة الجرح بشكل عام وقد طبق المسلمون فى علاج جراحهم
مبدأ الطهارة كما أمر النبي (ص) «طهروا هذه الاعضاء طهركم الله وخللوا بالماء». رواه
الطبري وقد امر الرسول (ص) المسلمين بغسل جراحهم بالماء المحروق (المغلي سابقاً)^(٣).

أما أهم الممارسات الجراحية التي كانت ممكنة فى تلك الأيام فهي:

١ - وقف النزيف وقد استعملت عدة وسائل لوقف النزيف فذكر فى الحروب
الاسلامية الأولى استعمال صوف محروق أو حصير محروق بالاضافة الى الضغط
والرباط كوسيلة للاسعاف الاولى. ويذكر الزهراوى فى التصريف عن وقف النزيف من
الشريان «واعلم أن الشريان اذا نرف منه الدم فانه لا يستطيع قطعه ولا سيما اذا كان
الشريان عظيماً الا بربعة أوجه اما بالكى كما قلت واما ببتره اذا لم يكن قد انبت، فانه اذا
انبت تقلصت طرفاه وانقطع الدم واما ان يربط بالخيط ربطاً وثيقاً.

واما ان توضع عليه الأدوية التي من شأنها قطع الدم والشد بالرفائد شداً محكماً
واما أن يحاول قطعه برباط أو بشد بالحزمة أو وضع الأشياء المحروقة ونحو ذلك، فانه لا
ينقطع بذلك البتة الا فى الندرة، فان عرض لاحد ذلك ولم يحضره طبيب ولا دواء
فليبادر بوضع السبابة على فم الجرح نفسه كما وصفنا، ويشده جداً حتى ينحصر الدم
وينطل من فوق الجرح وعلى الشريان - والاصبع لا تزال من عليه - بالماء البارد الشديد
البرودة دائماً حتى يجمد الدم ويغلظ وينقطع وفي خلال ذلك تنظر فيما يحتاج اليه من
كى او دواء^(٤). وقد كفى الزهراوى ووفى جميع وسائل قطع النزيف من الماء البارد الى
الكى ولا أظننا فى عصرنا هذا نستطيع ان نفعل أكثر من ذلك اللهم الا استعمال أشعة
الليزر لوقف النزيف والتي لم تنتشر حتى الآن بما فيه الكفاية.

٢ - التخدير لقد استعمل العرب التخدير في علاج جرحاهم «ذهب وفد من الاطباء الى رسول الله (ص) يسألونه عن الطب والاسلام وطلب بعضهم أن يأذن لهم باستعمال الخمر كمخدر قبل الجراحة فنهاهم الرسول وقال لهم: انها داء وليس دواء وما جعل الله شفاء أمتي فيما حرمه عليها» وبعد ذلك اللقاء ابتدأ الاطباء المسلمون يبحثون عن دواء مخدر يغني عن الخمر فكانوا اول من اكتشف النبات المسمى «القناب العربي» والمستعمل في الجراحة^(٥). وقد عرفت الشعوب القديمة نبات الخشخاش والافيون وتأثيرهما المخدر وقد تناولنا ذلك في بحث التخدير.

٣ - الكي لوقف النزيف ولوقف الفساد في العضو وقد استشهدنا بالزهرراوي عند استعمال الكي لوقف النزيف. يقول ابن سينا «الكي علاج نافع لمنع انتشار الفساد ولتقوية العضو الذي برد مزاجه، ولتحليل المواد الفاسدة المتشبهة بالعضو ولحبس النزف»^(٦) ويتابع «اذا كويت لاسقاط لحم فاسد وارتد أن تعرف حد الصحيح فهو حيث يوجع، وربما احتجت ان تكوي مع اللحم العظم الذي تحته، وتمكنه عليه حتى يبطل جميع فساد».

٤ - قطع الاعضاء وبترها، يقول د. راجي التكريتي «وقد مارسوا وبكثرة قطع الأطراف ومعالجتها بل وعرفوا الأطراف الصناعية لمن فقدوا أطرافهم أو أعضائهم. فقصة عرفة بن سعة الذي قطعت أنفه في الحرب فصنع له الأطباء أنفاً نحاسية فكان يصدأ عليه، فأشاروا عليه بصناعة أنف من ذهب ولكنه أبى ذلك الا ان يأذن له الرسول الكريم لان الاسلام يكره على الرجل ان يتحلى بالذهب، واذن له الرسول (ص) بذلك طالما فيه ضرورة طبية وليس لمجرد التحلي والمباهاة»^(٧) ويصف الزهرراوي بطريقة فنية جراحية قطع العضو^(٨) «وصفة قطع العضو أو نشره أن تشد رباطاً في أسفل الموضع الذي تريد قطعه، وتشد رباطاً آخر فوق الموضع ويمد الخادم الرباط الواحد الى الاسفل، ويمد خادم آخر الرباط الأعلى الى فوق وتجرد أنت اللحم بين الرباطين بمبضع عريض حتى ينكشف اللحم كله ثم يقطع أو ينشر ويتبقى أن تضع من جميع الجهات طرف الكتان لئلا يمس المنشار الموضع الصحيح، فيعرض للعليل ألم زائد وورم حار، فأن حدث نزف دم من خلال عملك، فاكو الموضع بسرعة أو احمل عليه بعض الذرورات القاطعة للدم ثم عد الى علاجك حتى تفرغ ثم اربط العضو المجروح برباط صالح وعالجه حتى يبرأ».

ولم يكن قطع الاعضاء وبترها فقط كنتيجة للاصابات الحربية بل لقد استعمله الجراحون العرب لعلاج الفساد المنتشر.

يقول الزهراوي «قد تعفن الاطراف اما لسبب من خارج واما من سبب من داخل، فاذا عالجنا ذلك الفساد بعلاج الادوية ولم ينجح العلاج ورأيت الفساد يسعى في العضو لا يردعه شيء فينبغي أن تقطع ذلك العضو الى حيث بلغ الفساد لينجو العليل بذلك من الموت أو من بلاء عظيم هو أعظم من فقد العضو»^(٩).

٥ - الشجة وقطع جلد الرأس ولعل هذه الاصابات المألوفة في زمن كان السيف هو السلاح الرئيسي للقتال يعرف ابن سينا «التفريق الواقع في الرأس، اما في الجلد واللحم، واما في العظم موضحة، أو هاشمة، أو مثقلة أو سمحاقا ومن السمحاق الفطرة وهو ان يبرز الحجاب الى خارج ويرم ويسمن ويصير كفطرة. ومنها الامة والجائفة وفيها خطر ويحدث في الجراحات الواصلة الى غشاء الدماغ استرخاء في جانب الجراحة وتشنج في مقابله واذا لم يصل القطع الى البطون بل الى حد الحجاب الرقيق، كان أسلم واذا وصل القطع الى الدماغ ظهر حمى وقيء مراري وليس مما يفلح الا القليل»^(١٠). وفي علاج الشجاج يقول «وأما تدبير العظم فيها وما يعرض من أعراضها المخوفة فقد قيل في باب العظام والجبر واما ملحمات قروحه فالخارج منها يكفيه أدنى دواء مجفف خفيف ليزر عليه من الدواء الرأسي وكذلك الأدوية الخفيفة من المذكورة في الجراح.. ومن الادوية الجيدة للجراحة وللدم أن يؤخذ الخمير المحمض اليابس ويسحق ويذر عليه ولا يرطب، وأما ما يمنع الورم فالتضميد بدقيق الشعير والسميد معجوناً بزوفة رطب، وسائر التدبير يؤخذ من باب العظام»^(١١) وهذا الخمير مشابه للبنسلين الحالي ويعرض في حروب السيوف أيضاً فسخ وهتك . «اذا عرض للعضلة أن تفسخت عرض من ذلك بين أجزائها عدد من تفرق الاتصال كثير ينصب اليه لا محالة دم كثير لا محالة ان ذلك تورم واقل أحواله أن يجتمع فيه دم فيتعفن لأنها أكثر مما يرجى تحلله من المنافس وخصوصاً عن منافس ضاقت بالضغط الواقع من الفاسخ خارجاً وبالضغط الواقع من الورم داخلياً، ولذلك ان لم يتدارك الأمر فيه تأدى الى فساد العضو، وربما تبع التفسخ والسقطة والصدمة شغفة. فيجب أن يبادر الى علاجها لئلا يتسرطن ولا يجب أن تشتغل في الهتك باعادة اتصال الليف المستقطع بل لتسكين الوجع»^(١٢). ويعالجها بالفصد واخراج

الدم والرباطات والادوية المحللة ورفع العضو المجروح.

كذلك يتحدث ابن سينا عن السقطة والصدمة وآثارها «ان السقطة والصدمة تؤلم قد تؤدي بالفسخ والرض وتكون فيها مخاطرة بسبب تفرق اتصال العظام أو تفرق اتصال يقع في الاحشاء في أغشيتها وعصبها وفي العروق الكبار التي لها وتكون فيها مخاطرة أيضاً بسبب شدة الألم»^(١٣).

ثم الصدمة والضربة على البطن والاحشاء، وقد عرضنا في جراحة البطن كيفية علاج الامعاء الخارجية وخياطتها وخياطة الثرب وخياطة جدار البطن بالطرق المختلفة. ويتحدث ابن القف عن حرق النار وضرب السياط والسحج العارض من الركوب وعقر الحف.

٦ - اخراج السهام تعتبر السهام من أهم أسلحة الحروب القديمة وأشدّها فتكاً سواء كانت بسيطة أو منسومة وكان اخراجها من أهم واجبات الجراح يبدأ الزهراوي الذي يخصص الباب الرابع والتسعون في الجراحة للحديث عن اخراج السهام «السهام قد تختلف بحسب أنواعها وبحسب المواضع التي يقع فيها من الجسم وأما اختلافها بحسب أنواعها فان منها كباراً وصغاراً ومنها زجاج مجوفة وزجاج مصمغة ومنها ما لها ثلاث زوايا وأربع زوايا ومنها ما لها أسنة ومنها ما لها شظايا واما التي تكون بحسب الاعضاء التي يقع فيها فتكون على ضربين، اما ان تكون الاعضاء من أعضاء رئيسة مجوفة مثل الدماغ والقلب والكبد والرئة والكليتين والامعاء والمثانة ونحوها فمتى وقع سهم في أحد هذه الاعضاء وظهرت لك علامات الموت التي أنا واصفها لك بعد فينبغي أن تجتنب اخراج ذلك السهم منها فان الموت يلحق صاحبها في أكثر الأحوال ومتى لم تظهر لك هذه العلامات الرديئة ولم يكن السهم توارى في غور العضو فاخرجه وعالج الجرح»^(١٤).

ويعدد ابن القف أنواع أخرى من السهام «السهام تارة تتخذ من خشب وتارة تتخذ من قصب وهو أروأ من الأول فان القصب لا يخلو من سمية ما واما الازجة فانها تتخذ من جواهر مختلفة وذلك لأنها تتخذ تارة من حديد وتارة تتخذ من نحاس وتارة تتخذ من رصاص وتارة تتخذ من قرن وتارة تتخذ من عظم وتارة تتخذ من حجارة وتارة تتخذ من قصب وتارة تتخذ من خشب» واما اشكالها فتارة تكون مستديرة وتارة تكون مستطيلة

ثم هذه منها ما لها شعبتان وما ليس لها شعب وتارة تكون مثلثة أي يكون لها ثلاث زوايا وتارة تكون مربعة أي لها أربع زوايا، ومن الأزج ما يتحرك بشيء شبيه باللوب فإذا مدت إلى الخارج انبسطت وتعذر خروجها. ثم من السهام ما تكون الأزجة مغروزة فيها ومنها ما تكون مداخل في الأزج وهو أن تكون أطرافها أنبوبية والسهم داخل الأنبوبة والمغروزة على نوعين منها ما يستوثق في تركيبه ومنها ما لا يكون كذلك لكي إذا جذب السهم إلى الخارج فارق السهم الأزج ويبقى في البدن ثم هذه منها ما تكون مسمومة ومنها ما لا تكون مسمومة ويعرف المسموم من لون اللحم الواقع فيه السهم فانه يكمد ويسود ويترهل وربما تقربت رائحته فهذه انواع الأزجة واشكالها^(١٥).

ان تفصيل الوصف على هذا الشكل مهم جداً من أجل معرفة كيفية التعامل معها في مختلف الاشكال والامكانيات وبعد معرفة السهام والأزجة المختلفة ينطلق الزهراوي لوصف طريقة علاجها فيبين أعراض دخول السهام في الاعضاء المختلفة فيقول في اصابة الرأس «وربما خرج الدم من المنخرين أو الاذنين وربما انقطع الكلام وذهب الصوت وخرج من موضع الجرح رطوبة بيضاء تشبه العصيدة»^(١٦). وهذا بالتأكيد حين حدوث كسر في قاعدة الجمجمة، ويقول عن جرح الرئة «وعلاوة السهم اذا جرح الرئة خروج دم زهدي من الجرح والاعوية التي تلي العنق تتورم ويتغير لون العليل ويتنفس تنفساً عالياً ويطلب استنشاق الهواء البارد» وهذا وصف دقيق أيضاً وهكذا يصف جميع الاعضاء كالكبد والمثانة والعين والانف. ويذكر الزهراوي أمثلة من علاجه «وذلك أن سهماً كان قد وقع لرجل ما في عينه في أصل الانف فاخرجته له من الجهة الاخرى تحت شحمة الاذن وبريء ولم يحدث في عينه مكروه»^(١٧). ثم يضيف الزهراوي كيفية اخراج السهام «وانا اخبرك بكيفية اخراج السهام لتجعل ذلك قياساً ودليلاً على ما لم اذكره لان اجزاء هذه الصناعة وتفصيلها لا يدرك بالوصف ولا يحيط به كتاب وانما الصانع الحاذق يقيس بالقليل على الكثير وبما حضر على ما غاب ويستنبط عملاً جديداً والة جديدة عند النوازل الغريبة اذا نزلت من هذه الصناعة فأقول: ان السهام انما تخرج من الاعضاء التي نشبت فيها على نوعين اما بالجذب من الموضع الذي دخلت منه واما من ضد هذه الجهة الاخرى والتي تخرج من حيث دخلت منه اما أن يكون السهم بارزاً في موضع لحمي فيجذب ويخرج فان لم يجبك للخروج من وقته الذي وقع فيه فينبغي لك أن تتركه اياماً حتى

يتعفن اللحم الذي حوله فيسهل جذبه واخرجه»^(١٨) واذا كان السهم في العظم «فان لم يجبك للخروج بعد ايام فينبغي ان تثقب حول السهم في نفس العظم من كل جهة بمثقب لطيف حتى توسع للسهم ثم تجذبه وتخرجه» ويضيف «واما اذا كان السهم قد توارى في موضع من الجسم وغاب عن الحس ففتشه بمسبار فان احسست به فاجذبه ببعض الالات التي تصلح لجذبه» فان لم تستطع عليه يضيّق الجرح ولبعد السهم في القدر ولم يكن هناك عظم ولا عصب ولا عرق فشق عليه حتى توسع الجرح وتتمكن السهم حتى تخرجه»^(١٩) ونضيف «فان كان السهم مسموماً فينبغي ان تقدر اللحم الذي صار فيه السهم كله ان امكن ذلك ثم عاجله بما يصلح لذلك» فان كان السهم الواقع في الصدر أو في البطن أو في المثانة أو في الجنب وكان قريباً مما يجس بالمسبار وأمكنك الشق عليه فشق وتحفظ من قطع عرق أو عصب واخرجه ثم خط الجرح ان احتاج الى الخياطة ثم عاجله حتى يبرأ»^(٢٠).

ونفس الكلام تجده عند ابن القف وتجده أيضاً عند ابن سينا الذي يقول «وكثيراً ما خرج جزء من الكبد وشيء الصفاق الذي على البطن والثرب كلها فلم يعرض من ذلك موت، على اننا ان تركنا السهم أيضاً في هذه الاعضاء الرئيسية، عرض الموت على كل حال، ونسبنا الى قلة الرحمة، وان انتزعنا السهم فربما سلم العليل احياناً». ويروي ابن القف طريقة لاجراج السهام «واما الدفع فتارة يكون باليد وتارة يكون بالادوية والنوع الاول هو المستعمل في صناعة الجراحة، وأما النوع الثاني فكما حكى عن التيوس البرية انه متى وقع فيها السلا والسهام اتت الى المشكطرا مشيع وهو نوع من الفوتنج تأكل منه اكلا متوفراً فان النصل عند ذلك يندفع من الباطن الى الظاهر ويخرج ولذلك سمي النعنع التيسي»^(٢١).

فالاطباء والجراحون العرب رغم تحفظهم الظاهر الا أنهم لم يخفوا رغبتهم في اجراء الجراحة بعد اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة والتي تحفظ حقوقهم كاطباء، وبعد معرفتهم بالاجراءات الجراحية بالتفصيل واتخاذ كل الاحتياطات والمبادئ الجراحية التي تتعلق بالنظافة والتطهير، ولاشك ان التجربة في جراحة البطن كانت أقل من غيرها، كما تحدثنا عن علاج الكسور والعظام ولم يسجل الجراحون العرب تجاربهم الجراحية الحربية في معظم الاحيان بالرغم من مشاركة الجراحين في الجيوش ومعالجتهم لاصابات الحروب

المختلفة، على أننا أيضاً يجب أن لا ننسى محدودية الاسلحة الموجودة في تلك الايام، وبالتالي محدودية التجربة.

ولم تكن احصائيات الاصابات أو غيرها معروفة في تلك الايام ولكن مما لاشك فيه ان نسبة كبيرة تفوق ٥٠٪ من الاصابات كانت تعالج وتشفى ولا بد من التقرير ان طريقة المعالجة للجروح في ذلك الزمان لم تكن سيئة وكانت متناسبة مع التطور التقني للاسلحة.

مراجع الفصل السادس عشر

- (١) عبد الرحيم جردانه - المجلة الطبية العربية الفلسطينية، ص ٣٦ يناير ١٩٤٧ .
- (٢) د. راجي التكريتي - الاسناد الطبي في الجيوش العربية الاسلامية ص ٨١ الجمهورية العراقية منشورات وزارة الثقافة والاعلام سلسلة الدراسات ٣٧٠ .
- (٣) د. راجي عباس التكريتي - الاسناد الطبي في الجيوش العربية الاسلامية ص ٧٨ - المصدر السابق.
- (٤) الزهراوي Spinke and Lewis - Albucasis on Surgeny and Instrument . 164- 165 Welcome institute London 1978
- (٥) راجي التكريتي المصدر السابق ذكره ص ٨٠ .
- (٦) ابن سينا القانون ص ٣٢٥ مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٧ .
- (٧) د. راجي التكريتي المصدر السابق ص ٥٥ .
- (٨) الزهراوي المصدر السابق ص ٥٧٩ .
- (٩) الزهراوي نفس المصدر ص ٥٧٧ .
- (١٠) ابن سينا نفس المصدر ص ٨٧٦ ج ٣ .
- (١١) ابن سينا نفس المصدر ص ١٩٧٨ ج ٤ .
- (١٢) ابن سينا المصدر السابق ص ١٩٧٩ .
- (١٣) ابن سينا المصدر السابق ص ١٩٨١ .
- (١٤) الزهراوي نفس المصدر ص ٦٠٠ الازجه رؤوس السهام.

- (١٥) ابن القف ج ٢٠ ص ١٣١ .
- (١٦) الزهراوي ص ٦٠٩ .
- (١٧) الزهراوي ص ٦١٣ .
- (١٨) الزهراوي ص ٦١٧ .
- (١٩) الزهراوي ص ٦١٩ .
- (٢٠) الزهراوي ص ٦٢١ .
- (٢١) ابن القف ج ٢ ص ١٣٢ .

الفصل السابع عشر

آلات الجراحة عند العرب

الفصل السابع عشر آلات الجراحية عند العرب

عندما نتكلم عن الجراحة عند العرب فاننا نتكلم عن عالم بأكمله كان لا بد من قيامه وتهيئته حتى يستطيع الجراح أن يقوم بواجبه الجراحي ويشمل هذا العالم غرفة للعمليات مهيئة بما يلزمها من اضاءة وأدوات جراحية ومساعدين لمساعدة الجراح في أثناء العملية.

لقد كان للجراحة قسم معترف به في المستشفيات العربية وكانت القاب ارباب الوظائف على الشكل التالي:

١ - رئيس الاطباء : وهو الذي يحكم على طائفة الاطباء ويأذن لهم بالممارسة ونحو ذلك.

٢ - رئيس الكحالين: حكم في الكلام على طائفة الكحالين حكم ورئيس الاطباء في طائفة الاطباء.

٣ - رئيس الجراحية : حكم في الكلام على طائفة الجراحية والمجبرين كالرئيس المتقدم^(١).

وكان هناك قاعة خاصة للجراحة في المستشفى العضدي بالاضافة الى القاعات الاخرى للبطنية والكحالة والتجبير والامراض النفسية، وقاعات لكل نوع من الامراض المعدية السريعة الانتشار^(٢).

أما في العملية فيقول د. كمال السامرائي «وفي العملية يهتم الجراح بقطع اظافر يديه وتنظيفها وغسل محل العملية في الجسم والمكان الذي يعمل فيه وتبخيره ويستحضر مقدما ما يحتاج اليه من الات ورفائد ومراهم^(٣)».

ولعل الزهراوي هو الجراح العربي الوحيد الذي وصلتنا منه صور آلاته الجراحية

فيقول في مقدمة الجزء الثلاثين «وقد قسمت هذا المقالة على ثلاثة أبواب، الباب الاول في الكي بالنار بالدواء الحاد مبوب مرتب من القرن الى القدم وصور الالات وحدائد الكي وكل ما يحتاج اليه في العمل باليد، والباب الثاني في الشق والبط والفصد والحجامة والجراحات واخراج السهام ونحو ذلك كله مبوب مرتب وصور الالات والباب الثالث في الجبر والخلع وعلاج الوثي ونحو ذلك مبوب ومرتب من القرن الى القدم وصور الالات»^(٤).

لقد ذكر ابن القف وابن سينا الالات الجراحية المستعملة بالاسم ولكنهم لم يرسموا منها شيئاً، يقول ابن القف «وان لم يفني ذلك بالغرض فيقوم العظم ويخرج ببعض الالات حتى لا يبقى منه شيء فان كان الفساد قد بلغ المخ فينشر العظم بمنشار غير انه قبل ذلك يجب ان يسال اللحم الفاسد وهو ان يدخل مرود بين العظم واللحم الى أن يصل الى الموضع الذي اللحم فيه فتلصق بالعظم فيحس فيه بالوجع ، يسال اللحم عنه وان امكن قطعه فيقطع»^(٥).

ويحدد ابن القف الشرط العاشر من شروط العمل الجراحي «ان يكون مكاوى معدة يكوى بها اطراف العرق ان كانت الادوية لم تقم بذلك»^(٦).

ولا شك أن الالات في ذلك العصر كما في كل زمان تعتمد على درجة انطلاق الخيال تعبيراً عن الحاجة الملحة من جهة، ومن جهة أخرى تعتمد على درجة التقدم في صناعة الالات والمعادن المختلفة، وعند مراجعة الالات الواردة في كتاب الزهراوي التي اورد لكلاارك في الشكل المرافق ١٧٠ آلة منها^(٧).

ونستطيع تقسيم الالات الى:

١ - الات الكي وهي بسيطة وقد نوقشت قضية المعدن المستعمل من قبل الزهراوي «وقد ذكرت الاوائل ان الكي بالذهب أفضل من الكي بالحديد وانما قالوا ذلك لاعتدال الذهب وشرف جوهره وقالوا انه لا يتقيح موضع الكي وليس ذلك على الاطلاق لانني قد جربت ذلك فوجدته انما يفعل ذلك في بعض لا بد ان دون بعض والكي به أحسن وأفضل من الحديد قالوا انك اذا احميت الكواة في النار من الذهب لم يتبين لك

متى تحمى على القدر الذي تريد لحمرة الذهب ولانه يسرع اليه البرد وان زدت عليه في الحمى ذاب في النار وانسبك فيقع الصانع من ذلك في شغل، فلذلك صار الكي بالحديد عندنا أسرع وأقرب الى الصواب للعمل ان شاء الله».

والمكاوي أشكال مختلفة يذكر منها الزهراوي:-

١ - المكواة الزيتونية: رأسها كالزيتون.

المسمارية : رأسها كالمسمار فيها بعض التقيب وفي وسطها نتوء صغير. النقطة: لكي الاذن.

السكينية كالمسارية : يكون السكين فيه اغلظ.

الهلالية : رأسها كالهلال لكي الجفن.

المجوفة: كهيفة انبوبة ريشةالنسر من الطرف الواحد الذي يكون به الكي.

مكواة ذات ثقب لكي مرض الرئة والسعال.

مكواة ذات السفودين في كي الابط.

مكواة ذات ثلاث سفاقيد.

مكواة نقطية لكي المعدة.

مكواة تشبه الميل لكي ورم الكن.

مكواة مستديرة في كي عرق النسا ثلاثة اقداح في داخل بعض.

مكواة دائرة بسيط.

مكواة نصف دائرية لكي العنق.

مكواة مثلثة لكي العنق.

مكواة تشبه المعدتين الصغيرتين في كي الاصداغ.

انايب لادخال المكاوي الصغيرة لكي الاعضاء الداخلية.

٢ - الالات المستعملة في البط والجراحات وهي تشمل مجموعة من المياضع والسنانير

والمقصات والمجارد .

- مبضع - ١ - لبط رؤوس الصيان.

-مبضع - ٢ - لبط الاصداغ.
-مبضع شوكي لاجراج النوافير.

وتظهر هناك صور متشابهة لمباضع مختلفة في عمليات مختلفة.

السنانير احادية

السنانير ثنائية

السنانير الثلاثية.

ومنها صغيرة او متوسطة او كبيرة.

- آلة سكينية حادة من الجهة الواحدة وملساء غير حادة من الجهة الاخرى وهذه صورتها.
شكل ١ .

- ويعتبر جانبها الحاد الى فوق نحو اللحم الملصق بالجلد وجانبها الاملس نحو العظم
وتدفعها حتى تنتهي الى الشق الاوسط وتقطع بها جميع الاوعية التي تنزل من
الرأس الى العينين من غير ان يصل القطع الى ظاهر الجلد.

- آلة لصب الادهان الادوية في الانف شكل ٣ ، شكل ٢ .

- آلة تشبه المقص لاستئصال اللوزتين ومبضع . شكل ٤ .

- آلة مجوفة لقلاع اللهاة . شكل ٥ .

- كلاليب لاجتذاب العلق من الحلق.

- مدسات ثلاثة انواع كبيرة ووسط وصغيرة . شكل ٦ .

- مسبار شكل ٧ .

- مقصات مقص صغير لقص الجفن شكل ٤ .

للتطهير : شكل ٨

جفت «ملقط» انه لاستخراج العظام او اي انبوه لادخال شكل ٩ .

مقادح شكل ١٠ .

- مخادع كبيرة وصغيرة ومتوسطة شكل ١١ .

- محاجم كبيرة ومتوسطة وصغيرة شكل ١٢ .
- قسطاير لاختراج البول من المثانة شكل ١٣ .
- زراعة لحقن الادوية والماء الى المثانة شكل ١٤ .
- فحص لطيف للمثانة شكل ١٥ .
- محقن لعلل المقعدة والاسهال والقولنج شكل ١٦ ، ١٧ .

٣ - آلات العظام:

- مناشير لكسر العظم شكل ١٨ .
- مجارد للعظم شكل ١٩ ، ٢٠ .
- صنارة عمياء لجذب الدوالي شكل ٢١ .
- كلاليب تخذب بها السهام شكل ٢٢ .
- مدافع لدفع الشظايا والاسهم شكل ٢٣ .
- مناقب لثقب الجمجمة كبيرة وصغيرة ومتوسطة شكل ٢٤ .
- مقاطع من خشب او حديد لجبر الترقوة . شكل ٢٥ ، ٢٦ .
- الات لعلاج الورك المكسور شكل ٢٧ ، ٢٨ .

توليد

- لولب يفتح به الرحم شكل ٢٩ .
- لولب اخر شكل ٣٠ ، ٣١ .
- مشداخ لرأس الجنين . شكل ٣٢ .
- آلة لتبخير المرأة عند احتباس الطمث والمشيمة ونحو ذلك . شكل ٣٣ .

٤ - آلات الاسنان.

- كلاليب لخلع الاسنان شكل ٣٤ .
- جفت شكل ٣٥ .

عتلات لخلع الاسنان شكل ٣٦ .

مبرد للأسنان شكل ٣٧ .

جسور اسنان شكل ٣٨ .

مجار্দ شكل ٣٩ .

بالاضافة الى تلك الالات في كتاب الزهراوي فقد اورد احمد عيسى في كتابه
الات الطب والجراحة عند العرب حوالي ١٩٠ آلة.

من آلات الجراحة ذكر منها آلات متعددة مأخوذة من ابن بطلان.

٥ - وذكر جميع الاطباء استعمال الابر في الخياطة واستعمال انواع مختلفة من الخيطان .

- الحرير «ابريسم» .

- المصران مع الكتان رقيق مفتول .

- كتلة خيط مثني .

- كتان خيط مفتول .

وبأشكالها المختلفة الملائمة للكسر كما استعملوا:

٦ - الرفائد والرباطات:

واستعمل نصبات مختلفة لتسكين الكسور يقول الزهراوي «وان يتحرى ان تكون
نصبة العضو نصبة يامن معها الوجع وذلك انه حتى أحس في حال نصبه العضو بوجع أو
ألم ان ينقلها الى غير تلك القصبية التي لا يحس معها بوجع ويتحرى مع ذلك ان تكون
نصبته تلك مستوية مستقيمة لئلا يحدث في العضو اعوجاج اذا انجبر»^(٨).

٧ - كما استخدموا الجبائر المختلفة حسب العضو المكسور بعد لفه باللفائف والخرق يقول
الزهراوي «ثم شد عليه حيثئذ الجبائر ولتكن الجبائر من انصاف القصب العرن
المنحوتة المهيأة بحكمة او تكون الجبائر من خشب النرايل التي تصنع من الصنوبر
أو جرائد النخل أو خلنغ اغو الكلج ونحوها مم حضر له ذلك».

ويستعمل الزهراوي آلات لشد الرقبة وانزلاق الفقرات.

واننا لم نتعرض في هذا البحث للحديث عن الكحالة أو عن طب العيون الذي كان ايضا متطورا في تلك الأيام وكان تخصصاً منفصلاً ولكننا لا بد من التنويه ان آلات الكحالة كانت ايضا متطورة ودقيقة دقة العمل في العيون.

نستطيع ان نتخيل ان كان هناك غرفة مخصصة للجراحة والبط والحجامة في المستشفيات العربية وان اهم ما في هذه الغرفة كان خزائن الآلات الجراحية الكثيرة بالاضافة الى الاربطة والجبائر المختلفة الاحجام والاشكال.

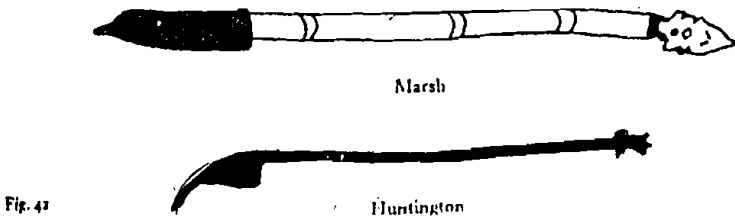
والادوية الجراحية لوقف النزيف والعلاج الجراحي ولتطهير الجلد والجروح ولا بد ان شبائك هذه الغرفة التي كانت توفر الضوء الطبيعي كانت كثيرة بالاضافة الى استعمال النور الاضافي الاصطناعي في تلك الايام سواء بالزيت او الشمع.

وكان يعمل في تلك الغرف بالاضافة الى الجراح الطبيب مساعدون لحمل المريض والمساعدة في العمليات الجراحية كما يذكر الجراحون في أكثر من موضع وخاصة في جراحة البطن.

ان نظرة على صور الآلات المتوفرة توحى بأن الجراحين والصناعيين المهرة لم يوفروا جهداً من أجل صناعة واختراع آلات تفي بالغرض ضمن المستوى العلمي لتلك الايام.

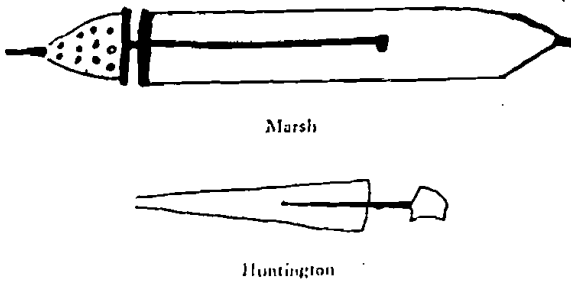
مراجع الفصل السابع عشر:

- ١ - حنيفة الخطيب - الطب عند العرب ص ٢١٩ .
- ٢ - حنيفة الخطيب - الطب عند العرب ص ٢١٧ .
- ٣ - د. كمال السامرائي - المورد ص ٣٥ .
- ٤ - الزهراوي ص ٧ .
- ٥ - ابن القف - العبرة في الجراحة ص ٥٦ .
- ٦ - ابن القف - العبرة في الجراحة ص ١٩٨ .
- ٧ - حنيفة الخطيب - الطب عند العرب.
- ٨ - الزهراوي ص ٦٨٥ .



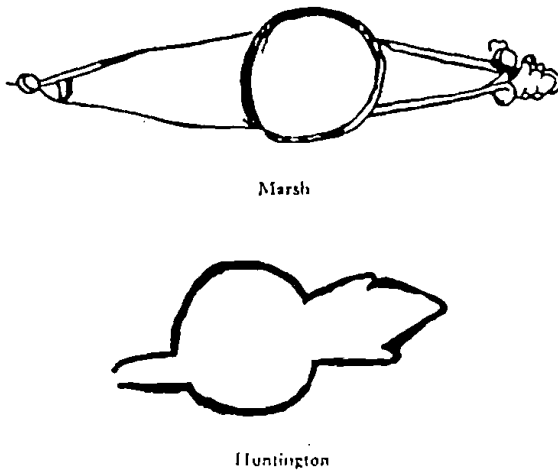
(شكل ١٢)

مقالة الفطورات ويكون صبك الأدهان والأدوية في الأذن بهذه الآلة
وهذه صورتها :



(شكل ١٣)

وهذه صورة المسعط الذي تنظير به الأدهان والأدوية في
الأنف :



(شكل ١٤)

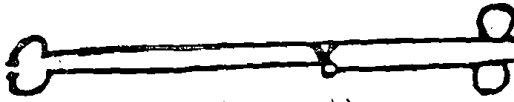
الصفات ثم تقطعها بآلة هذه صورتها تشبه المقص إلا أن طرفيها منعطفان فم كل واحد منهما بحذاء الآخر حادان جداً تصنع من الحديد الهندي أو الفولاذ^٢ الدمشقي.



Marsh



Huntington

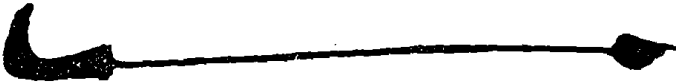


Huntington (margin)

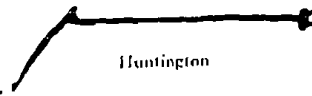
Fig. 78

فإن لم تحضر لهذه الآلة والآلات فاقطعها بمبضع هذه صورته:

20



Marsh

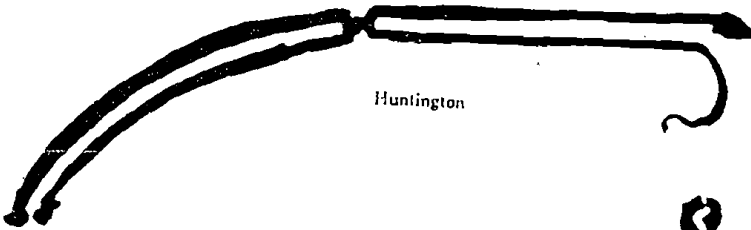


Huntington

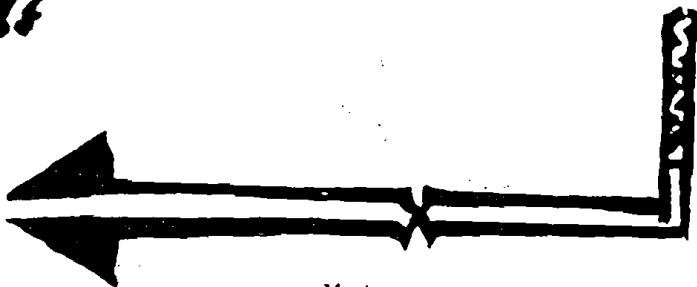
Fig. 79

(شكل ١٥)

٢٠ إلا أن لها هذا التعقيد الذي يدخل إلى الحلق وطرفاها تشبه فم الطائر فيها خشونة البرد إذا قبضت على شيء لم تتركه:



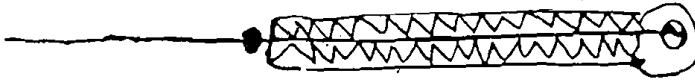
Huntington



Marsh

(شكل ١٦)

منها صور المدسات وهي ثلاثة أنواع منها كبار ومنها أوساط ومنها
صغار، صورة مدس كبير:



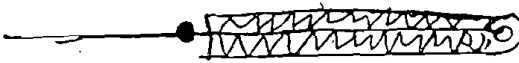
Marsh



Huntington

Fig. 88

5 صورة مدس وسط:



Marsh



Huntington

Fig. 89

صورة مدس صغير:



Huntington

Fig. 90

(شكل ١٧)

تصنع من الحديد الفولاذ مربعة الأطراف محكمة لتسرع الدخول
في الأورام، وهذه صور المسابير وتسقى البرد وهي ثلاثة أنواع
أيضا كبار وأوسط وصغار، صورة مبار كبير:



Huntington

Fig. 91

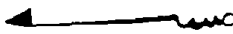
صورة مبار وسط:



Huntington

Fig. 92

صورة مبار صغير:



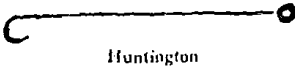
Huntington

Fig. 93

(شكل ١٨)

صورة صئارة بسيطة كبيرة:

Fig. 97

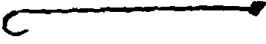


Huntington

صورة صئارة بسيطة وسط:

30

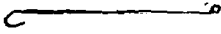
Fig. 98



Huntington

صورة صئارة بسيطة صغيرة:

Fig. 99



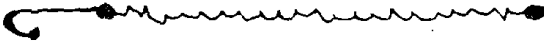
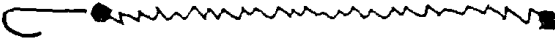
Huntington

صورة صئارة عمياء كبيرة:

Fig. 100



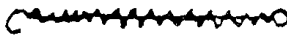
Huntington



Marsh

صورة صئارة عمياء وسط:

Fig. 101



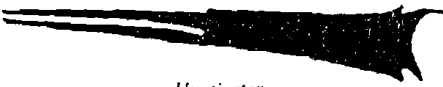
Huntington

(شكل ١٩)

ونستعين بجفت هذه صورته:



Marsh



Huntington

Fig. 73

(شكل ٢٠)

وهذه صورة أنواع من القادح ليقف عليها من جهلها :



Marsh



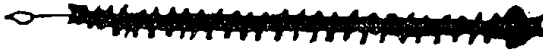
Marsh



Huntington



Huntington



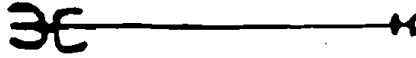
Huntington

Fig. 63

تصنع من النحاس خاصة ويكون طرفها بهذه الرقة بعينها مثلثة الطرف حادة،

(شكل ٢١)

وهذه صور المحادع وهي ثلاثة أنواع لأن منها كبارا ومنها أوساطا ومنها صفارا، صورة مخدع كبير:



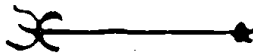
Huntington

Fig. 112



Marsh

صورة مخدع متوسط:

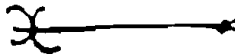


Huntington

(شكل ٢٢)

Fig. 113

صورة مخدع صغير:



Huntington

Fig. 114

صور المحاجم التى يقطع بها نرف الدم وهى ثلاثة أنواع لأن منها
كبارا وأوساطا وصغارا، صورة المحجمة الكبيرة:

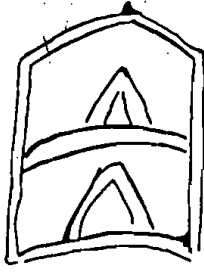


Fig. 118

Marsh



Huntington

صورة المحجمة المتوسطة:

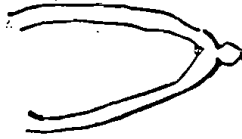
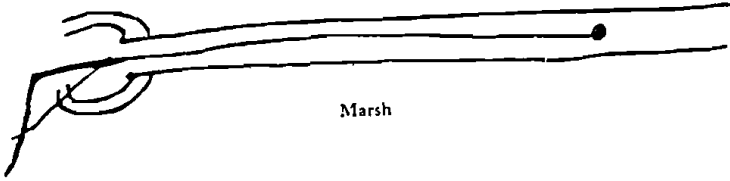


Fig. 119

Huntington

(شكل ٢٣)

١٥ تسمى قاناظير التى هذه صورتها:



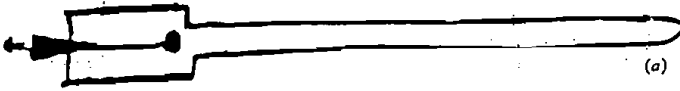
Marsh

Fig. 133

Huntington

(شكل ٢٤)

٥ الزقاقة وهذه صورتها:



Marsh



Huntington

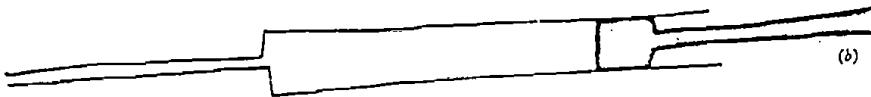


Fig. 134

Huntington
(margin)

(شكا. ٢٥)

يحسّ بها العليل ، وهذه صورة محقن لطيف أيضا تحقن به
الثالثة:

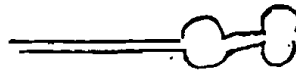


Fig. 135

Marsh

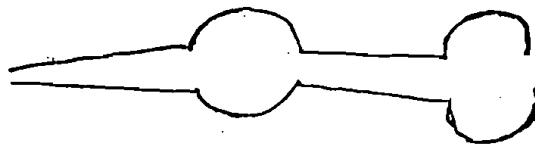
(شكل ٢٦)

مقاعدهم ضيقة أو متوجعة تكون محاقنهم لطافا جدا ، صورة محقن
كبيرة:



Marsh

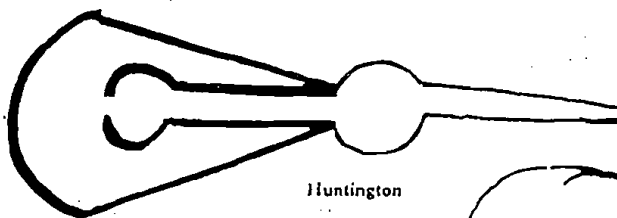
Fig. 155



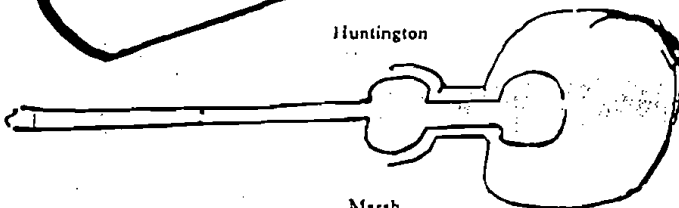
Huntington

(شكل ٢٧)

محقن لطيف مشدود عليه جلدة:



Huntington

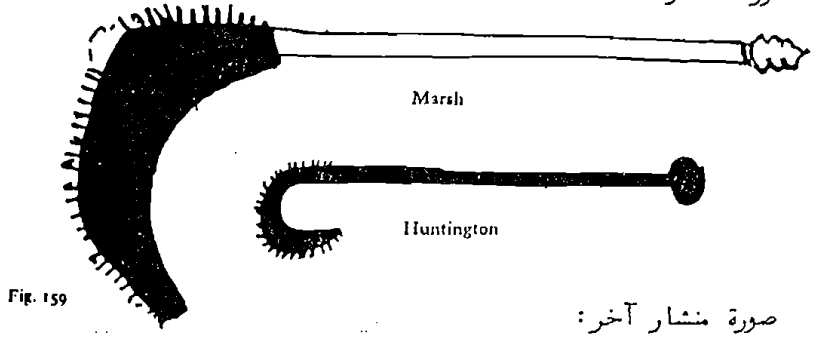


Marsh

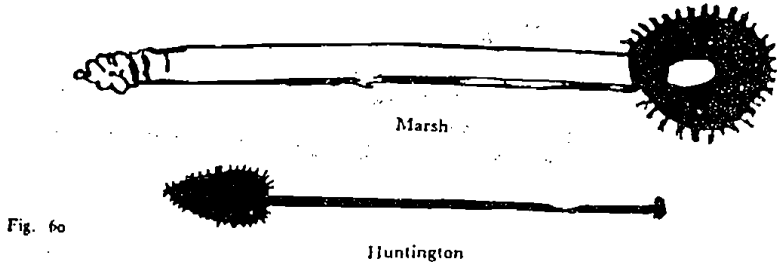
Fig. 157

(شكل ٢٨)

صورة منشار:



صورة منشار آخر:



صورة منشار صغير:

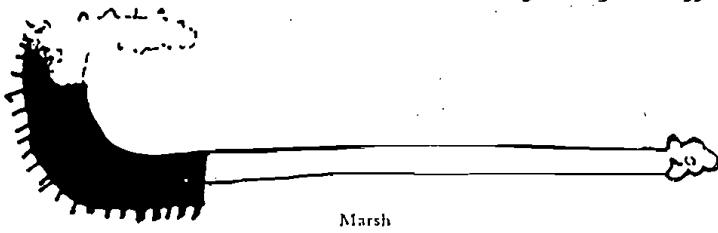
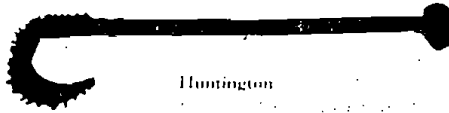
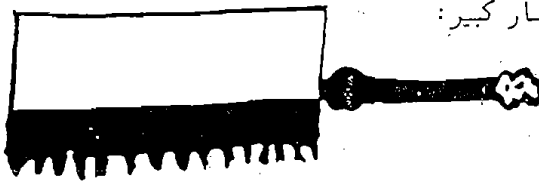


Fig. 161

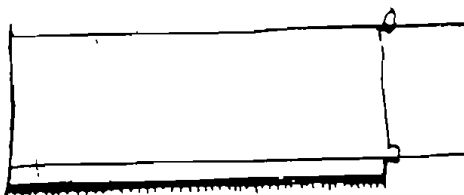


صورة منشار كبير:



(شكل ٢٩)

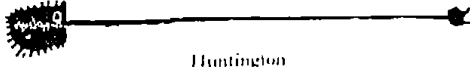
Fig. 162



صورة مجرد أيضا :



Marsh



Huntington

Fig. 174

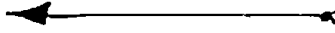
وطرفه كالمروء يتصرف فى مواضع كثيرة من جرد العظام،

150

صورة مجرد يصلح لجرد ما انتقب من العظام :



Marsh



Huntington

Fig. 175

طرفه مثلت حافة الحواشى يصنع من حديد هندتى وكذلك ينبغي

أن تصنع جميع ما ذكرنا من المجارد والمقاطع،

صورة مجرد :



Marsh

Fig. 175A

(شكل ٣٠)

صورة مجرد :



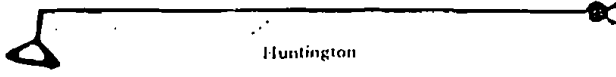
Fig. 169

صورة مجرد آخر معقف الطرف :



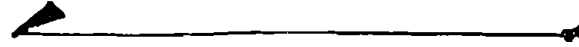
Marsh

Fig. 170



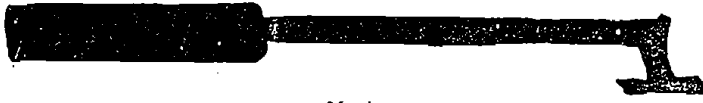
Huntington

صورة مجرد صغير يشبه السبار :



Huntington

Fig. 171



Marsh

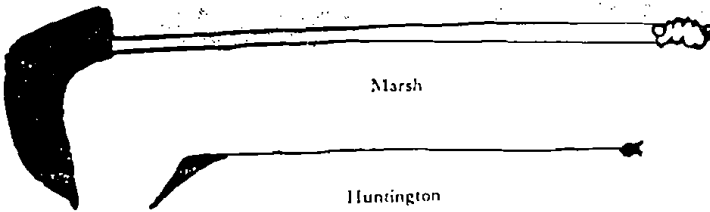


Huntington

Fig. 172

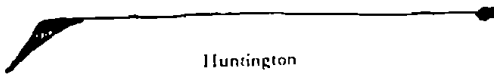
(شكل ٣١)

صورة النسل الذي تشق به الدالية :



Marsh

Fig. 176

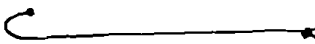


Huntington

صورة الصنارة العيا :



Marsh



Huntington

Fig. 177

(شكل ٣٢)

صورة الكلايب التي تجتذب بها السهام:

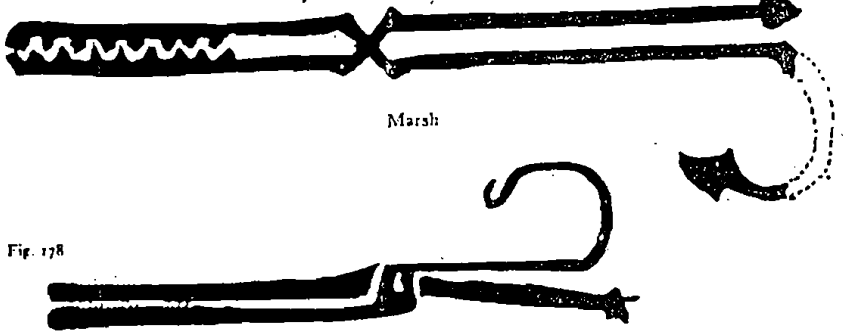
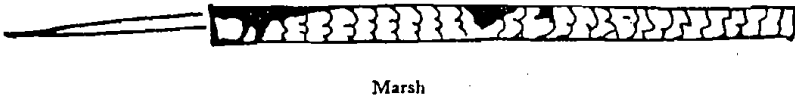


Fig. 178

Huntington

(شكل ٣٣)

صورة المدفع المجوف:



Marsh



Huntington

Fig. 179

صورة المدفع المصمت:



Marsh

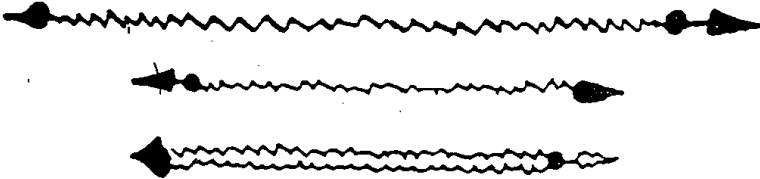


Huntington

Fig. 180

(شكل ٣٤)

وهذه صورة ثلاثة أنواع من المشابك كبير ومتوسط وصغير:

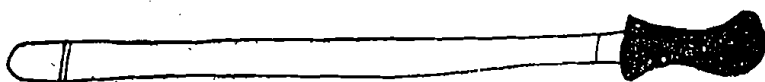


Marsh



(شكل ٣٥)

حتى اذا كشفت ذلك الجزء صيرت تحته طرف هذا المقطع العديتي
وهذه صورته :



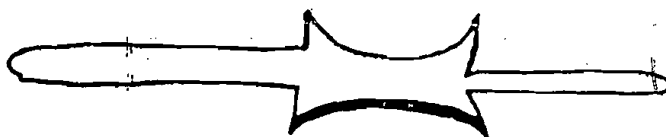
Marsh

Fig. 191

Huntington

(شكل ٣٦)

20 من حديد وهذه صورتها :



Marsh

Fig. 192

Huntington

(شكل ٣٧)

وهذه صورة اللولب والدخان والعليل :

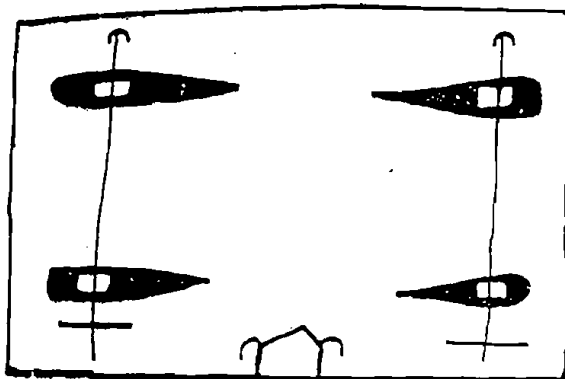
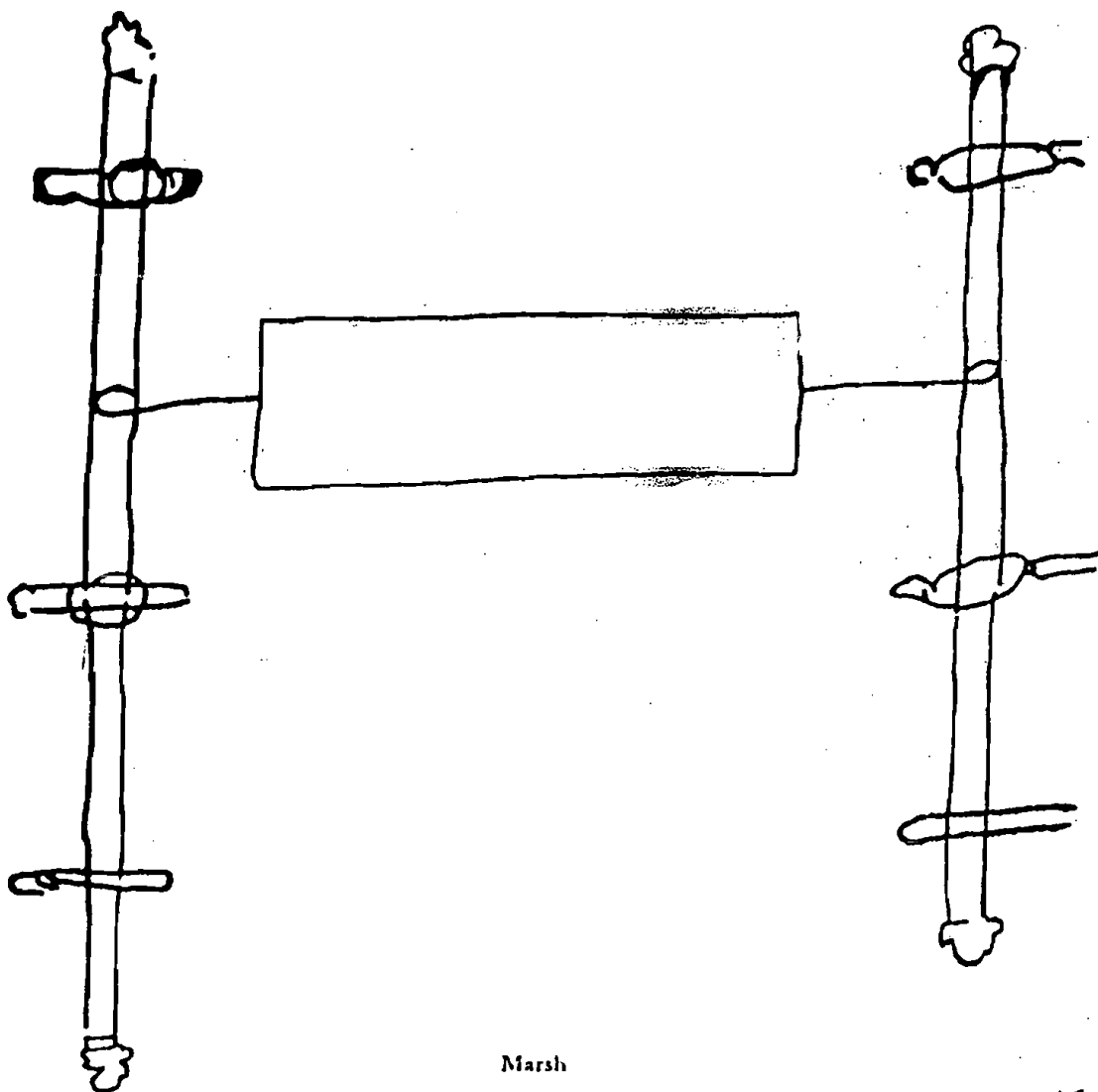


Fig. 196

Huntington

(شكل ٣٨)

وقد يعرض نتو في آخر¹³ خرزات¹⁴ الظهر فيظن به تخلع¹⁵ ويكون
ذلك عظم زائد¹⁶ قد نتا فلا تتعرض له بهذا العلاج فربما حدث¹⁷ الموت،

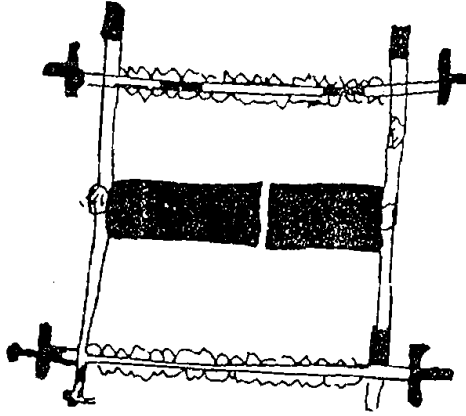


Marsh

(شكل ٣٩)

Fig. 1968

صورة لولب يفتح به قم الرحم:



Marsh

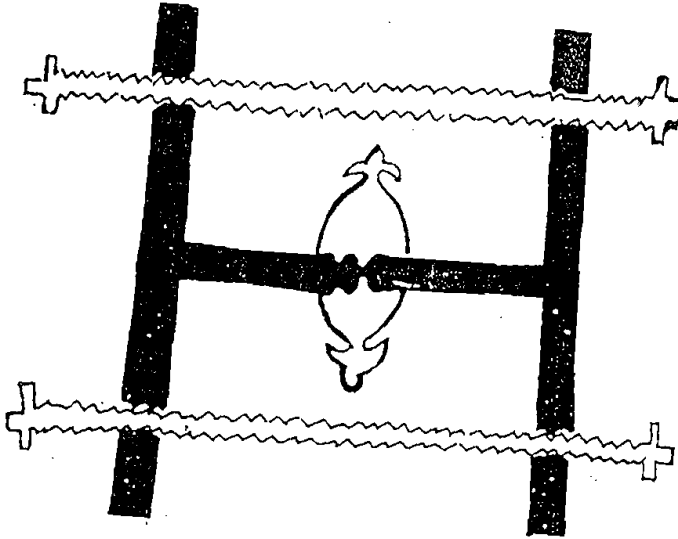
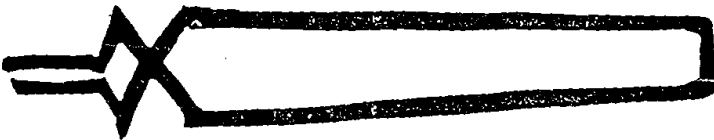


Fig. 140

Huntington

(شكل ٤٠)

صورة آلة أخرى لفتح ذلك اللف وأخف:



Marsh

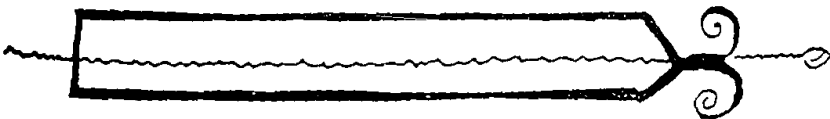
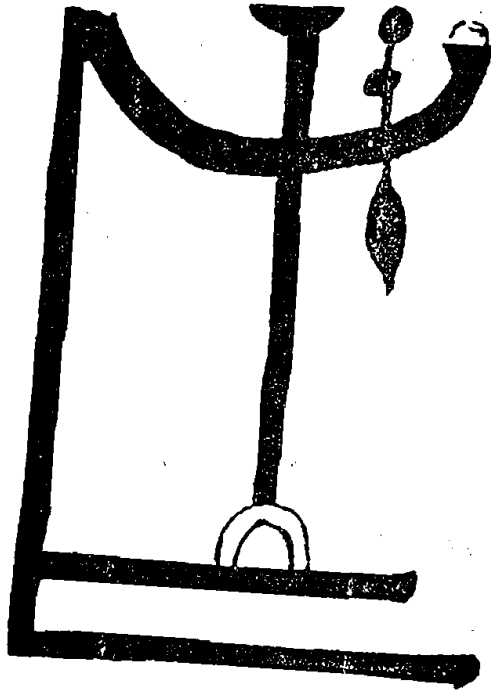


Fig. 141

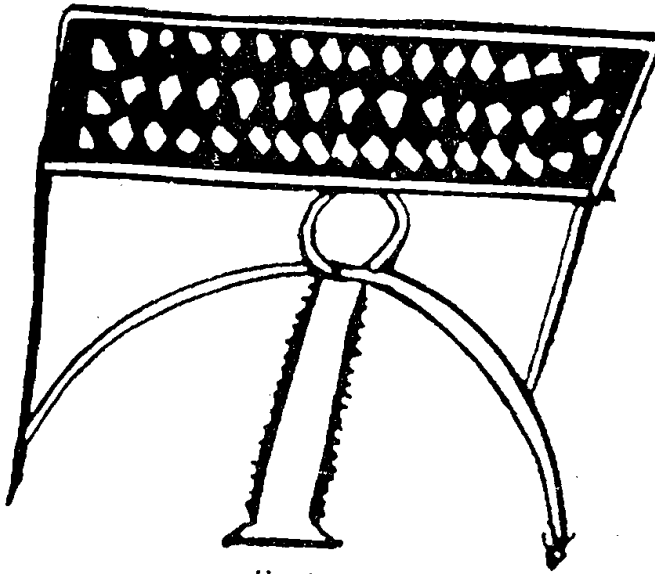
Huntington

(شكل ٤١)

صورة لولب آخر ذكره الأوائل :



Marsh



Huntington

Fig 142

شكل - ٤٢ -

صورة المدفع الذى يدفع به الجنين:

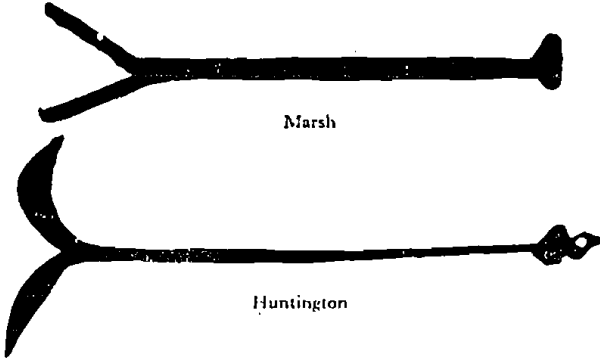


Fig. 143

صورة المشداح الذى يشدخ به رأس الجنين:

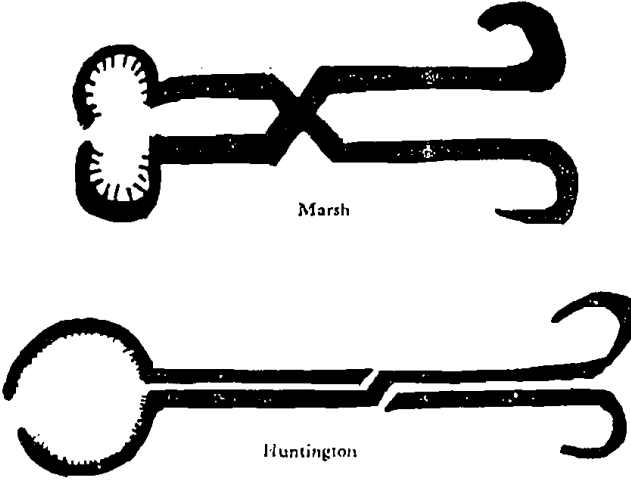
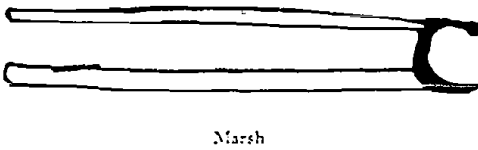


Fig. 144

(شكل ٤٣)

صورة الآلة التى تبحر بها المرأة عند احتباس الطمث والمشيبة

ونحو ذلك:



Marsh

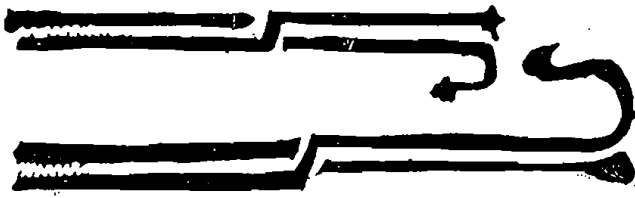


Huntington

(شكل ٤٤)

Fig. 145

تنتهي عند قبضك بها على الضرس ، وهذه صورة الكلايب الكبار :



Huntington

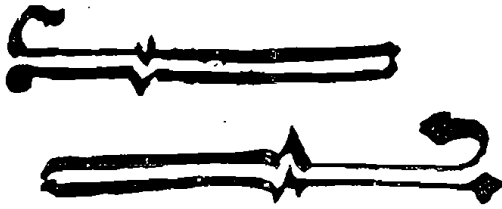
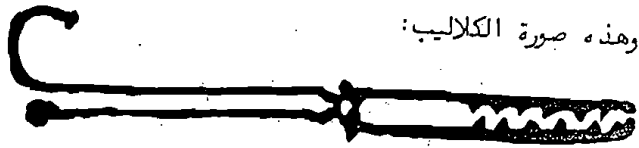


Fig. 66



وهذه صورة الكلايب :

Huntington

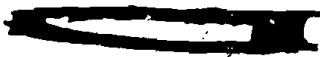


Fig. 67

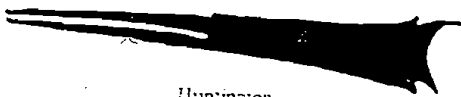
Marsh

(شكل ٤٥)

ونستعين بجفت هذه صورته :



Marsh



Huntington

(شكل ٤٦)



Marsh



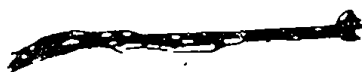
Huntington

Fig. 69

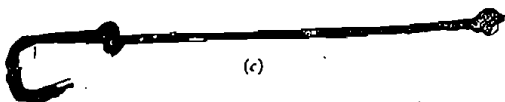
صورة مثله لطيفه أخرى؛



(a)



(b)



(c)

Marsh



(d)

Huntington

Fig. 70

(شكل ٤٧)

وَأَمَّا إِنْ كَانَ نَاتِيَا مَتَحْنًا لِبَرَادَتِهِ فَابْرَدَ بِمِيزَرٍ (٢) مِنْ هِنْدٍ (٢)

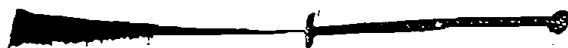
١٠ تكون هذه صورته :



Marsh



Huntington



Huntington (margin)

Fig. 75

هكذا الدهر كله، وهذه صورة الأضراس وهيئة التشبيك في² ضرسين
صحيحين وضرسين متحركين كما ترى:

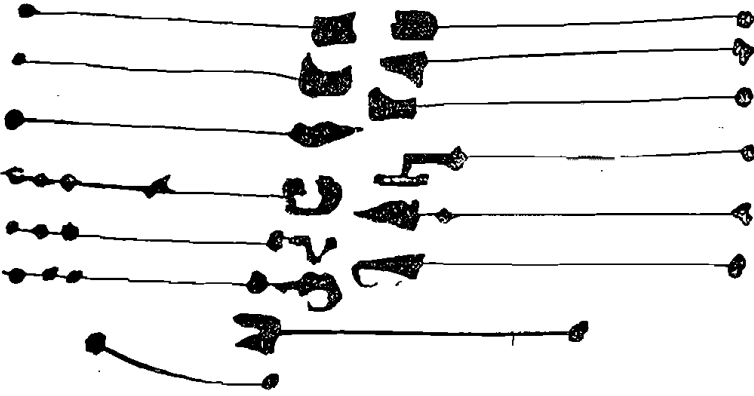


Fig. 76

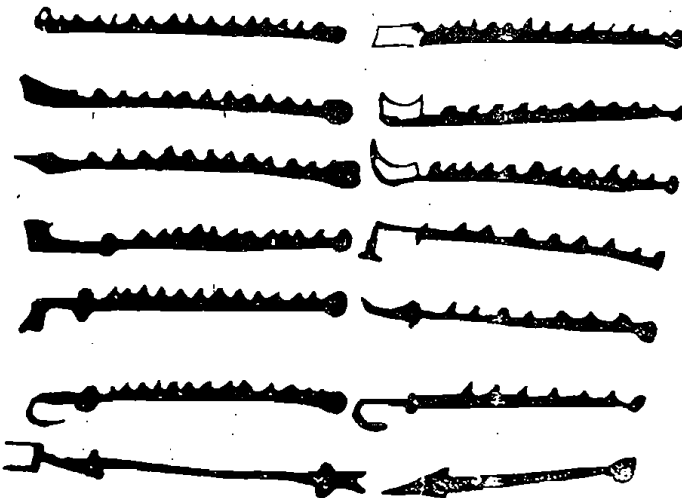
Huntington

(شكل ٤٩)

يجرد به بين الأضراس على صورة أخرى، وهذه عدّة صور مجازد
تكون عندك كلّها معدّة:



Marsh



(شكل ٥٠)

ثم تقطع ما فضل من الجفن بمقص صغيرة على هذه الصورة قطعاً
باعتدال :



Fig. 52



(شكل ٥١)

الفصل الثامن عشر

حول الجراحة عند العرب

الفصل الثامن عشر حول الجراحة عند العرب

لقد استعرضنا الممارسات الجراحية التي مارسها العرب ولم نناقش ما هو جديد وما هو مأخوذ عن القدماء وخاصة عن اليونان الذين نقلوا علوم من سبقوهم وطوروها فلعبوا نفس الدور الذي لعبه العرب في العصور الوسطى في نقل وتطور العلم. ولكننا نلاحظ في خاتمة هذا العرض أمور يجب ذكرها.

١ - الاعتماد على نظرية فلسفية في بحث العلوم: فالانتقال من العام الى الخاص هو سمة مميزة للكتب التي استعرضناها ومبدأ ابن القف بتعريف الجراحة. على انها «صناعة ينظر بها في تعريف أحوال البدن من جهة ما يعرض لظاهرة من أنواع التفرق في مواضع مخصوصة وما يلزمه وغايتها إعادة العضو الى الحالة الطبيعية الخاصة به» ويفصل في تعريف الجراحة «واعلم ان هذه الصناعة لها مبادئ ومطالب في.. الاخلات والاعضاء من الامور الطبيعية الناظر فيها الطبائي. والمطالب معرفة الاورام والقروح وأنواع التفرق الحاصل في الاعضاء الظاهرة».

فمبادئ الطب تجمع بين الجراح والطبائي اي الطبيب العام وتشمل الاخلات حسب النظرية القديمة والمزاج والاعضاء بتشريحها ووظائفها وبعد معرفة هذه المبادئ ينتقل الى معرفة تفرق الاتصال والاورام والعلاج الجراحي الخاص وهو البط والشق والكبي والفصد والحجامة بشكل عام ثم ينتقل لمعرفة علاج كل عضو على حدة.

يقول ابن سينا في مقدمة القانون «ورأيت أن أتكم في الامور العامة الكلية في كلا قسمي الطب أعني القسم النظري، والقسم العملي ثم بعد ذلك أتكم في كليات أحكام قوى الادوية المفردة ثم في جزئياتها، ثم بعد ذلك في الأمراض الواقعة في بعضو عضو، فابتدى أولاً بتشريح ذلك العضو ومنفعته»^(١).

والطب في قسميه النظري والعملي بالنسبة لابن سينا هو علم «وهو انه قبس واحد

من قسمي الطب الا علما لكن احدهما علم اصول الطب والآخر علم كيفية شرحه»^(٢).

١ - الاعتماد على التجربة بشكل عام ولا ثبات نظريات معينة. وقد نصح الاطباء العرب تدوين الملاحظات واهتموا بمسائلة المرضى يقول الرازي «اذا كنت معيناً بالصناعة واحببت ان لا يفوتك ولا يشذ عليك منها شيء فأكثر جمع الكتب في الطب، ثم اعمل لنفسك كتاباً فيكون كذلك كنزاً عظيماً وخزانة عامرة»^(٣).

والتجربة عند الرازي لم تكن مجرد الخبرة وجمع التجارب بل كانت تجربة موجهة فلكي يتحقق الرازي من اثر الفصد كعلاج للرسام (ورم في الرأس) قسم مرضاه الى مجموعتين وعالج احداها بالفصد وامتنع عن فصد الاخرى ثم يراقب الابر والنتيجة في كل أفراد المجموعتين حتى يصل الى حكم في نتيجة العلاج يقول في حديثه عند حالة تنذر بمرض الرسام «حتى رأيت هذه العلامات فتقدم في الفصد فاني قد خلصت جماعة به وتركت متعمدا جماعة، استوى بذلك رأيا فرسموا كلهم»^(٤).

كما قام الرازي باجراء التجارب على الحيوانات يقول ابن الزئبق «اما الزئبق العبيط فلا احسب انه له كثير معزة اذا شرب أكثر من وجع شديد في البطن والامعاء وقد سقيت انا من قردا كان عندي، فلم اره عرض له الا ما ذكرت، وخمنت ذلك من تلوية وقبضه بفمه ويديه على بطنه اما اذا صب في الاذن منه كان له نقاية شديدة»^(٥).

واستعمل ابن سينا التجربة أيضاً نذكر مقاله المشهور عن معرفة المرض بذكر أسماء مواقع معينة ومراته النبض اثنائها.

«استعملت هذه الطريقة مراراً وتكراراً واكتشفت بذلك اسم المعشوق اذ عند ذكر اسماء المدن والشوارع والصناعة في الذي يجس فيه النبض فان التغيير يدل على العلاقة بين المكان والصناعة والمعشوق وبذلك يمكن معرفة جملة أوصافه».

ويقول ابن سينا «وتعهدت المرض فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف»^(٦).

ولم تكن التجربة هي العنصر الاساسي في العلوم الطبية وكلها بالذات ساهمت

في تطور الجراحة بالاضافة الى القياس ومعرفة المعلومات المبدئية في التشريح ووظائف الاعضاء.

٣ - ان العرب لم يعرفوا علم التشريح كعلم مستقل وانما كان قاعدة اساسية يجب على الطبيب والجراح بشكل خاص ان يعرفها يقول الزهراوي «لان صناعة الطب طويلة وينبغي لصاحبها أن يرتاض من قبل وذلك في علم التشريح الذي وضعه جالينوس حتى يقف على منافع الاعضاء وهيئاتها ودرجاتها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والعضلات وعددها ومخارجها»^(٨).

ورأينا انه من مطالب صناعة الجراحة عند ابن القف. واذا كان العرب قد اخذوا التشريح من جالينوس الذي أخذه من مدرسة الاسكندرية فانهم لم يسلموا اليه كلياً بل ناقشوه وجربوه واكتشفوا بعض الاخطاء فقد انتقد عبداللطيف البغدادي جالينوس في قوله «أن عظم الفك الاسفل عظمتان وهي عظمة واحدة»^(٩).

وكتب ابن النفيس كتاب «شرح تشريح القانون» حيث ناقش المعلومات التشريحية في قانون ابن سينا واثبت وجود الدورة الدموية الصغرى يقول ابن النفيس: «وهذا التجويف هو التجويف الايمن من تجويف القلب واذا لطف الدم في هذا التجويف فلا بد من نفوذه في التجويف الايسر حيث يتولد الروح، ولكن ليس بينهما منفذ فان جرم القلب هناك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر كما ظن جماعة ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ الدم كما ظنه جالينوس. فان حسام القلب هناك متخصصة وجرمه غليظ، فلا بد وان يكون هذا الدم اذا لطف نفذ في الوريد الشرياني الى الرئة ليذوب في جرفها ويخالطه الهواء ويتصفي الطن ما فيه وينفذ الى الشريان الوريدي ليوصل الى التجويف الايسر من تجويفي القلب وقد خالطه الهواء وصلح لان يتولد منه الروح»^(١٠) ويقول عن تشريح المرارة مخالفاً جالينوس الذي قال «ان المرارة ينفذ منها الى الامعاء مجرى آخر تنفذ منه الصفراء الى تجاويف الامعاء وهذا مجاله باطل، فان المرارة شاهدها... ولم نجد فيها ما ينفذ لها الى المعدة ولا الى الامعاء» وهي أيضاً إشارة الى أنه مارس التشريح على الانسان كما مارسه البغدادي وابن القف وغيرهم كثيرون خاصة ابن رشد الذي يقول «ان التشريح يزيد الايمان بالله». والزهراوي الذي طالب بتشريح جثة المريض المتوفي لمعرفة

سبب المرض.

٤ - لقد توخى الاطباء العرب الامانة العلمية فهم لم يدعوا ما ليس لهم وردوا كل اقتباس الى صاحبه في القانون نجد جالينوس مقتبس ٢٢٠ مرة وجالينوس ٨٠ مرة وديسقوريدس اكثر من مرة ولا يعجد ابن سينا حرجاً في ذلك كذلك نجد في عمدة ابن القف اقتباسات من الرازي وابن هنيئ والمجوسي والزهرابي. ومع ذلك فان الامانة العلمية لم تمنعهم من ممارسة النقد اذا اتضح لهم ان التجربة سواء السريرية أو التشريحية أو الجراحية قد اثبتت صحة ذلك وقد رأينا ذلك في الكتب التي ناقشناها.

٥ - لقد كان لا بد لتراكم الممارسة والخبرة واجراء التجارب ومحاولة تقديم الاحسن في كل انتعاش الحضارة العربية الاسلامية كان لا بد من ظهور ابداع جديد وخبرات جديدة في الجراحة.

-- لقد عرف العرب وجود اجسام صغيرة تسبب المرض كما عرفوا انتقال المرض بالعدوى.

- عرفوا اهمية نظافة الجروح من الاجسام الغريبة كما عرفوا الدرنة والفتائل في الجروح.
- استعملوا المطهرات للجروح مثل النبيذ والخل والاعشاب المهدئة والبنفسج واستعملوا المطهرات قبل وبعد العمليات واختراع الرازي الكحول واطافة الى المطهرات الطبية.
- استعملوا الخمائر والعشب الفطري لعلاج الجروح كما استعملوا الخبز المتعفن للجروح القديمة.

- استخرجوا خيوط الجراحة من مصران الحيوان كما استعملوا الوسائل المختلفة للخياطة.
- ذكر الزهرابي الفرق بين الفتق الاربي المباشر وغير المباشر.
- اهتموا بالتغذية قبل العملية وبعدها واخترع ابن زهر التغذية بواسطة انبوب عن طريق المريء او بواسطة الشرج.

- عرفوا امكانية عودة السرطان بعد استئصاله وامكانية انتقاله الى عضو آخر وتركوا العلاج في الحالات المتقدمة.

- عرفوا استئصال الدوالي وسببها.

- اهتموا بجراحة البواسير وعرفوا ثلاث طرق لعلاجها الشد والقطع والخزم ووضعوا كتباً

خاصة في امراض المقعدة.

- وصف ابن القف النوم في وضع ترندلنبرغ أثناء عملية البواسير.
- عرفوا النواصير المتعددة الفتحات وعالجوها بالجراحة والكبي.
- عرفوا الالتهابات المزمنة للعظام.
- استخدموا القشاطر والزراقات والمجسات في تشخيص وعلاج المسالك البولية.
- اجروا عمليات الشق العجاني للحصاة واخرج الزهراوي الحصاة للنساء عن طريق المهبل.
- عالجوا دوالي الخصية بالجراحة.
- عرفوا اهمية كسور الاطفال والفرق بينها وبين كسور الكبار.
- اهتموا بالدشبذ في انجبار العظام.
- اهمية رفع العضو وتسكينه عند الجبر.
- عرفوا فتح الجمجمة.
- اجروا عمليات الفتق الاربي والشق عن الادرة المائية والمائية في الاطفال.
- لقد صور الزهراوي في كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف الالات الجراحية التي يستعملها وهي كثيرة وهو الوحيد الذي فكر في الموضوع على ما نعرف.

وبعد

فان تطور الطب والعلوم في الحضارة العربية الاسلامية قد قاد الى التخصص ونحن هنا بصدد الجراحة - فقدمت لاوروبا والعالم قاعدة مهمة لتطورها في العصور اللاحقة.

لقد بقيت كتب الرازي وابن سينا والزهراوي تدرس في العصور الوسطى في اوروبا حتى القرن السابع عشر واعتمد عليها أوائل الجراحين في أوروبا وكما اننا لا نستطيع ان نطور ظهور الجراحة في أوروبا من غير الجراحة العربية فان الجراحة العربية لا يمكن تطويرها من غير الطب والجراحة اليونانية وتلك من غير الطب والتشريح الاسكندراني والرافدي.

اننا ونحن نتحدث عن الجراحة عند العرب لا ننسى وضع الجراحة والطب في اطار

العصر الذي نتحدث عنه ولا ننسى أننا نتحدث عن الجراحة قبل سبعمائة عام مثلاً ولا نريد ان نتدخل في المقارنة مع حال الجراحة والطب بشكل عام في اوروبا او في اي مكان آخر فالحضارة العربية الاسلامية كانت خلاصة تجارب الشعوب الى ذلك الحين وهي كانت بالتالي ارقى مستوى وصلت اليه الانسانية حتى ذلك الوقت. ولا يجوز ان نتكلم عن الطب والجراحة بطريقة مطلقة بل بطريقة نسبية بالنسبة الى عصرها والى مستوى العلوم المحيطة. ان الاضافات التي اضافها العرب في الجراحة أو الطب لا يمكن ذكرها أو تعدادها، والقائمة السابقة هي بلا شك أشهر التجديدات وهي هنا فقط لتدل على أن العرب أضافوا في الجراحة كما أضافوا في العلوم الاخرى التي لا مجال لبحثها هنا ولو أنصف الغرب في عصر النهضة لوجدنا كثيراً من الأدوات والعمليات باسم عربي ولوجدنا اكثر عن تطور الجراحة عند العرب .

مراجع الفصل الثامن عشر

- ١ - ابن القف العمدة ص ٤ .
- ٢ - ابن سينا القانون ص ١٣ .
- ٣ - الرازي المرشد فصل ٣٧٧ ص ١٢٤ و ١٢٥ مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية المجلد السابع الجزء الاول مايو ١٩٦١ . منهج البحث العلمي عند العرب د. جلال محمد عبد الحميد عباس - دار الكتاب اللبناني - بيروت.
- ٤ - د. جلال محمد عبد الحميد موسى منهج البحث العلمي عند العرب - المصدر السابق - الحاوي ج ١ ص ٢١٣ .
- ٥ - د. جلال محمد عبد الحميد موسى منهج البحث العلمي عند العرب المصدر السابق ص ١٨٦ .
- ٦ - منهج البحث العلمي ص ٢١٤ .
- ٧ - ابن ابي اصبيعه عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٤٣٧ .
- ٨ - الزهراوي - ALBUCASIS المصدر السابق.
- ٩ - الموجز في تاريخ الطب عند العرب مجموعة من العلماء جامعة الدول العربية ص ٤٥ .
- ١٠ - د. سلمان قطايه - الطبيب العربي ابن النفيس ص ٤٨٠ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٤ .

الفصل التاسع عشر

الزهر اوي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين

الفصل التاسع عشر أبو القاسم الزهراوي

كان الخليفة عبد الرحمن الثالث الخليفة الأموي في الأندلس قد أتم بناء مدينة الزهراء شمالي قرطبة وذلك على اسم زوجته الزهراء وذلك عام ٩٣٦/٣٢٥ ونقل إليها عاصمته وبلاطه وحكومته. في ذلك العام خلف بن عباس علي الأغلب في قرطبة ولكنه عاش في الزهراء وبها نسب ويرجح أنه^(١) لقي حتفه فيها في عام ١٠١٣/٥٤٠٤ م أيام الفتنة الكبيرة حيث دمرت المدينة أيضاً.

وخدم في هذه المدينة الخلفاء المستنصر والمؤيد وخدم معه في نفس الفترة أحمد وعمر ابن يونس بن أحمد الحراثي و.. بن موسى الأسبوتي ومحمد بن عبدون الحلبي العذري الذي ألف كتاباً في التكسير^(٢) وكذلك ابن جلدجل الذي له مؤلفات^(٣) ومن المحتمل أن يكون الزهراوي قد درس عليه أيضاً وكان معاصراً لأبو عبدالله النديم وأبو بكر بن القاضي أبي الحسن الزهراوي^(٤) في أشبيلية وقد يكون درس علي أبو جعفر أحمد بن سابق الذي جدم الناصر وتوفي في دولة المستنصر^(٥).

ويذكر د. كمال السامرائي من الأطباء الذين خدموا في بلاط الخليفة المستنصر: أبو بكر حامد بن سمحون وأبو عبدالله البكري^(٦) ويظهر أنه كان سابقاً لزمانه فإن كل ما ترجم له ابن أبي أصيبعة أنه: «كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة حين العلاج وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي وخلف بن عباس الزهراوي من الكتب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف وهو أكبر تصانيفه وأشهرها، وهو كتاب تام في معناه»^(٧) مع أنه ابن أبي أصيبعة ولد بعد مئتي سنة من وفاة الزهراوي حوالي ٦٠٠ هـ غير أننا نجد الكثير من الاقتباسات والاستشهاد به في كتاب «العمدة في الجراحة» لابن القف المتوفي عام ٦٣٠ هـ وذكره في التراجم أبو عبدالله الحميدي المتوفي عام ٤٨٨ هـ في خبرة المقتبس وأبو محمد علي ابن أحمد ابن حزم وأثنى عليه وقال: «ولئن قلنا أنه لم يؤلف في الطب أجمع منه للقول والعمل في الطبائع والخبر لتصديقهم ومات بالأندلس بعد الأربعمائة»^(٨).

وقد ترجم الكتاب الى اللاتينية في طليطله من قبل جيرارد الكريموني (Liber Gerarend of Cremone) Al - SAHARAVIDE Cirugie في القرن الثاني عشر واعيد طبع الترجمة في البندقية عام ١٤٩٧ وطبعات عديدة في القرن السادس عشر^(٩) كما ترجمت الى اللغة التركية في القرن الخامس من قبل شرف الدين بن علي الحاج الياس مع تطوير للالات.

وفي عام ١٧٧٨ اخرج جون شاننغ John Channing طبقة اكسفورد وفي فرنسا خرجت طبعة فرنسية عام ١٨٦١ عن لوسيان لكرك بعنوان Le Chirurgie dalbucasis واصدر لوكنو Lucenow عام ١٩٠٨ طبقة عربية مصدرة مع أشكال توضيحية^(٩).

وطبعة انكليزية مع الاصل العربي ورسم الات عن طريق سينك ولويس ومعهد ولكم في لندن عام ١٩٧٣ وهي التي اعتمدنا عليها في هذا الكتاب. **Spinke and Lewis** لقد حظى كتاب التصريف باهتمام عالمي وكان الكتاب الاساسي للجراحة في اوروبا الخمسة قرون خلت وقد اقتبس الاوروبيون الكثير من الاشياء وطورها. ونستعرض أهم الاضافات التي اقتبسها الاوروبيون^(١٠).

١ - دراسة التهاب المفاصل وسل الصلب ونسبت هذه الامراض من بعد للانكليزي بوت وسميت سؤبوت.

٢ - طريقة فلخر Felcher الالماني المولد من اختراع الزهراوي او برفع الوالدة عند الوضع تسهلاً للولادة.

٣ - امبرواز باريه A.Pare في منع كثر من الدم من الاوعية الدموية الكبرى.

٤ - طريقة ترندلنبرغ Trendelenburg رفع الساقين أثناء عملية البطن.

٥ - طريقة معالجة الكسور المفتوحة بترك طاقة في الحبس.

ولا يقف فضل الزهراوي على هذه الامور فقد كتب السامرائي^(١١). «فكان اول من وصف الناعور (الهيموفيليا)».

وأول من ربط الاوعية الدموية بخيوط الحرير وخاط الجروح بشعر ذيل الخيل وأول من أشار الى حالة الحبل خارج الرحم والى المشيمة الميتة في الحبل وأول من أشار الى سلس البول بسبب البواسير المهبلية الثانية وأول من شق حجب المياه اثناء المخاض لتعجيل الولادة (Lewis ٤٨) (spink) وأول من اكتشف ملفظ التوليد قبل جمر كيه بعدة قرون. وأول من يحايل على فحص الحوض عند البكور عن طريق المقعدة وأول من وصف ضربات القلب الضائعة. أول من صور الالة الجراحية المستعملة فقد وصف حوالي مئتي آلة.

كتاب التصريف

ولقد استعرض الزهراوي في كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف جميع الامراض في المقالين الاولين ثم الادوية والمعاجين والتركيبات وتوسع في رصف الادوية حيث كان له اهتمام شديد بها ومنحها كثير من المقالات من الثالثة الى التاسع والعشرين. وكرس المقالة الثلاثين للجراحة فسمها «في العمل باليد من الكي والشق والبط والجبر والخلع» وركز في مقدمة المقالة... على التشريح «والسبب الذي لا يوجد صانع محس بيده في زماننا هذا لان صناعة الطب طويلة وينبغي لصاحبها ان يرتاض قبل ذلك في علم التشريح»^(١٢) وعلى «وقد نهت في كل مكان يأتي من هذا الكتاب العمل الذي فيه الغرر والخوف فينبغي لكم ان تحذروه وتفضوه مثلاً يجد الجاهل السبل الى القول والطعن فخذوا لانفسكم بالحزم والياطة ومرضاكم بالزمن والتثبت واستعمل الطريق الافضل المؤدي الى السلامة»^(١٣).

الباب الاول - في الكي ، ويركز الزهراوي مرة اخرى على التمرن «الا أنه لا ينبغي أن يتصور على ذلك الامر الامن قد ارتاض ودرب في باب الكي دربه شديدة ووقف على اختلاف مزاجات الناس وحال الامراض في أنفسها وأسبابها وأعراضها ومدة زمانها»^(١٤).

وقد صمم الزهراوي عدة اشكال من المكاوي ورسمها في كتابه حسب اعراض العلاج والتدرج ونلخص هنا الاستعمالات التي ما زالت قائمة للكي.

١ - الكي كوسيلة للتعقيم.

٢ - كوسيلة لعلاج الناصور.

٣ - في وقف النزيف.

وقد كان الكي يستعمل في كثير من المجالات ومازال يستعمل في الطب الشعبي كثير وقد خف استعماله كثيرا في الطب الحديث وقد خصص له الزهراوي ستة وخمسون فصلاً.

الباب الثاني - في الشق والبط والفصد والجراحات ونحوها. ويضيف هنا أيضاً الآلات التي يستعملها في كل عملية ويبدأ في وصف الأدوات التي يعالجها من الرأس الى القدمين في سبعة وتسعين فصلاً يتحدث فيها في أربعة فصول عن الاسنان وتثبيتها بالفضة والذهب وقلعها وكسر الفك وعلاجه وعن علاج الاورام بالجراحة والسرطان. «وذكرت الاوائل أنه متى كان السرطان في موضع يمكن استئصاله كالسرطان الذي في الثدي أو في الفخذ ونحوها من الاعضاء المتمكنة لاجراجه عجلته ولا سيما اذا كان مبتدئاً صغيراً وأما متى قدم وكان عظيماً فلا ينبغي أن تغريه فاني ما استطعت ان ابرىء منه أحداً ولا رأيت قبلي غيري وصل الى ذلك».

ثم يتحدث عن أمراض الأطفال الخلقية، كالأطفال الذين يولدون ومواضع البول غير مثقوبة والمقعدة غير المثقوبة ويتحدث عن الطهور.

ثم يتحدث عن حقن المثانة بالزراقات وفي اخراج الحصاة من المثانة وعن اخراجها عند النساء «ثم تسخن عليها عند قبالة نصب الفرج عند اصل الخد» وهو اول من فعل ذلك.

ثم عن الادرة المائية والحمية والمعائية والريحية التي مع دالية وبين علاجها الجراحي وعلاج الفتق الاربي.

ثم يتحدث عن أمراض النساء والولادة ويصور الآلات التي يحتاج اليها في اخراج الجنين وهو مخترع الملقط لاجراج رأس الجنين ويتحدث عن أمراض المقعدة والبواسير والنواصير وعلاجها الجراحي ويتحدث في الفصل الرابع والثمانون عن الجراحات فيقول

«فاقول ان الجراحات تختلف بحسب الشيء الذي يكون من الجراحة، وبحسب الموضوع الذي يقع عليه الجرح فالاشياء التي تكون بها الجراحات كثيرة كضربة حجر أو قطع سيف أو سكين أو طعن رمح أو عود أو سهم وغير ذلك من أشياء كثيرة، واما الجراحات بحسب المواضع من الجسم كالجرح الذي يقع على الرأس أو العنق أو الصدر أو البطن أو الكبد ونحوها من الاعضاء، واني واصف علاج بعض الجراحات لتجعلها قياساً وقانوناً على سائر الجراحات، واني ابتدئ بجراحات الرأس البسيطة خاصة لان المركبة سيأتي ذكرها في أول الباب الثالث من هذا الكتاب»^(١٦).

ثم يعرف العلاج العام لينتقل لشرح جراح البطن وخروج المعاء وخیاطتها وأنواع الخياطة والمضاعفات المختلفة ويصف الخياطة مصران الحيوان «وقد يمكن أن يخاط المعاء أيضاً بالخيط الرقيق الذي يسيل من مصران الحيوان اللاصق به»^(١٧).

ولعله أول من استعمل خيوط ال Cat Gut. ويتكلم عن بتر الاطراف والدوالي ولعله اول من استعمل سل العروق بالطريقة الحديثة «واما سله فيكون على هذه الصفة تمكن ساق العليل ان كان فيه شعر كثير ثم تدخله الحمام وتنطل ساقه بالماء الحار حتى تحمر وتدر العروق أو يرتاض رياضة مغرية ان لم يحضره حمام حتى يسخن العضو، ثم تشق الجلد قبالة العرق شقا بالطول اما في اخره عند الركبة او في اسفله عند الكعب ثم تفتح الجلد بالصنانيير وتسلخ الجلد من كل جهة حتى يظهر للحس، وهو عند ظهوره تراه احمر قائماً، فاذا خلص من الجلد تراه أيضاً كأنه الوتر ثم تدخل تحته مروداً، حتى اذا ارتفع وخرج عن الجلد علقه بصنارة عمياء ملساء، ثم شق شقاً آخر بقرب ذلك الشق بقدر ثلاث اصابع ثم اسلخ الجلد من على العرق حتى يظهر، ثم ارفق بالمرور كما نقلت وعلقه بصنارة أخرى كما فعلت أولاً ثم شق شقاً آخر أو شقوق كثيرة ان احتجت الى ذلك ثم سله واقطعه في آخر الشق عند الكعب ثم اجذبه وسله حتى يخرج من الشق الثاني»^(١٨) ثم يتحدث عن اخراج السهام وعن الفصد والحجامة وتعليق العلق.

الباب الثالث - في الجبر ويقدمه بخبرته ايضاً «وانما استفدت من ما استفدت لطول قرائتي لكتب الاوائل وحرصني على فهمها حتى استخرجت علم ذلك فيها، ثم لزمته التجربة والدربة طول عمري، وقد رسمت لكم من ذلك في هذا الباب جميع ما احاط به

علمي ومضت عليه تجربتي بعد ان قربته لكم وخلصت من شعب التطويل واختصرته غاية الاختصار وبينته غاية البيان وصدرت لكم فيه صوراً كثيرة من الآلات التي تستعمل فيه اذ هو من زيادة البيان كما فعلت في البابين المتقدمين»^(١٩).

يتحدث في الباب الاول عن الكسور بشكل عام عن التشخيص والعلاج. أما الباب الثاني فيتحدث عن كسور الرأس ويصف الترتيب «اما كيفية الثقب حول العظم المكسور فهو أن تجعل المثقب على العظم وتديره باصابعك حتى تعلم ان العظم قد نفذ ثم تنقل المثقب الى موضع آخر وتجعل بعد ما بين كل ثقب قدر غلظ المرور أو نحوه، ثم تقطع بالمقاطع ما بين كل ثقبين وتفعل ذلك بغاية ما تستطيع عليه من الرفق كما قلنا حتى تفلح العظم اما بيدك أو بشيء آخر من بعض الآلات التي اعدتها لذلك مثل الخفق والكلاليب اللطاف، وينبغي ان تحذر كل الحذر أن يمس المثقب أو المقطع شيء من الصفاق».

ويتابع وصفه مركزاً على العناية الفائقة ان لا تجرح أو تصيب الصفاق أو الدماغ وعلى ازالة كل العظام والحشونه الناتجه عن العمل.

ويتحدث عن التشخيص والعلاج بالشد والربط والجبائر وعن الكسور مفصلة من الرأس الى القدمين وعن المدة التي يحتاجها كل كسر على حدة.

وبعد، فانه من السهل الآن في نهاية القرن العشرين أن ترى بساطة وبدائية الوسائل التي كان الزهراوي يشخص ويعالج بها ولكننا لا بد من النظر الى الزهراوي كابن عصره واعتباره انه:-

- قد اضاف وصف أمراض جديدة لم تكن معروفة.

- اضاف علاجاً جديداً لم يكن معروفاً أيضاً واذا كانت الجراحة معروفة كصناعة اليد، فان الزهراوي أولها اهتماماً جديداً وحاول في ضمن ظروفه ان يعالج بواسطتها ما رآه ممكناً وضرورياً.

- أضاف آلات جديدة ورسمها وبينها لتلاميذه وهو وان كان لم يلاق الاهتمام المناسب من معاصريه فان ما بدأه قد استمر قرون كثيرة حتى وصل الى المستوى الحديث

من الجراحة العصرية ولا بد في هذه المرحلة ان نتذكر أوائل الجراحين الذين وضعوا
الاسس في مرحلة صعبة للغاية.

ولكن الزهراوي قرأ كتب الاطباء الذين سبقوه فهو يذكر جالينوس وابوقراط
وباول الاجيني من الاسكندرية ولعل الاخير هو الأكثر تأثيراً في ابو القاسم.

مراجع الفصل التاسع عشر

١ - سامي حمارنة تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين ص ٣٣٥ الاردن - جامعة اليرموك
١٩٨٦ .

٢ - ابن ابي اصيبعة - نفس المصدر السابق - ص ٤٨٧ .

٣ - ابن ابي اصيبعة - نفس المصدر السابق - ص ٤٩٣ .

٤ - ابن ابي اصيبعة - نفس المصدر السابق - ص ٥٣٦ .

٥ - ابن ابي اصيبعة - نفس المصدر السابق - ص ٥٣٧ .

٦ - د. كمال السامرائي مختصر تاريخ الطب العربي ج ٢ ص ١٦٨ الجمهورية العراقية وزارة الاعلام
١٩٨٥ .

٧ - ابن ابي اصيبعة نفس المصدر ص ٥٠١ .

٨ - سامي حمارنة - نفس المصدر السابق ص ٣٣٥ .

٩ - د. احمد عبد الحمي Ahmad Abdulhai + Syed Wasim Ahmad India Islamic
Medicin 1981

١٠ - زيفريد هونكه شمس الله على الغرب ص ١٩٥ دار النهضة العربية.

١١ - السامرائي نفس المصدر ص ١٧٠ .

١٢ - الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر السابق - ص ٣ .

١٣ - الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر السابق - ص ٧ .

١٤ - الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر السابق - ص ٩ .

- ١٥- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر السابق - ص ٤٢١
- ١٦- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر السابق - ص ٥٢٧
- ١٧- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر السابق - ص ٥٥١
- ١٨- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر السابق - ص ٥٩٧
- ١٩- الزهراوي - ALBUCASIS - نفس المصدر السابق - ص ٦٧٧ .

الفصل العشرون

ابن سينا



(شكل ٥٢) ابن سينا يتحدث مع إحدى تلاميذه

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل العشرون ابن سينا والجراحة

لم يعرف ابن سينا كجراح أدى خدمات للجراحة بشكل خاص ولكن ابن سينا في كتابه القانون قدم فصلاً كاملاً عن الجراحة في الفصل الثالث عن الأورام ثم الرابع في تفرق الاتصال والجراحات والقروح والعقد الخامس في الجبر وإذا لم يعرف ابن سينا كجراح فإنه بلا شك معلم الأطباء وشيخهم في البلاد العربية والإسلامية وأوروبا لقرون كثيرة. وهو قد جمع جميع معارف زمانه في الجراحة وبالتالي فإن علمه الجراحي وصل إلى كل طبيب.

ولد أبو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا في أفشنة بالقرب من بخارى^(١) عام ٩٨٠/٣٧٥ م في عصر انحطاط الدولة العباسية.

فالبويهيون يحكمون العراق وفارس والغزنويون في إيران وأفغانستان والفاطميون في مصر وسوريا والاندلس في آخر أيام خلافتها الأموية وابتداء ملوك الطوائف. أنه عصر اضطرابات سياسية وقد تأثر طبعاً بها فنجد يستوزر ثم يعزل واستوز ثانية وانتقل في بلاد فارس عند البويهيين عند شمس الدولة أبوطاهر بن فخر الدولة البويهي^(٢) في الري وهمدان وقزوین. وشارك في غزوات الأمير الذي كان يشكو من القولنج وتوفي أثناء غزواته^(٣) ثم توجه إلى أصفهان واشتغل بها ثم جرجان ثم عاد إلى أصفهان وهمدان وتوفي بها عام ١٠٣٧/٤٢٨ هـ وبين كل هذا الأحداث الجسم التي يمر بها يجد وقتاً للكتابة، وإي كتابة فقد كتب في جميع معارف ذلك العصر فجدد الرجل الموسوعة والطبيب الحكيم فقد كتب في الفلسفة والكيمياء والمنطق والموسيقى والرياضيات والفلك والجغرافيا كما كتب في اللغة العربية والإلهيات ونظم القصائد باللغة العربية كما ألف باللغة الفارسية.

ولم يرد في سيرته التي رواها لصاحبه ورفيقه أبو عبيد الجوزاني أنه اشتغل في المستشفيات ولكنه اعتمد في جميع هذه العلوم التي كتب بها على ذكائه الشديد وعلى

القراءة لكثير من الكتب يقول^(٤) «ثم رغبت في تعليم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة، فلا جرم اني برزت فيه في اقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون عليّ علم الطب. وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف، وانا مع ذلك اختلف الى الفقه، وأناظر فيه وأنا في هذا الوقت من أبناء ستة عشر»، «فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها وكنت آذاك للعلم أحفظ، ولكنه اليوم معي انضج والا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء»^(٥).

ثم توفي والده واشتغل في السياسة لدى السلطان وانتقل الى عدة بلدان وقد كتب في تلك الفترة مجموعة من الكتب أهمها القانون في أربعة عشر مجلدة وحاول زيادتها فيما بعد «وكان قد حصل للشيخ تجارب كثيرة فيما باشره من المعالجات عزم على تدوينها في كتاب القانون، وكان قد علقها على أجزاء فضاعت قبل تمام كتاب القانون»^(٦). وثم الحمله في جرجان والرهى وهمدان في ثماني عشر مجلدة.

وكتب في الطب أيضاً كتاب الشفاء، وكتاب في القولنج وكتاب في الادوية القلبية وتعاليق مسائل حنين في الطب وقوانين ومعالجات طبية ومسائل عنده طبية عشرون مسألة سأل عنها بعض أهل العصر وفي معرض رسالة الطبيب في القوى الطبيعية ويعتبر القانون ليس أهم كتاب لابن سينا بل أنه أهم كتاب وضع في العصور الاسلامية حتى ذلك العصر، وقد اكتسب شهرة واعترافاً من جميع اطباء عصره فلم يبق طبيب عربي أو مسلم في تلك الايام لم يضع شرحاً له اهمهم:

- موجز القانون لابن النفيس.
- شرح تشريح القانون لابن النفيس أيضاً.
- شرح القانون للامام فخر الدين الرازي توفي عام ١٢٠٩ .
- شرح القانون شوقي الدين ابراهيم بن علي المصري توفي عام ١٢٢١ .
- شرح الكليات لابن سينا لقطب الدين محمد بن مسعود والتيرازي ١٣١٠ .
- منطق القانون لمحمود بن محمد الكففي ١٣٤٤ .
- شرح القانون لداود الانطاكي ١٥٧٩ .

- الكليات من القانون ابن سينا ١٢٨٦ .

وقد ترجمه للمرة الاولى الى اللاتينية جيرارد الكريموني بن عامي ١١٥٠ -
١١٨٧ واعيدت ترجمة الكتاب بعدها ٨٧ مرة^(٧).

وبقي القانون أساس التعليم الطبي في كل جامعات اوربا على مدى سبعة قرون
حتى القرن السابع عشر.

«وفي الواقع فاننا نجد مصير ابن سينا قد دام بالضبط دوام الطب النظري وقد امكن
القول انه في سالفينو» كان الطب فناً، مجموعة من المعارف الطبية «بينما صار في حوالي
السنه ١٢٠٠ في مونبيلييه» علماً عقلاً حقيقياً «بفضل العرض المرموق الذي وجدوه
للمرة الاولى في كتاب القانون لابن سينا» ويتابع المستشرق غواشون^(٨) «الا انه ما احدث
نجاح طبيبنا أدى فيما بعد الى سقوطه. اذ عندما أصبح الطب تجريبياً فانه تجاوز أفكار ابن
سينا «لكن تأثير ابن سينا في الغرب ساحق كما في الشرق، فقد كان القانون قاعدة
التعليم في جميع الجامعات، ولم ينح طبيب أو مؤلف في الطب من تأثيره، ولم يقتصر
تأثير ابن سينا على الطب، بل امتداد الفلسفة والعلوم وعلم الفلك والمعادن وتركيب
الادوية وعلم النفس والعلاج النفسي.

يقول ابن سينا في مقدمة القانون «وبعد فقد التمس مني بعد خلص اخواني، ومن
يلزم مني اسعاف بما يسمح به وسعي أن أصنف في الطب كتاباً مشتملاً الكلية والجزئية
اشتمالاً يجمع الى الشرح الاختصار والى ابقاء الاكثر حق من البيان الايجاز فاسعفن
بذلك ورأيت أن أتكلم أولاً في الأمور العامة الكلية في كلا قسمي الطب أعني القسم
النظري والقسم العملي، ثم بعد ذلك أتكلم في كليات أحكام قوى الأدوية المفردة، ثم
في جزئياتها، ثم بعد ذلك في الأمراض الواقعة بعضو عضو، فابتدىء أولاً بتشريح ذلك
العضو ومنفعته واما تشريح الاعضاء المفردة البسيطة فيكون قد سبق مني ذكره في
الكتاب الاول الكلي وكذلك منافعتها ثم اذا فرغت من تشريح ذلك العضو ابتدأت في
أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته، ثم دلت بالقول المطلق على كليات
أمراضه وأسبابها وطرق الاستدلالات عليها وطرق معالجتها بالقول الطبي أيضاً، فاذا
فرغت من هذه الأمور الكلية أقبلت عن الامراض الجزئية، ودلت أولاً في أكثرها أيضاً

عن الحكم الكلي في حده وأسبابه ودلائله ثم تخلصت الى الاحكام الجزئية، ثم اعطيته القانون الكلي في المعالجة ثم نزلت الى المعالجات الجزئية بدواء بسيط ومركب»^(٩) وبدأ بتعريف الطب فيقول^(١٠) «أقول: أن الطب علم يتعرف عن أحوال بدن الانسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة، ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة».

اي طب وقائي وعلاجي ويقسم الطب الى قسمين: نظري وعملي وكلاهما علم «انه ليس واحد من قسمي الطب الأعلى لكن أحدهما علم أصول الطب والآخر علم كيفية مباشرته»^(١١).

ثم يولي التشريح أهمية قصوى ويقدم تشريح جسم الانسان من الرأس الى القدمين عضواً عضواً.

ونحن نتنقل في هذا البحث فوراً الى الجراحة أو كما يسميها تفرق الاتصال فيحدد أسبابها من داخل أو من خارج فالتى من داخل مثل خلط أطال أو امتلاء ريحي ويوجب التفرق اما لشدة الحركة أو لكثرة اعادة أو انفجار الاورام والتي من خارج مثل الشد والكسر أو القطع بالسيف أو لجرحه أو الرض وعض الحيوانات.

ويحدد اسباب الاورام ان بعضها من اعادة وبعضها من هدية العضو ويتحدث عن أسباب الوجد ليتحدث بعد ذلك عن كيفية مكافحته.

ويتحدث في العلاقات الدالة على الأورام عن الباطنة والظاهرة. أما الظاهرة فيدل عليها الحس والمشاهدة وأما الباطنة فالخار منها يدل عليه الحمى اللازمة والنقل والصلابة من أفضل الدلائل. ويتحدث عن النحافة العاجلة الظاهرة في البدن والغور في العينين ثم عن انتقال المادة في الاورام الباطنة من عضو الى عضو ثم عن علامات تفرق الاتصال.

ويتعرض في الفصل الثالث من التعليم الاول عن امراض الاطفال الولادية وعلاجها ويتحدث بعد ذلك عن العلاج الطبيعي والرياضة والحقن «هي معالجة فاضلة في تعفن الفضول عن الامعاء وتسكين أوجاع الكلى والمثانة وأورامها ومن أمراض القولنج وفي جذب الفضول عن الاعضاء الرئيسية»^(١٢).

ثم الفصد والحجامة والعلق ويوليها عناية عظيمة في النظافة والاستطبانات. ثم يتحدث عن معالجة الاورام فلخصها:

١ - الادوية كالمحللات والقباضات.

٢ - البط والاسهال للاورام الباطنة.

٣ - الانضاج والبط.

٤ - التخفيف للقروح.

وعندما يتحدث عن البط فانه يتحدث عن الأدوية المسكنة للألم وعن الأدوية الحابسة للالم والالات اللازمة للجراحة.

يقول «وينبغي أن يكون الباط عارفاً بالتشريح، تشريح العصب والاوردة. والشرابين لثلا يخطيء فقطع منها شيئاً فيؤدي الى هلاك المريض»^(١٣). ويتحدث في الفصل الرابع من الجزء الاول في الفصل الثامن والعشرون عن «كلام مجمل في معالجات تفرق الاتصال واصناف القروح... والضربة والسقطة»^(١٤).

يقول «تفرق الاتصال في الاعضاء العظيمة يعالج بالتسوية والرباط الملايم القول في صناعة الجبر وسيأتيك في موضعه ثم بالسكون واستعمال الغذاء المغربي الذي يرجى أن يتولد منه غذاء غضروفي ليسد شفتي الكسر» وأما تفرق الاتصال في الاعضاء اللينة فيفرض منها مراعاة أصول ثلاثة ان كان السبب ثابتاً فأول ما يجب هو قطع ما يسيل وقطع مادته ان كان لمجاورة مادة والثاني الحام الشق بالادوية والاغذية الموافقة والثالث منع العفونة ما امكن»^(١٥).

ثم يتحدث في الفصل التاسع والعشرين عن الكي كعلاج لمنع انتشار الفساد ولتقوية العضو الذي يرد مزاحه وتحليل المواد الفاسدة المتشعبة بالعضو ولحبس النزف، ويفضل ابن سينا الذهب للكي وفي الفصل الثلاثون يتحدث عن تسكين الاوجاع والتخدير فيتحدث عن الافيون والشحوم اللطيفة المعروفة والادهان والعناد الطيب والمجلد الثالث من القانون يتحدث عن أمراض الاعضاء عضواً عضواً وعندما نبحت عن الأمراض الجراحية فنجد المقالة تتحدث عن أورام الرأس وعن الشجة وقطع جلدة الرأس.

«ويحدث في الجراحات الواصلة الى غشاء الدماغ استرخاء في جانب وتشنج في مقابلة» وهذه ملاحظة هامة وأورام الاذن وعلاج القروح التي تسمى حلوة في الانف ثم أورام اللسان وأورام الحلق ثم يتحدث عن أورام وجراحة الرئة، وأورام القلب وأورام الثدي وعلاج ابن سينا أكثر محافظة من الزهراوي فبينما يقطع الزهراوي الورم نجد ابن سينا يكتفي بالادوية والاعشاب لعلاج الاورام كافة. ويتحدث عن أورام المريء والمعدة والكبد والطحال وأورام الحارة والباردة والصلبة.

ويتحدث في الفصل السابع عشر عن علل المقعدة والبواسير وقطعها وخزيمها وعلاجها كما يلي:-

- ١ - اصلاح البدن استفراغ ومن الردىء.
- ٢ - تليين الطبع لئلا تؤدي صلابة النقل المقعدة.
- ٣ - فان لم يتمكن فتدبيره اما انه الباسور واسقاطه بقطعه أو تجفيفه واجرامه بما يفعل ذلك.

«والجلوس في نبذ اللادي عجيب النفع في تسكين وجع القطع وكذلك الجلوس في مياه ضخ فيها المليينات».

«وان لم ترد أن يكون قطع الباسور بآلة أو خرم بل بالدواء فذر عليه دواء حاد، فانه يأمله.. ويظهر اللحم الصحيح».. في معاملة المرضى من جهة التغذية والمسكنات والفتائل، ثم يتحدث عن النواصير الناتجة عن جراحات المقعدة وخزيمها وأنها قد تكون ذات فوهة واحدة أو كثيرة الافواه. ويتحدث عن أورام الكلية وحصاة الكلية وعلاجها «والاعراض التي تقصدها الاطباء في علاج الحصاة، قطع مادتها ومنع تولدها بقطع السبب واصلاحه ثم تفتيتها وكسرها وازعاجها وابانتها من متعلقها بالادوية التي تفعل ذلك ثم اخراجها والتلطف فيه وتربيته. وذلك يتم بالادوية المبررة أو.. من الخارج ثم تدبير تسكين ما يتسع ذلك من أوجاع وقد يتصدى قوم لخراجها من الشق من الخافضة، ومن الظاهر وهو خطر عظيم وفعل من لا عقل له» ويتحدث عن المثانة وامراضها وحصاتها وأورامها وأورام الخصية والقضيب وقروحها.

ثم يتحدث عن الدوالي وذاء الفيل والفتق وما يشبهه. أما الدوالي فتسل وتقطع ولكن ليس باناقة ووصف الزهراوي.

ويتحدث ابن سينا في الكتاب الرابع من القانون في الفصل الثالث عن الأورام والبثور فيشمل جميع الأورام، من الجمرة والنحلة والسرطان والطواعين والسلع والخنزير والأورام الصلبة ويتحدث في الفصل الرابع عن تفرق الاتصال وعلاجه «أنا نروم في بعض الأعضاء التي تفرق اتصالها أن يعود اتصالها كما كان وذلك في مثل اللحم وتروم في بعضها أن يبقى تماسها بحافظ وإن لم يعد اتصالها وذلك في العظم اللهم إلا في عظام الاطفال والصبيان فقد رجي فيهم ذلك العود»^(١٦) ويعتمد ابن سينا في تأكيده على التجربة وتجويز القياس.

١ - أعضاء لا يرجى البريء منها وبالتالي لا فائدة من علاجها. «من الأعضاء أعضاء اذا وقع فيها جراحة عظيم القدر وقتل في الأكثر وربما لم يقبل في النادر كالمثانة والكلى والدماغ والامعاء.. والكبد وأما القلب فلا يتوقع السلامة مع حدوث جراحة فيه»^(١٧).

٢ - افضل ما يعني به في الجراحات منع تورمها واحالة الورم الى قيح وغليه.

٣ - الحياطة اذا كانت أطراف الجرح لا تلتقي واستعمال المجففات والملصقات.

٤ - وضع الجرح يجب أن يكون ملائماً للدرنقة «وتحرى ان يكون لفوهة الجرح مكان ينصب الوضر منه دائماً لطبعه».

٥ - استعمال منبتات اللحم والادوية الملحمة والاكالة الناقصة للحجم.

٦ - يجب أن يذهب البط مع الجلد في الاربي والابط أما ما عدا ذلك يتم توجيه البط الناضر التي يسيل منها القيح الى أسفل.

ويتحدث عن تدبير جراحات الاحشاء في فصل آخر.

١ - ادخال المعى واذا خرج من البطن لانه اذا لم يدخل فوراً انتفخ وغلظ وذلك لما يتولد فيه من الريح فلا يدخل من ذلك الحرق والسبب في انتفاخ المعى هو برد الهواء فلذلك ينبغي أن تغمس اسفنجة في الماء الحار وتعصرها وتكمد بها.. فان لم يملك هذا العلاج انتفاخ المعى فليستعمل توسيع الجراحة.

وأصلح الاشكال والنصب للمريض اذا كانت الجراحة متجهة الى فوق فالشكل والبطين المتجهة الى أسفل فان كانت الجراحة في الشق الأيمن فينبغي أن يأخذ المريض بالميل الى الشق الايسر ويكون قصدك ان تكون الناحية التي فيها الجراحة أرفع من الناحية الاخرى.

والحاجة الى خادام جزل يمسك موضع تلك الجراحة كله بيده من خارج فيضمه ويجمعه ويكشف من بعد شيء للمتولي خياطتها.

٢ - يصف خياطة الباطن بين الصفاق والمراق (حافتي البطن).

٣ - المعى الصائم لا بد من جراحة تقع فيه.

٤ - اذا خرج الثرب من البطن فيجب ارجاعه واذا عفن ما خرج منه يبادر في قطعه.

ثم يتحدث عن طريقة بطن الجراحات والأدوية الملحمة للجراح والأدوية المدملة والحاتمة للجراحات والأدوية المنبثة للحم في الجروح والقروح ويتحدث في المقالة الثانية عن السجح والرض والفسخ والدني والسقطة والصدمة والحزمة ونزف الدم وغير ذلك.

ثم في الوخز والخزق وإخراج ما يحتبس من الشوك والسهام والعظام والحروق ثم في نزف الدم وحبسه ويستعمل الفتائل والضغط والخياطة والكلي بالإضافة الى الادوية المختلفة ثم يتكلم عن القروح وعلاجها وأنواعها القروح الصديدية والوسخة والكهوف والقروح الغائرة والخايء ودودة القروح والنواصير واللحم الزائد عن الجراحات. ثم يتكلم في المقالة الرابعة عن جراحات العصب ويتحدث عن خياطتها. ويتحدث عن الاورام التي تعرض للعصب المجروح.

ويتحدث في الفصل الخامس عن الكسور والجبر في ثلاثة مقالات:

المقالة الاولى - في الخلع والفك ويعرف الخلع بأنه خروج العظم عن موضعه ووصفه الذي له بالطبع خروجاً تاماً وان لم يكن خروجاً تاماً جس زوال أو وتي اذا كان اذى لم يحرك العظم لكنه رضى ما يحيط به فهو الوهن ومن المفاصل سهلة الانخلاع

ومنها صعبة متوسطة عن خلع الفك والترقوة والمنكب والعضد والكتف والمرفق والرسغ والاصابع وانخلاع الخرز وزوالها والعصص والدرك والركبة والرضفة ومفصل العقب عند الكعب وعظام القدم.

ويتحدث في المقالة الثانية - عن الكسر في كلام كلي وأنواع الكسر التي تختلف عن المصطلحات الحديثة ولكنها لا تبتعد عنها في الجوهر ثم في أحكام الانجبار وضده وفي أصول الجبر والربط. ووصايا المجبر وفي شق المجبور الى رفع أو تغليف العضود تسكينه وكيفية الرباطات والرفائد ثم كيفية الربط بالتفسير والتفصيل وكيفية الجبائر وكيفية استعمالها ثم يتحدث عن الكسر مع الجراحة وضرورة المحافظة على فتحة في الجبيرة لعلاج الجرح ثم في اساءة الجبر ثم في أدوية الكسور وهي اطلية وأدوية ملينه لصلابة المفصل وتقويات للاسترخاء واستعمال الماء الحار والدهن ثم أدوية تصليب الرشبد من تغذية المريض.

والمقالة الثالثة - تتحدث عن كسر كل عضو على حده من القحف والجمجمة الى اللحي والانف والترقوة الكتف والعضد والاطلاع والخرزات والعضد والساعد والرسغ والاصابع، ثم كسر الورك والفخذ والفلكة ثم الساق والكعب والعصب واصابع الرجل. ابن سينا والجراحة .

لقد قدم ابن سينا في كتاب القانون عدة فصول في الجراحة ونجد اجزاء متناثرة في فصول مختلفة يمكن ضمها الى الجراحة وقد كانت هذه المعلومات معينة نهل منه الاطباء عبر العصور الماضية الا اننا نلاحظ عدة امور عندما نتحدث عن ابن سينا والجراحة بعد قراءة القانون.

١ - ان ابن سينا ليس جراحا بطبعه بل وليس انسانا عمليا أي يحب العمل باليد ولعل ذلك عائد الى تربيته الفلسفية والى سعة معلوماته الفلسفية بل والموسوعية في جميع المجالات لدرجة ان مجموع مؤلفاته الطبية لا يتعدى جزء يسير من جميع ابحاثه ودراساته ومؤلفاته.

وقد غلب على مؤلفاته وهذا أحد أهم مميزاتها الطابع الفلسفي المعني بالترتيب ومحاولة تطبيق الفلسفة على الطب كالتعليل وشرح الاسباب ولكنه اعتمد ايضاً التجربة والقياس كأساس لمعلوماته.

ان هذا الترتيب بالاضافة الى اعتماده على المصادر اليونانية بشكل كبير هو الذي سهل نشره في الغرب.

٢ - لقد ابتكر ابن سينا و اضاف في جميع المجالات ما عدا الجراحة حيث انه كان أقل حماسة لحمل الموضع والشق والبط وحتى الكي ولكنه عكس المعارف الجراحية المعروفة في عصره ولا ندرى اذا كان قد أجرى عمليات جراحية.

٣ - انه اعتمد كثيراً على آراء الأولين وخاصة من اليونانيين فنجد اقتباسات لابوقراط وجالينوس في كثير من المواضع ولا نجد اقتباسات كثيرة ممن سبقوه من الاطباء العرب كالرازي والمجوسي. فهو يستشهد بأبو قراط ٨٠ مرة وبجالينوس ٢٢٢ مرة وديسقوريدس ١-٦ مرات بينما لا يذكر الرازي الا مرة واحدة في ذكر «ستياف العربي الذي نسبته الرازي الى نفسه» ولا يذكر علي بن عباس المجوسي البتة.

٤ - ان سعة اطلاع وعلم ابن سينا وأعماله المختلفة في صحبته الامراء لم يتح له المجال للتفرغ للطب وهو لم يكن سريراً على أي حال اذ أنه لم يعمل في مستشفى ولم يرد عنه ذلك ولم يرد في ما رواه لابن عبيد الجوزاني أي ذكر لأي مستشفى عمل به.

مراجع الفصل العشرون

- ١ - بخارى - وهي عاصمة ولاية اوزبكستان السوفياتية.
- ٢ - ابن ابي اصيبعة ص ٤٤٠ .
- ٣ - ابن ابي اصيبعة ص ٤٤١ .
- ٤ - ابن ابي اصيبعة ص ٤٣٨ .
- ٥ - ابن ابي اصيبعة ص ٤٣٩ .
- ٦ - ابن ابي اصيبعة ص ٤٤٣ .
- ٧ - ابن سينا القانون.
- ٨ - ابن سينا ص المقدمة ١ .
- ٩ - ابن سينا القانون المقدمة.
- ١٠ - ابن سينا القانون ج ١ ص ١٣ .
- ١١ - ابن سينا القانون.
- ١٢ - ابن سينا ج ١ ص ٢٩٣ .
- ١٣ - ابن سينا ج ١ ص ٣١٩ .
- ١٤ - ابن سينا ج ١ ص ٣٢٢ .
- ١٥ - ابن سينا ج ٣ ص ١٥٤٣ .
- ١٦ - ابن سينا ص ٤ ١٩٦٥ .
- ١٧ - ابن سينا ص ١٩٦١ .

الفصل الواحد والعشرون

ابن القف

ابوالفرج ابن موفق الدين يعقوب بن اسحاق المعروف بابن القف المتطبب
المسيحي الكركي الملكي المذهب.



ابن القُفِّ

(شكل ٥٣) ابن القف

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الواحد والعشرون ابن القف

كانت مدينة الكرك في الاردن قد تحررت لتوها من قبضة الصليبيين في زمن صلاح الدين الايوبي، وبدأ العصر الذهبي للمدينة وأعيد ترميم قلعتها الحصينة وأعيد لها مركزها المهم على طريق الحجاج الى مكة المكرمة.

ولد ابو الفرج ابن القف عام ٦٣٠ هـ - ١٢٣٣م في زمن الملك الايوبي الناصر صلاح الدين داود وانتقل مع والده الى صرخد/ في سوريا الذي نقل اليها ليعمل في ديوان البر وكانت صرخد قد بلغت اوج شهرتها تحت حكم الامير عز الدين ايلك.

وكان والده صديقا لابن ابي اصيبعة الذي يقول فيه :

« كان والده موفق الدين صديقا لي مستمرا في تأكيد مودته، حافظا لها طول أيامه ومدته. تستحلي نفائس مجالسه وتستحلي عرائس مؤانسته، المعى اوانه واصمعي زمانه، جيد الحفظ للاشعار، علامة في نقل التواريخ والاخبار متميز في علم العربية، فاضل في الفنون الادبية، قد اشتمل في الكتابة كل اصولها وفروعها، وبلغ الغاية من بعيدها وبديعها وله الحظ المنسوب الذي هو نزهة الابصار، ولا يلحقه كاتب في سائر الاقطار والامصار»^(١).

وفي صرخد بدأ ابو الفرج تعلمه الطب على يد ابن ابي اصيبعة «فقصد أبوه تعليمه الطب فسألني ذلك فلازماني حتى حفظ الكتب الاولى المتداول حفظها في صناعة الطب كمسائل حنين والفصول لابوقراط وتقدمة المعرفة له، وعرف شرح معانيها، وفهم قواعد مبانيها، وقرأ علي بعد ذلك في العلاج من كتب ابي بكر محمد ابن زكريا الرازي ما عرف من اقسام الاسقام وجسيم العلل في الاجسام. وتحقق معالجة المعالجة ومعانة المداواة. وعرفته اصول ذلك وفصوله، وفهمته غوامضه ومحصله» فهو اذن تلميذ نجيب لابن ابي اصيبعة الذي توفي عام ٦٦٨ هـ بعد ان اتحف العالم بكتابه «عيون الانباء في

طبقات الاطباء».

ثم انتقل ابوه الى دمشق عام ١٢٥٢م للعمل في ديوان الامير فتوسعت آفاق العلم امام ابو الفرج.

«كان بدمشق في ذلك الوقت مدرستان للطب بجانب المستشفيات المجهزة أحسن تجهيز وأهمها البيمارستان النوري الكبير الذي بناه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بعد دخوله دمشق بحوالي قرن مضى وقد امتدح هذا البيمارستان الكثير من المؤرخين والرحالة امثال ابن جبير وابن بطوطة الذين اعتبروه احدى مفاخر الاسلام وزينة معاهده، وكان هناك يمارستان القيمري في ضاحية جميلة الأرجاء في صاحلية دمشق والذي افتتح أبوابه بفضل أريحية الامير سيف الدين يوسف بن ابي الفوارس القيمري المتوفى ٦٥٤هـ/١٢٥٦م وقد امتدح المؤرخون أيضاً يمارستان باب البريد بقرب المسجد الكبير بدمشق، ففي هذا الوسط المتقدم وما يمتلكه من مؤسسات للعلوم والمعارف اتم ابن القف الشاب دراساته وتدريبه الطبي لمزاولة المهنة التي كرس نفسه لها»^(٢).

وفي دمشق تلقى ابن القف علومه الطبية على خيرة الاساتذة في عصره «فقرأ في العلوم الحكيمة والاجزاء الفلسفية على الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخسروشاهي وعلي عز الدين الحسن الغنوي الضرير. وقرأ أيضاً في صناعة الطب على الحكيم نجم الدين بن المتفاح، وعلي موفق الدين يعقوب السامري. وقرأ أيضاً كتاب اقليدس على الشيخ مؤيد الدين العرضي وفهم هذا الكتاب فهما فتح به مقفل اقواله، وحل مشكل اشكاله»^(٤).

كان هجوم التتار في ذلك العصر وبعد خراب بغداد استمر هولاء في زحفه الى بلاد الشام. وكانت أحوال الشام أفضل فساهم الجميع في المعركة ضد التتار وعين ابو الفرج ابن القف طبيباً في قلعة عجلون في الاردن.

وهناك الف كتاب الشافعي في الطب من سنة ١٢٧١ - ١٢٧٢ وبعد ذياغ شهرة عاد الى دمشق وخدم في قلعتها المحروسة وكتب هناك عدة كتب:

- ١ - جامع العرض في حفظ الصحة والمرض عام ١٢٧٤ .
- ٢ - الكليات من كتاب القانون لابن سينا ١٢٧٨ في ستة مجلدات.
- ٣ - كتاب عمدة الاصلاح في عمل صناعة الجراح المعروف العمدة في صناعة الجراحة عام ١٢٨١ .
- ٤ - كتاب الاصول في شرح الفصول ١٢٨٣ - ١٢٨٤ .
- ٥ - حوار على ثالث القانون - لم يوجد شرح الاشارات مسوده ولم يتم المباحث المغربية ولم تتم توفي ابن القف في دمشق عام ٦٨٥هـ عن عمر يناهز اثنين وخمسون عاماً^(٥).

أما كتابه العمدة في الجراحة، فيعد أول كتاب يتخصص في الجراحة في الادب الطبي العربي ان لم نقل العالمي. ويقول ابن القف في المقدمة عن سبب تأليفه الكتاب «وبعد فقد شكا الي بعض جرايحية زماننا قلة اهتمام ارباب هذا الفن بأمر هذه الصناعة، وان واحدا منهم لم يعرف سوى تركيب بعض المراهم واطافة مفرداتها بعضها الي بعض، وانه لو سائله سائل ما هذا المرض الذي تعالجه وما سببه ولم تدأوية بهذه المداواة وما قوة كل واحد من مفرداتها لم يكن عنده ما يجيبه عن ذلك، سوى انه يقول رأيت معلمي وهو يستعملها في مثل هذه الصورة فاستعملتها، ثم قال وهذا خطأ زائد لما عرفت من تراكيب الامراض والاسباب والاعراض، وانه لابد للمعالج من معرفة ما يعالجه، ثم اعتذر بأنه ليس لهم كتاب يرجعون اليه في هذا الفن بحيث يكون جامعا لما يحتاج اليه صاحب هذه الصناعة ثم سألني سؤالاً كثيراً أن أصنف له كتاباً في ذلك وأن أذكر أولاً حد هذه الصناعة، ثم اذكر ما يحتاج اليه من الامور الطبيعية التي هي مبادئ هذه الصناعة، ثم اذكر علاقة غلبه مادة ما الموجبة للاورام التي هي مطالب صناعته، ثم اذكر كيفية حدوث تلك الاورام، ثم تقاسيمها على سبيل التفصيل وأسبابها وعلاماتها، ثم اذكر المفردات التي يحتاج الجرايحي اليها في المداواة بما هيته وتتحقق امرها ورتبه في عشرون مقالة.

المقالة الاولى - في حد الجراحة وذكر الاخلات:

فهو يقدم تعريفا للجراحة لأول مرة . فيقول «الجراحة صناعة ينظر بها في تعريف

أحوال بدن الانسان من جهة ما يعرض لمظاهره من أنواع التفرقة في مواضيع مخصوصة وما يلزمه وغايتها اعادة العضو الى الحالة الطبيعية الخاصة به».

ويعرف لاحقاً أنواع التفرق «أنواع التفرق ثلاثة، طبيعي كفتح الطبيعة للجراحات وارادي كفتحها بالحديد وبغيره وفصد العروق والحجامة وغير طبيعي كالشجات وضرب السيف والسهام»^(٧) وهذا كلام علمي وهو يتناسب مع عصره حيث لا حوادث آلات ولا سيارات ولا عمليات باردة . ثم يتحدث عن الاخلاط «اما بيان كيفية تولدها فذلك مما يلزم الطبائعي ولذلك رأينا أن نترك ذكره في هذا الكتاب».

أي أنه متروك للطبيب الباطني ولكنه يتحدث بايجاز عن نظرية الاخلاط وهي المأخوذة عن اليونان الذين طوروها عن الشعوب القديمة في المنطقة العربية وهي الدم - والبلغم والصفراء والسوداء.

المقالة الثانية - في امزجة الاعضاء وفي تشريح الاعضاء البسيطة: وهو يتحدث عن غلبة الاخلاط في الاعضاء وعن امزجتها.

حار - بارد - رطب - جاف، وهذا تابع لنظرية الاخلاط السابقة الذكر ثم يتحدث عن تعريف الاعضاء ثم تشريح الاعضاء البسيطة اي العظام جميعها ثم في تشريح الاعصاب والشرابين والاوردة والعضل ثم الاغشية والغضاريف.

ويبدو من وصفه لتشريح الفك السفلي انه لم يقرأ ما كتبه عبداللطيف البغدادي عن كون الفك السفلي عظمة واحدة وانما تابع ما قاله جالينوس عن كونه عظمتين، عدا ذلك فان وصفه دقيق ومسبب دائماً. «واصلب الاعضاء البسيطة العظام وذلك لان بعضها أساس للبدن والاساس يجب ان يكون اقوى واصلب لما هو أس له».

ويبدو ان ابن القف قد مارس التشريح فنراه في تشريح الشرايين يورد أقوالاً لثلاثة علماء يونانيين هم اسقليناوس وارسطاطاليس وجالينوس ويخالفهم ويقول «على ما ثبت بالتشريح» وهو يكرر هذا كما ان وصفه للشرايين والاوردة وتقسيمها صحيح ودقيق. ويؤكد ابن القف ايضاً «اما مجاورة أحدهما بالآخر في أكثر المواضع فلا يحتاج أحدهما

الى الآخر وذلك ليربط أحدهما بالآخر ولتستفيد الاوردة من الشرايين حرارة طابخة وحياة تسري فيها وفيما داخلها والشرايين منها لطيف الدم وبخارية وذلك في المسام المفضية من احدهما للآخر الخفية عن الحس».

وهذا القول وان يعني وجود مسام خفية عن الحس بمعنى الشعيرات الدموية فانه لايعني ترتيب الشعيرات بالمعنى الحديث وانما قد يعني أيضاً وجود هذه المسام في جميع الانحاء نظرا للمجاورة بين الاوردة والشرايين.

المقالة الثالثة - في تشريح الاعضاء الالية:

ويبدأ بتشريح الدماغ والنخاع والعينين والة الشم والشفيتين واللسان وجميع الاعضاء الداخلية.

والمقالة الرابعة - في ذكر ما يجب على الجرائحي ان يعرفه من أنواع المرض وتعريف الورم وكيفية حدوثه.

وتعتبر هذه المقالة بمثابة القسم العام في الجراحة العامة وفي تعريف المرض يتعرض لأمراض الخلقة. وأمراض الولادة فيتحدث في أسباب فساد الشكل «هذه الاسباب بعضها حادث قبل الولادة وبعضها حادث في حال الولادة وبعدها حادث بعد الولادة».

(١) المقالة الخامسة - في ما يحدث في الدم من الاورام وعلامة كل منها ثم يعرف القروح ويقسمها الى بسيطة ومركبة والدمامل والجدرى وفي بنات الليل والداحس والطواعين اي التهاب الغدد اللمفاوية وايورزما.

(٢) المقالة السادسة - في ذكر ما يحدث في البلغم والاولديما والاورام الدهنيه وتعتقد العصب وتحجر المفاصل ثم يتحدث عن البرص والبهق الابيضين.

(٣) المقالة السابعة - في ذكر ما يحدث في الصفراء والحمرة والحصبة والنملة.

(٤) المقالة الثامنة - في ذكر ما يحدث في السوداء السرطان والجذام وتشقق الاطراف والدوالي وداء الفيل.

المقالة التاسعة - في ذكر ما يحدث من أكثر من مادة واحدة، ويتحدث في الفصل الاول عن ريح الشوكة اي التهاب العظام ويتحدث عن أمراض جلدية داء الثعلب والحية والحزازة السعف والحصف والقوباء، ثم يتحدث عن الجمرة والشرأ وعن سقيروس وهو ورم صلب والثليل والعرق المديني ثم الاورام الغددية والاكلة والجرب والحكة.

المقالة العاشرة - في امور كلية محتاج الى معرفتها في المعالجة الجزئية فيتحدث في الفصل الاول - فيما يجب على الجرائحي ان يعرف من قوانين المعالجة ، وفيه يركز على أهمية معرفة التشريح ووظائف الاعضاء وعلى التشريح التوبوغرافي.

«يجب على كل الجرائحي قبل معالجة العضوان ان ينظر في امور اربعة مزاجه ووضعه وجوهره ورتبته في الحس»^(٩).

ويتحدث عن قوانين الفصد واستعمالاته وعن الحجامة واستعمالاتها وعن العلق ثم علاج الورم على وجه كلي وعلاج القروح بشكل عام ثم البط وعن الحيلة في قطع الدم وعن الكي، ويتحدث في الفصل الحادي عشر عن علاج تفرق الاتصال على وجه كلي ثم علاج الخلع والثوي والوهن على وجه كلي وأخيرا عن تسكين الالم.

المقالة الحادية عشرة - في ذكر المفردات التي يحتاج اليها الجرائحي في معالجته
وينقسم الى اربعة فصول

- في ذكر شيء من صفات الادوية المحتاج الى معرفتها الجرائحي.
- في ذكر درجات الادوية وحصرها .
- في ذكر القوى الاول والثواني والثالث للادوية.
- في ذكر المفردات وهو ذكر للنباتات والادوية المستعملة، مرتب بطريقة ابجدية.

المقالة الثانية عشرة - في علاج ما هو حادث عن الدم. ويتحدث عن علاج الفلغموني والجذري والدمامل وبنات الليل والداخس وغيره من أمراض الاصابع وعلاج البادشنام والدم الميت تحت الجلد والطواعين والايورسما والتوتة.

وفي هذه المقالة يبدأ في تقديم العلاج لما وصفه من الامراض، التي صنفها على أنها

يجب على الجراح معالجتها.

المقالة الثالثة عشرة - في علاج ما هو حادث عن البلغم. وهي الاوذيميا والسلع والخنزير وتعقد العصب وتحجر المفاصل والبرص والبهق الابيضين.

المقالة الرابعة عشرة - في علاج ما هو حادث عن الصفراء وهو في علاج الحمرة والنملة والحصبة.

المقالة الخامسة عشرة - في علاج ما هو حادث عن السوداء وهو في علاج السرطان والجذام والبرص والبهق الابيض والاسود، وتشقق الاطراف والدوالي وداء الفيل.

المقالة السادسة عشرة - في علاج ما هو حادث عن اكثر من مادة واحدة. وهو في علاج ريح الشوكة وداء الثعلب والحية والحزاز والسعفة والقوباء والحصف والجمرة وسقيروس والثآليل والعرق المدني والاورام الغدية والاكلة والجرب والحكة والنفطات والنقاحات.

المقالة السابعة عشرة - في علاج ما هو حادث عن الجرح والكسر والخلع ويتحدث في الفصل الاول عن علاج الجراحه بشكل مفصل وكيف وماذا تستعمل وعن التخطيط وجراحة البطن والاعضاء المختلفة.

والفصل الثاني - عن علاج الصدمة والسقطة.

والفصل الثالث - في علاج حرق النار ومن ضرب السياط والسحج العارض من الركوب وعقر الخف.

والفصل الرابع - عن عضه الكلب ، الكلب.

والفصل الخامس - في علاج عضه الانسان والكلب الغير كلب والقرد والذئب ثم عضه الاسد والفهد والنمر ولدغ الحيات والشعاين والعقارب الجرارة وغير الجرارة وام اربعة واربعين والرتيلاء والعنكبوت والزناير والنحل والقملة. والنحل وعض النسر

والتمساح والضفادع وابن عرس وموغالي والعضاية وسام ابرص وسلمندر. وفي اخراج السهام والازجه واخراج الشوك والسلا ثم يبدأ علاج الكسور من علاج كسر القحف والانف والفك الاعلى والفك الاسفل والترقوة والكتف والصدر والاضلاع وعظم الورك والخاصرتين والعانة والفقرات وكسر العضد والذراع والكف والاصابع وعظم الفخذ وفلكة الركبة وقصبتى الساق والقدم.

ثم يتحدث عن الخلع بشكل عام، عن علاج خلع العضد والمرفق وخلع الفك الاسفل والترقوة وخلع العضد والمرفق والرسغ واصابع اليد والكعب واصابع القدم وفي علاج الخلع مع الجرح والكسر، والتعقد العارض في الكسور وفي علاج العضو المكسور اذا بقي ضعيفا بعد جبره وعلاج العظام المكسورة اذا انجبرت وهي معوجة.

المقالة الثامنة عشرة - في الكي على سبيل التفصيل وهو خمسة فصول الفصل الاول كلام كلي في الكي وفي كي القحف والثاني في كي الوجه والثالث في كي الفم والرقة والرابع في كي الصدر والبطن والخامس في كي مواضع اخرى من البدن.

المقالة التاسعة عشرة - في علاج القروح والديلات والعمل بالحديد والخصي والتطهير.

ويتحدث عن علاج القروح المركبة والنواسير والديلات وعلاج الماء في رؤوس الصبيان وما يسقط في الاذن وسدة الاذن غير المثقوبة واللحم النابت في الانف واخراج العقد التي تعرض في الشفتين واللحم الزائد في اللثة. وجرذ الاسنان وقلعها وقطع الرباط الذي تحت اللسان وورم اللوزتين واللهاة. والخوانيق واخراج ما ينشب في الحلق من الشوك والعظم والعلق وفي علاج اثناء الرجال التي تشبه اثناء النساء وتثوى السره وفي بزل الماء من المستسقين وفي علاج من يولد من الاطفال وكمرته ومقعدته غير مثقوبتين وفي التطهير والاختصاص واحتباس البول في المثانة وحقن المثانة بالزراقة وفي اخراج الحصى واسترخاء الخصية والبظر وعلاج القرو بانواعه والخنثى والرتقاء وفي اخراج الجنين الميت واخراج المشيمة وفي علاج البواسير وقطعها وعلاج شقاق المقعدة وخروج الدم من افواه العروق وعلاج الاصابع الزائدة والملتصقة وعلاج ظفرة الاظافر روضها وعلاج علة البقر والمرض المعروف بالناقر.

المقالة العشرون - في الاقرباذين ذلك ويتحدث فيها عن ترخيص الادوية والاوزان والاكيال وانواع الادوية الادهان والمراهم والذرورات والسنونات والضمادات والغمر والاشربة.

وبعد:

١ - فابن القف يعرض في كتابه الجراحة بطريقة منطقية منتقلا من العام الى الخاص، من التشريح ووظائف الاعضاء اتجاه فرضية الاختلاط ثم منتقلا الى الجراحه بشكل عام عارضاً المبادئ العامة في علاج اي عضو منتقلا الى تخصيص كا عضو وبحث أمراضه الجراحية وكيفية علاجها.

٢ - لقد مارس ابن القف التشريح مما يؤكد كتابه في استشهاده بالتشريح لاثبات رأيه ومعرفته بالاستنتاج انه لا بد ان يكون هناك نوع من الصلة غير مرئية بين الاورده والشرابين.

٣ - انه فصل في بداية كتابه انه للجراحين فقط وعرض الامراض التي تعالج بالجراحة بشكل عام ثم بشكل خاص.

٤ - انه اطلع على كتب من سبقوه من اليونانيين والعرب من ابوقراط الى جالينوس وابن سينا والرازي والمجوسي والزهراوي، وقد استشهد بهم في كتابه.

٥ - انه عاش في زمن الغزو المغولي للبلاد العربية وهجوم هولاء عن بغداد وبلاد الشام ومعركة عين جالوت في زمان كثرت فيه الحروب وبالتالي الاصابات الحربية فازدادت أهمية معالجة الجروح والخبرة الجراحية وكان لا بد من توثيق هذه الخبرة في كتاب جامع ككتاب العمدة للجراح والملتزم طبيباً وسياسياً.

لقد كان ابن القف من أواخر المبدعين العرب الذين ساهموا في احياء الطب العربي في المشرق في وقت بدأت فيه طلائع الظلام تزحف على البلاد العربية.

مراجع الفصل الواحد والعشرون

- (١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٧٦٨ منشورات دار الحياة بيروت.
- (٢) ابن أبي أصيبعة : نفس المصدر ص ٧٦٨ .
- (٣) د. سامي خلف حمارة : أبو الفرج ابن القف ص ١٣ - القاهرة ١٩٧٤ .
- (٤) ابن أبي أصيبعة : نفس المصدر ص ٧٦٨ .
- (٥) ابن أبي أصيبعة : نفس المصدر.
- (٦) ابن القف - العمدة في الجراحة ص ٣ حيدر اباد الطبعة الاولى.
- (٧) ابن القف - نفس المصدر ص ١٣٥ ج ١ حيدر اباد الطبعة الاولى.
- (٨) ابن القف - نفس المصدر ص ١٦٣ .

الكتابة

كنت في زيارة لنقابة اطباء الاردنية عندما قرأت على لوحة الاعلانات، تأخير موعد التقدم لجائزة الطب العربية من فخامة رئيس الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية الى بداية اكتوبر/ تشرين أول/ عام ١٩٩١ .

وعدت الى مكتبي أفكر لماذا لا أتقدم ببحثي الجاهز عن الجراحة عند العرب الى اتحاد الاطباء العرب لنيل هذه الجائزة.

واتصلت بالصديق د. عبدالله بشير رئيس جمعية الجراحين الاردنيين الذي كان يطالع البحث اسأله رأيه في الموضوع، وشجعني على ذلك ولكني خلته يجاملني كصدیق، فارسلت نسخة الى الاستاذ الجليل د. نبیه معمر، الرئيس السابق لجمعية الجراحين الاردنية واتصلت به بعد أيام ليفاجئني بكيل من المديح للبحث موضوعاً وكيفاً ثم سألته رأيه في أن أتقدم للجائزة فشجعني كثيراً.

وسألت رئيس اتحاد الاطباء العرب الدكتور حسن خريس الذي فرح أيضاً بهذا الانجاز وزاد في تشجيعي.

كنت قد بدأت في كتابة فصول البحث منذ سنوات ونشرتها في مجلة (بلسم) مجلة جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني عندما رأت تحريرها بين ١٩٨٧ - ١٩٩٠ - وكان هدفي أن أبين رداً على ادعاءات المستشرقين موضحاً أن العرب قد مارسوا جراحة تليق بعصرهم وبتطورهم التقني، وأنهم كانوا مخترعي علم الجراحة ومكملية بالنظافة والتطهير وباستعمال الآلات الجراحية التي لا تبتعد كثيراً عن آلات الجراحة في هذه الأيام، هذا بالإضافة الى ممارسة التشريح والتخدير منذ فجر التاريخ متأثرين بكل ما أحاط بالانسان من تيارات دينية وفكرية تبعده عن مادية الجسد.

ووجدت نفسي أغوص في أعماق التاريخ أبحث عن العرب وأصولهم ولأوضح أن الحضارة قد بدأت في المنطقة العربية (الشرق الأوسط).

وبأن اليونانيين قد بنوا حضارتهم على حضارات الكنعانيين والمصريين والبابليين ابتداء من الابهجدية الى الفلسفة والطب. ولم يكن هدفي ايدولوجيا قوميا او شوفينيا ولكن النتائج املت نفسها بحكم تطور الاحداث، للخروج ببحث علمي ينسجم مع الحقائق العلمية التاريخية عند العرب.

ووجدتني امتلىء فخرا عندما ترسخت قناعاتي بحقيقة ان الحضارات القديمة كانت عربية وليس كما يحاول ان يدخل في رؤوسنا ان العرب هم فقط البدو الذين لم تبدأ حضارتهم الا بالاسلام وبالفتوحات وبنقل حضارة الشعوب الاوروبية بالذات اي اليونان والرومان.

وعلى الرغم من الاكتشافات الكثيرة الواردة في هذا البحث فان قرار لجنة التحكيم بمنحي جائزة الطب العربية عن افضل بحث طبي لهذا العام ١٩٩١، اثلج صدري وجعلني ارتقي الى لحظة العيد، لاشعر بالامتنان للسيد الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجزائر الذي خصص جائزة سنوية للابحاث الطبية في الوطن العربي، ولاتحاد الاطباء العرب.

ووجدت نفسي مدينا لكثير ممن ساهموا في صنع هذا البحث:- خاصة الدكتور فتحي عرفات رئيس جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني الذي وضع امكانيات الجمعية بتصرفي لاستكمال البحث وجمعه وطباعته ونشره. ولاسرة تحرير مجلة بلسم الذين ساهموا معي في تصحيح الاخطاء وجمع المواد والصور ونشر فصول البحث في المجلة.

والى جمعية العون الطبي للفلسطينيين في الاردن الذين ساعدوني في طباعته على الحاسوب واخص بالذكر الاخت نادية العلمي والاخت منال ابوغوش، ثم مكتب مجلة بلسم في عمان والاختوات العاملات هناك واخص بالذكر الاخت ساميه عبد الهادي والاخ يوسف حسن نائب المدير العام للاذاعات الفلسطينية الذي قام بقراءة البحث وتبليغه لغويا.

وكثير من الاخوة الذين شجعوني منذ البداية لادراكهم مدى أهمية البحث الحضارية والعلمية.

وبعد :

فاذا كانت الجائزة قد أفرحتني من جهة فانها من جهة أخرى زادت المسؤولية والعبء في توضيح ما غفلت عنه من الجراحة عند العرب، فاني لم اتناول كما بينت الا ثلاثة مصادر عربية قديمة لسبب بسيط، هو أنني لا املك غيرها، وقد عرفت ان هناك الكثير من الكتب في هذا الموضوع ما زالت بحاجة الى قراءة والى نشر وتلخيص لاطبائنا وزملائنا، وأرجو ان يساعدني الله في ذلك.

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ملحق

الطب عبر التاريخ

تطور الحضارة البشرية وتأثيرها في الطب والجراحة

| | |
|--|---------------|
| تأسيس اوغاريت راس شمرا/ تأسيس صيدون. | ٥٠٠٠ ق.م |
| ظهور حضارة وادي الرافدين. | ٤٠٠٠ ق.م |
| العهد السومري في العراق. | ٣٢٠٠-٢٨٠٠ ق.م |
| الدولة القديمة، سلاله الفراعنة الاولى. | ٢٨٥٠ ق.م |
| الفرعون زوسر، وزيره امحتوب ابو الطب المصري، بناء هرم سقاره المدرج. | ٢٥٨٥ ق.م |
| العصر المينوي القديم في كريت. | ٢٦٠٠-٢٠٠٠ ق.م |
| بردية ادوين سميث. | ٢٥٠٠ ق.م |
| الحضارة الهندية في وادي السند. | ٢٥٠٠ ق.م |
| سرجون الاكدي. | ٢٣٢٥-٢٢٨١ ق.م |
| بردية كون، طب نسائي. | ١٩٥٠ ق.م |
| تأسيس بابل. | ١٩٠٠ ق.م |
| حمورابي ملك بابل/ شريعة حمورابي. | ١٧٢٨-١٦٨٦ ق.م |
| سيطرة كريت على البحر المتوسط. | ١٦٠٠ ق.م |
| الهكسوس في مصر. | ١٦٥٠-١٥٦٠ ق.م |
| بردية ايرس. | ١٥٠٥ ق.م |
| معركة مجدو/ اختلال فلسطين من قبل المصريين. | ١٤٧٥ ق.م |
| اختنوتون في مصر (امينوفيس) زوجته نفرتي تي ترك طيبة ترك عبادة امون، عبد اتون، ديانة التوحيد في تل العمارنة. | ١٣٧٠-١٣٥٣ ق.م |
| توت عنخ امون - مصالحة الكهنة والعودة الى طيبة. | ١٣٥٢-١٣٤٣ ق.م |
| حيرام ملك بيلوس، ظهور الابدجدي. | ١٣٠٠ ق.م |

| | |
|--|---------------|
| خراب الممالك الميقينية في البحر المتوسط. | ١٢٠٠ ق.م |
| نبوخذ نصر الاول ملك بابل. | ١١٣٠-١١٠٩ ق.م |
| الفنيقيون في قبرص. | ١١٠٠ ق.م |
| اليونانيون يتبنون الابهجدية الفنيقية. | ١٠٠٠-٨٠٠ ق.م |
| اشور ناصر بال - مؤسس امبراطورية اشور الحديثة. | ٨٨٣-٨٥٩ ق.م |
| تأسيس روما. | ٨٥٣ ق.م |
| قصائد هوميروس. | ٨٥٠ ق.م |
| تأسيس قرطاجة. | ٨١٤ ق.م |
| الالعاب الاولمبية. | ٧٧٦ ق.م |
| آشور بنينال في بابل، واحتلاله صور. | ٦٦٨-٦٢٦ ق.م |
| نبوخذ نصر الثاني ملك بابل. | ٦٠٥-٥٦٢ ق.م |
| اكتشاف الوخز بالابر في الصين. | ٦٠٠ ق.م |
| حملة داريوس ملك الفرس واحتلال شرق اوروبا | ٥١٢ ق.م |
| الدستور الاثيني | ٥٠٨ ق.م |
| حياة ابو قراط ابو الطب اليوناني درس في ممفيس عاصمة مصر. | ٣٧٠-٤٦٠ ق.م |
| الاسكندر المقدوني يحتل الشرق الاوسط. | ٣٣٣ ق.م |
| تأسيس الاسكندرية. | ٣٣٢ ق.م |
| هيروفلس وايراستراوس يعملان في الاسكندرية ويكتبان في الجراحة والتشريح والنبض. | ٢٨٠ ق.م |
| ولادة هانيعل. | ٢٤٧ ق.م |
| ارخميدس. | ٢١٢ ق.م |
| صلح روما وقرطاجة. | ٢٠١ ق.م |
| سقوط قرطاجة وخرابها. | ١٤٦ ق.م |

ثورة العبيد في روما - سبارتاكوس.
 بومبي امبرطور روما يحتل سوريا.
 كيلوباترا في الاسكندرية.
 هيرودوس ملك اليهود في القدس.
 ميلاد المسيح.

٧٣-٧١ ق.م
 ٦٤ ق.م
 ٣٠-٥١ ق.م
 ٤٠-٤ ق.م
 ٤ ق.م

بعد الميلاد

حياة جالينوس، درس في الاسكندرية.
 الحركة النسطورية والانشقاق المذهبي في سوريا، ساهمت
 في نقل الطب من اليونان الى العرب.
 سقوط روما.
 هجرة النبي (ص) الى المدينة المنورة وبداية التقويم الهجري
 القمري.
 وفاة النبي محمد (ص).
 حياة بولص الاجيني الذي ساهم في تطور الجراحة في
 العصور القديمة.
 فتح القدس وجينديسابور في الاحواز.
 فتح الاسكندرية (عمرو بن العاص).
 الدولة الاموية.
 احتل الاسطول الاموي جزيرة رودس وكريت لهما تاريخ
 عريق في الطب والحضارة.
 ابن اثال. طبيب الخليفة معاوية ابن ابي سفيان.
 خلافة مروان ابن الحكم، ترجمة ماسر جويه البصري
 كناش القس اهرن بن اعين الى العربية. الترجمة نشرت

١٣١-٢٠١ م
 ٤٢٨-٤٥٠ م
 ٤٧٦ م
 ٦٢٢ م
 ٦٣٢ م
 ٦٢٥-٦٩٠ م
 ٦٣٨ م
 ٦٤٢ م
 ٦٦١ م
 ٦٧٢ م
 ٦٦١-٦٨٠ م
 ٦٨٣-٦٨٥ م

- في عهد عمر بن عبد العزيز.
- ٦٨٣ م وفاة خالد ابن يزيد بن معاوية، صاحب الاعمال في الكيمياء والطب.
- ٦٩٤-٧١٤ م الطبيب ثياذوق اختص في خدمة الحجاج بن يوسف الثقفي.
- ٧١٧-٧٢٠ م خلافة عمر ابن عبد العزيز، نشر كناش اهرم بن اعين الذي ترجمه ماسر جويه البصري. استخدام الطبيب عبدالله بن ابجر الكناني من الاسكندرية الى انطاكية ليمارس ويعلم الطب في مدرستها.
- ٧٥٠ م تأسيس بغداد.
- ٧٥٥ م وفاة الحلاج طيب ابو جعفر المنصور.
- ٧٦٥ م ابو جعفر المنصور يستدعي جورجيوس بن بختيشوع من جنديسابور الى بغداد ليعالجه.
- ٧٧٥ م نهاية الحكم الاموي وبداية الدولة العباسية.
- ٧٨٦-٨٠٩ م خلافة هارون الرشيد.
- ٧٨٠-٨٥٠ م حياة علي بن ربن الطبري.
- ٧٩٤ م استورد البرامكة معمل ورق من سمرقند الى بغداد في خلافة هارون الرشيد.
- ٨٠٩-٨٧٣ م حياة حنين بن اسحق العبادي «خدم الخليفة الامين والمأمون والواثق والمتوكل والمهتدي والمعتمد المتوفي ٨٩٢ م. كان ابو الترجمة من الكتب اليونانية الى العربية.
- ٨٥٧ م وفاة يوحنا ابن ماسويه خلافة المطيع، تشريح وترجمة.
- ٨٥٦-٩٢٣ م حياة ابو بكر الرازي (الحاوي).
- ٩١٠-١١٧١ م حكم الفاطميين في مصر.
- ٩١٠-٩٧٢ م تأسيس القاهرة.

| | |
|--|-------------|
| وفاة ابن الجزار القيرواني (سياسة الصبيان وتديبيرهم). | م ٩٨٠ |
| وفاة علي ابن عباس المجوسي (الكامل) وفاة ابن جلجل بقرطبة معاصر الزهراوي طبيب وجراح. | م ٩٩٤ |
| الغزنويون في افغانستان وايران والهند. | م ٩٦٢-١١٨٧ |
| حياة ابو القاسم الزهراوي في قرطبة . (التصريف لمن عجز عن التأليف). | م ٩٣٦-١٠١٣ |
| البويهيون في ايران والعراق. | م ٩٣٢-١٠٥٥ |
| حياة ابن سينا في بلاد الفرس (القانون في الطب). | م ٩٨٠-١٠٣٧ |
| وفاة ابي علي الحسن ابن الهيثم في القاهرة هندسه وطب العيون. | م ١٠٣٩ |
| بداية الحروب الصليبية في سوريا وفلسطين. | م ١٠٩٥ |
| معركة حطين وهزيمة الصليبيين. | م ١١٨٧ |
| حياة ابن رشد في قرطبه فيلسوف وطبيب. | م ١١٣٠-١٢٦٩ |
| وفاة ابن زهر فقيه وفيلسوف وطبيب. | م ١١٣-١١٦٢ |
| ترجمة القانون الى اللاتينية جيرارد الكريموني. | م ١١٨٧ |
| وفاة عبد اللطيف في بغداد طبيب وجراح وعلم التشريح. | م ١٢٣١ |
| هولاكو في بغداد. | م ١٢٥٨ |
| معركة عين جالوت وهزيمة هولاكو. | م ١٢٦٠ |
| حياة ابن القف الكركي الجراح (العمده في الجراحة). | م ١٢٣٣-١٢٨٦ |
| حياة ابن النفيس القرشي جراح وتشريح القانون. | م ١٢١٠-١٢٨٨ |
| الطاعون في مصر. | م ١٢٧٢ |
| انتصار الظاهر بيبرس على التتار وفتح حلب. | م ١٢٧٥ |
| حياة موفق الدين ابن ابي اصيبعه (عيون الانباء في طبقات الاطباء). | م ١٢٠٣-١٢٦٩ |

| | |
|--|--------|
| تشریح اول جنین فی ہولونیا فی ایتالیا. | م ۱۲۸۱ |
| نہایۃ العرب فی الاندلس. | م ۱۴۹۲ |
| معركة مرج دابق واحتلال العثمانيين للبلاد العرب | م ۱۵۱۶ |
| شرح القانون لداوود الانطاكي. | م ۱۵۹۷ |

مراجع البحث العربية

- ١ - القانون : - تأليف الشيخ الرئيس ابو علي الحسين بن علي بن سينا - ٣٧٠-٥٤٢٨ /
١٩٨٠-٣٧٠ م حققه ووضع نهايته د. ادوار القش د. في
الانثروبولوجيا، استاذ في الجامعة اللبنانية، قدم له بالعربية والفرنسية د.
علي زيعور استاذ قسم الآداب - الجامعة اللبنانية. مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٧ .
- ٢ - كتاب العمدة في الجراحة: تأليف أمين الدولة ابي الفرج بن موفق الدين يعقوب بن
اسحق المعروف بابن القف المتطبب المسيحي الكركي المالكي المذهب
المتوفي سنة ٦٨٥ هـ في دمشق، الطبعة الاولى في مجلس دائرة المعارف
العثمانية الكائنة من مكتبة الجامعة الاردنية.
- ٣ - عيون الانباء في طبقات الاطباء: تأليف موفق الدين ابي العباس احمد بن القاسم بن
خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن ابي اصيبعة، تحقيق
وشرح الدكتور نزار رضا. منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ٤ - المسائل في الطب: - لحنين بن اسحق، تحقيق وتعليق د. محمد علي ريان، د. جلال
محمد موسى، د. مرسي محمد عرب، دار الجامعة المصرية عام
١٩٧٨ .
- ٥ - مختصر تاريخ الطب العربي : - الجزء الثاني، الدكتور كمال السامرائي، دار الحرية
للطباعة - بغداد ١٩٨٥ .
- ٦ - فضل العرب على اوربا : - زيفريد هونكة، ترجمة وتحقيق د. فؤاد حسنين علي
تلتزم الطبع والنشر دار النهضة العربية - ٣٢ - شارع عبد الخالق ثروت
- القاهرة.

٧ - موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة، والحضارة العربية الاسلامية، تأليف طه باقر عضو المجمع العلمي العراقي وأستاذ بكلية الاداب - بغداد - طبع في مطبعة جامعة بغداد عام ١٩٨٠ .

٨ - منهج البحث العلمي عند العرب - الدكتور جلال محمد عبد الحميد موسى - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨٢ .

٩ - الاسناد الطبي في الجيوش العربية والاسلامية، الحكيم راجي عباس التكريتي، منشورات وزارة الثقافة والاعلامية سلسلة الدراسات الجمهورية العراقية ١٩٨٤ .

١٠ - الطب عند العرب - تأليف حنيفة الخطيب، الاهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨٦ .

١١ - ابو الفرج ابن القف - الطبيب الجراح العربي، تأليف سامي حمارنه مطبعة اطلس - القاهرة ١٩٧٤ .

١٢ - مقدمة في تاريخ الطب العربي - د. ماهر عبد القادر محمد علي دار العلوم العربية - بيروت ١٩٨٨ .

١٣ - الاعجاز الطبي في القرآن - د. السيد الجميلي - مكتبة دار الهلال - بيروت ١٩٨٥ .

١٤ - الطب النبوي - لشمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية ٧٥١-٦٩١هـ، راجعه عبد الغني عبد الخالق - استاذ اصول العلمية بكلية الشريعة الاسلامية.

ووضع مقالين طبي د. عادل الازهري رئيس الامراض الباطنية بمستشفى الملك. اخرج الاحاديث محمود فرح العقدة من علماء الازهر، توزيع دار الكتب السلفية - القاهرة.

- ١٥- الفراعنة والطب الحديث - محمد عبد الحميد بسيوني - دار المعارف القاهرة.
- ١٦- اسهام علماء العرب في الصيدلية - د. علي عبد الله الدفاع - منشورات الرماله - بيروت.
- ١٧- لمحات من تاريخ الطب عند المسلمين الاوائل - د. علي عبد الله الدفاع - دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع - الرياض ١٩٨٣ .
- ١٨- حضارة العراق - نخبة من الباحثين العراقيين - بغداد ١٩٨٥ .
- ١٩- موجز تاريخ الصيدلية - عبد العظيم حنفي صابر وشحادة متولي.
- ٢٠- تاريخ الجنس العربي - محمد عزة دروزة - المكتبة العصرية بيروت.
- ٢١- ابن النفيس - د. بول غليونجي - الهيئة المصرفية العامة للكتاب ١٩٨٣ .
- ٢٢- العرب قبل الاسلام - جرجي زيدان.
- ٢٣- بلوغ الادب في معرفة اخبار العرب - محمود شكري الالوسي.
- ٢٤- الموجز في تاريخ الطب عند العرب - د. محمد كامل حسين - د. محمد داود التنير - د. ابو شادي عرب - د. سمير ابو زيد - د. فؤاد الحفاوي - د. فهم ابادير . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - جامعة الدول العربية ادارة الثقافة.
- ٢٥- تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب المسلمين - د. سامي حمارنة جامعة اليرموك ١٩٨٦ الاردن .
- ٢٦- الموجز لما اضافه العرب في الطب والعلوم التقليدية - د. محمود قاسم مطبعة الارشاد - بغداد - ١٩٧٤ .
- ٢٧- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي . دار العلم للملايين - بيروت -

والنهضة بغداد ١٩٦٨ .

- ٢٨- تاريخ البشرية - ارنولد توينبي - الاهلية للنشر والتوزيع ١٩٨٥ .
- ٢٩- تاريخ العلم - جورج سارتون - دار المعارف بمصر - ١٩٧٦ .
- ٣٠- بحثا عن فرعون العربي ودراسات اخرى - د. علي فهمي الخشيم - الدار العربية للكتاب ١٩٨٥ . طرابلس - ليبيا.
- ٣١- تاريخ الصيدلية في العهد القديم والوسيط - جورج شحاتة القنواطي.
- ٣٢- ابو بكر الرازي - اثره في الطب - مركز احياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد - وزارة التعليم العالمي والبحث العلمي ١٩٨٨ .
- ٣٣- الطب والصيدلية عند العرب - د. ياسين خليل - منشورات جامعة بغداد ١٩٧٩ .
- ٣٤- فهرس الادوية المقررة في كتاب العصفوري د. حازم الصديفي - عن المورد .
- ٣٥- الطب وتاريخه عند العرب - د. كمال السامرائي - المورد.

المراجع الاجنبية :-

Albucasis on surgery and Instruments spink and G.L lewis. Welcome Institute London 1978.

Islamic Medicin papers perented to the first international Conference - Kuweit Ministry of Public health . 1981.

Geschichte der medicin. Dietrich Tutzke Herausgeber; VEB-Verlag volk und Gesundheit Berlin 1983.

Kleine enzyklopadie - Weltgeschichte VEB- Bibliographisches - Leipzig 1981.

Alte Chirurgie -Detlef Ruster verlag - volk und Gesundheit Berlin 1985.

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس حرف الألف

| | | |
|---------------------|----------------------|-------------------|
| ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٣، | ١٥٦، ١٦٦، ١٦٧ | إبريسم |
| ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، | ٢٠، ٢٣، ٤٤، ٧٣، ٨٠، | ابن أبي أصيبعة |
| ٢٣١، ٢٤٠، ٢٦٩، ٢٧٢، | ٢٧٧، ٣٠٥، ٣٢٥ | |
| ٢٧٣، ٢٧٧، ٣٠٥، ٣٠٦، | ٨١، ٢٢٧ | ابن أبي رمثية |
| ٣٠٧، ٣١٣، ٣٢٥ | ٣٢٣ | ابن أشال |
| ١٢٥ | ١٩، ١٨٨، ٣٢٤، ٣٢٥ | ابن الجزار |
| ٣٠٦ | ٢٠، ٢١، ٢٢ | ابن الحسن عيسى |
| نجم الدين | | ابن الحكم الدمشقي |
| ١٩، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٦، | ١٢٦ | ابن الخطيب |
| ٢٧١، ٢٩٠، ٣٢٥ | ١٧٩ | ابن الذهبي |
| ١٩ | ٢٧٠ | ابن الزئبق |
| ٢٧٧ | ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٩٣ | ابن العين زربي |
| ٨١ | ٩، ٢٤، ٩٠، ١٠١، ١٠٤، | ابن القف |
| ٢٧٧ | ١٠٥، ١٠٦، ١١٥، ١١٦، | |
| ٨٢ | ١٢٦، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٥، | |
| ١٩، ٩١، ١٠٠، ١١٤، | ١٤٦، ١٤٧، ١٥٥، ١٥٨، | |
| ٢٧١، ٣٢٥ | ١٦١، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، | |
| ١١، ٩١، ١٠٠، ١١٤، | ١٧٧، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٨، | |
| ٢٧١، ٣٢٥ | ١٩٠، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، | |

| | | | |
|---------------------|----------------|--------------------|-------------------|
| ٥٢، ٤٥، ٣٧، ١٨، ٧ | أبو قراط | ٨٧، ٩٠، ١٠١، ١٠٥ | ابن سينا |
| ١٥٥، ٩٩، ٧١، ٦٩، ٦٣ | | ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦ | |
| ١٦٦، ١٥٩، ١٥٧، ١٥٦ | | ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠ | |
| ٢٨٣، ٢٧٢، ٢٠٥، ١٧١ | | ١٣٦، ١٣٧، ١٤٧، ١٤٨ | |
| ٣٢٢، ٣١٣، ٢٩٨ | | ١٤٩، ١٥٠، ١٥٩، ١٦٠ | |
| ٤٥ | أيوفيدا | ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧ | |
| ٦٩ | أبوللو | ١٦٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨١ | |
| ١٦٧ | أبو ميمون | ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧، ١٩١ | |
| ٦٩ | ايبداورس | ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١ | |
| ٧٠ | انباذوقليس | ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤ | |
| ٧١ | اثينا | ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٣٠ | |
| ٢٣١، ١٥٥، ١٤٩، ٩٠ | الأحشاء | ٢٣١، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٦٩ | |
| ٢٩٥ | | ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٨٩، ٢٩٤ | |
| ٤٤ | الأحلام | ٣٢٥ | |
| ٢٣١ | اخراج اسهمام | ٢٩٧ | ابن سينا والجراحة |
| ١١٤، ١٠٠، ٨١، ٧٠ | الأخلاط | ١٩ | ابن ماسويه |
| ١٥٥، ١٥٠، ١٤٧، ١١٨ | | ١٠٤ | الأبهر |
| ٣٠٧، ٢٦٩، ٢٠٣، ١٦٩ | | ١٠٤ | أبو البركات |
| ٣١٣، ٣٠٨ | | | البغدادى |
| ٧١ | اخسندوكين | ٣٠٥ | أبو الفرج |
| ٣٢١ | اخناتون | ٣٠٦ | أبو الفوارس |
| ٣٥ | اراميين | | القيمرى |
| ١٨٣، ٩٠، ٦٠ | الأدرة المائية | ١٨٧ | أبو سهل |
| ٤٢ | الأديان | | المسبحى |
| ٧٣ | ارخميدس | ١٩٣، ٢٠٣، ٣١٠ | أيورسما |

| | | | |
|------------------|--------------------|-----------------|------------------|
| الأردن | ١٥ | اصفهان | ٢٨٩ |
| ارسطاطاليس | ٣٠٨ | اطلس | ٣٣ |
| الأزجة | ٢٣٢ | اضمدة | ١٢٧ |
| اسباب الورم | ١٩٧ | اعجوبة الاغريق | ١٧ |
| إسبانيا | ٢٣ | اعصاب حركية | ١١٤، ٩٩ |
| الاستحمام | ١٤٩، ١٢٦ | اعصاب حسية | ١١٤، ٩٩ |
| إسترخاء المقعدة | ١٦٤ | اعضاء تناسلية | ٩٩ |
| الاستسقاء | ١٥٩، ٨١، ٥٩ | افريقيا | ٣٥، ٣١ |
| استعمار | ٣٣ | افلاطون | ٤٥ |
| الاستطبابات | ١٥١ | الأفيون | ١١٦، ١١٣، ٩٣، ٢٢ |
| اسقلابيوس | ٨٠، ٦٩، ٦٢ | | ٢٩٣، ٢٢٩، ١١٧ |
| اسقليثادس | ٣٠٨ | اقرباذين | ٣١٣، ٩٣ |
| الاسفنج | ١٢٧، ١١٦ | أقليدس | ٧٣ |
| الاسفنجة المخدرة | | الاكالة | ١٣٤ |
| الاسكندر | ٣٢٢، ٩٩، ٧١، ٣٧ | أكسدين | ٣٥ |
| الاسكندرية | ٨١، ٧٣، ٧١، ٦٣، ٤٥ | الآلات الجراحية | ٢٨٠، ٢٤٠، ٢٣٩ |
| | ٣٢٢، ٢٧١، ١٠٠، ٩٩ | الالتصاق | ١٩٠ |
| | ٣٢٤، ٣٢٣ | الالتهابات | ١٢٨ |
| الاسيراجيلوس | ١٢٨ | الآلم | ١١٥، ١١٤، ١١٣ |
| الإسلام | ٩٤، ٨٠، ٧٩، ٣٦، ٣٤ | الألوسي | ٨١، ٨٠ |
| | ٢٢٩، ٢٢٧ | الهام | ٤٤ |
| الاسكوريان | ٦٣ | امتزاج | ٧٠ |
| اشور | ٣٥، ٥٢، ٣٠ | أم جافية | ٢١٩٧٩٩، ٦١ |
| اشور باتيبال | ٥١ | أمحوتب | ٥٩، ٤٤ |
| اشوريه | ٥٢، ٥١ | أمراض | ٧٠ |

| | | | |
|----------------------|----------------|-------------|-----------------|
| ١٩٩ | انواع الورم | ١٠٠ | امراض الفم |
| ٣٢٦، ٢٨٩، ٢٧٧، ١١ | الأندلس | ١٩١ | أمراض الصبيان |
| ٩٩ | انويس | ٣٢٢، ٥٠ | أمراض تناسلية |
| ١٢٩ | الأنيقيا | ٥٠ | أمراض نفسية |
| ٣٢٣ | هرون بن الحسين | ٢٢٧ | أم زياد |
| ١٢٥ | اويثة | | الاشجعية |
| ٣٠٩، ١٩٩ | الأوذيا | ٢٢٧ | أم سليط |
| ١٩٩، ١٩٧، ٩٣، ٨١، ٦٢ | الأورام | ٢٢٧ | أم سنان |
| ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٨٠، ٢٠١ | | ١٥٥، ٢١ | أمعاء |
| ٣٠٩، ٢٩٤ | | ٨٨، ٢١ | أمعاء الحيوانات |
| ٢٠٢ | أورام باطنية | ٨١ | أم عطية |
| ١٢٩، ٦٠، ٣٣، ٣٠، ١١ | أوروبا | | الأنصاري |
| ٢٩١، ٢٧٤، ٢٧٣ | | ٣٢١ | امون |
| ٣٢١ | أوغاريت | ٢٨٧ | اميروازياريه |
| ٤٩ | أيا | ٢٢٧ | امية بنت قس |
| ٤٢ | ايحاء | | اللعفارين |
| ٥٢ | إيسق | ٣٠ | الأنباط |
| ١١ | ايطاليا | ٣٤ | انساب العرب |
| ٣٠٥ | الأيوبي | ٣٢٤، ٨٣، ٨١ | انطاكية |
| | صلاح الدين | ١٤٦ | انطونخيوس |
| | | ٤٩ | انكي |

حرف الباء

| | | | |
|--------|------------|-----------------|------------|
| ١٩، ١١ | باريس | ٣٢، ٣٠ | البابلية |
| ١٩، ١١ | بادوا | ٣١٦، ١١٣، ١٠، ٥ | البابليين |
| ٥٢، ٤٤ | باريا ماخو | ٢١٦، ١٠٦ | الباتولوجي |

| | | | |
|----------------------|--------------------|---------------|----------------|
| ٢٤٤، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٦ | بريسم | ٣١٠، ٢٠٣، ١٩٩ | بادشنام |
| ٢٩٦ | | ٢٠ | الباسليق |
| ٣١ | برنثون | ٨١ | الباسور |
| ٣١٥ | بشيرد. عبدالله | ١٥ | بيت المقدس |
| ٢٢٩، ٢٤١، ٢٠٤، ٢٠٣ | البط | ٧٠ | البحران |
| ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٨٠ | | ٢٨٩ | بخاري |
| ٨١ | بط الجروح | ٢١٢ | بترا |
| ٢٤ | بطرس بيرغ | ٨٠ | البتراء |
| ١٦٢، ١٥٧، ١٥٥، ٢٥ | بطن | ١٨ | البثور |
| ٢٣١، ٢٠٢، ١٩١، ١٩٠ | | ٣٣ | البرابة |
| ٣١٢، ٢٩٥، ٢٩٢، ٢٣٣ | | ١٨٢، ١٧٧ | البرنج |
| ٣٣٤، ٣٢٣، ٩٣، ٨٨، ٧٣ | بغداد | ٤٤ | برديه |
| ٢٧١، ١٩ | البغدادى | ٦٠ | برديه ايرز |
| ٢٧٧ | البكري ابو عبدالله | ٩٩، ٥٩ | برديه ادوين |
| ٥٢ | البلاط | | سميث |
| ٣١١، ٩٣، ٨١، ٤٥ | البلغم | ٦٠ | برديه برلين |
| ٣١ | بلا سيتوستين | ٦٠ | برديه شستريتي |
| ٨١، ٨٠ | بلوغ الأرب | ٦٠ | برديه كالزبورغ |
| ٣٠٩، ١٩٩ | بنات الليل | ٦٠ | برديه كاهون |
| ١١٧ | بنج | ٦٠ | برديه لندن |
| ٢٧٧ | بن سابق | ٦٠ | برديه ليدن |
| ٢٣٠، ١٢٥ | بنسلين | ٦٠ | برديه هوست |
| ٢٧٧ | بن سمعون | ١٥٩ | البزل |
| ٨١ | البهاق | ٣٠٩، ٢٠٠ | البرص |
| ٣٠٩، ٢٠٠، ٨١ | البهق | ٧١ | برغامون |

| | | | |
|--------|----------------------|--------------------|--------------|
| ٢٢٩ | البويهون | ١٥٨، ١٤٩، ٢٤، ٢٢ | بواسير |
| ١٢٥ | البيثة | ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤ | |
| ٨٣، ٧٣ | بیزنطة | ٢٧٢، ١٧٢، ١٧١، ١٦٨ | |
| ٣٠٦ | بیمارستان باب البرید | ٢٧٤ | |
| ٣٠٦ | بیمارستان | ٣٢٣، ٢٨٣ | بولس الأحيتي |
| | القيصري | ٦٠ | بيرغنخ |
| ٣٠٦ | بیمارستان | ٨٨ | البوق |
| | النوري | ١٨١، ١٧٨، ١٢٨، ٢٥ | البول |

حرف التاء

| | | | |
|--------------------|----------------|--------------------|-----------------|
| ٢٢٠، ٦٢، ٤٢ | ترينه | ٨ | تاريخ العلوم |
| ١٤٦ | تسخين | | الطبية |
| ٣٧، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٨ | التشريح | ٣٢٥، ٣٠٦ | التتار |
| ٩٩، ٧١، ٤٥، ٥٩، ٥٢ | | ٥٩، ٤٥، ٣٦ | التجارة |
| ١٧٩، ١٧٧، ١٥٥، ١٤٧ | | ١٧٩ | التيجاني الماحي |
| ٣١٥، ٣١٣، ٣٠٨ | | ١٠٠، ٩٩ | التجريبيون |
| ٩٣ | التشريح | ١٠٣ | تجويف القلب |
| | التوبوغرافي | ١١٥، ١١٣، ٩٤، ١٨ | تخدير |
| ١٨٩ | التشوهات | ٢٩٣، ٢٢٩، ١٩٣، ١١٦ | |
| ١٠١، ٢٦، ١٩، ١٦، ٦ | التصريف لمن | ١٨ | تخدير موضعي |
| ٢٧٧، ٢٧٣، ١٤٦، ١٣٠ | عجز عن التأليف | ٣٠ | تدمير |
| ٢٧٩، ٢٧٨ | | ٣٣ | تراقيا |
| ٢٩٠ | تعريف الطب | ١٠ | الترجمة |
| ١٢٥ | التعفن | ٩٩ | الترقوة |
| ٩٢ | التفرق | ٣٦ | تركية |
| ١٧١ | تغذية | ٢٧٨، ١٧٢، ١٦٧، ٨٩ | ترند لنبرغ |

| | | | |
|----------|-----------------|-----|--------------------|
| ٤٢ | توتمية | ١٣٢ | تقسيم الجروح |
| ٣١٠، ١٩٩ | توته | ٢١٢ | تقسيم الكسور |
| ٣٤، ٣٢ | التوراة | ١٢٧ | التقيح |
| ٢٠٠ | تورم العصب | ٢٢٩ | التكريتي |
| ٣٥ | تونس | | د. راجي |
| ٣٢١ | توت عنخ امون | ١٥ | التميمي د. عبدالله |
| ٣٣ | توتينيبي ارنولد | ٤١ | تنظيم المياه |

حرف الثاء

| | | | |
|-------------------|-------|------------------|-------------|
| ٢٠١، ٨٩ | الثدي | ١٨٧ | ثابت بن قرة |
| ١٦١، ١٥٨، ١٥٦، ٨٧ | الثرب | ١٦٧، ١٦٦ | ثؤلول |
| ٢٩٦، ٢٣٣، ٢٣١ | | ٣٢٤ | ثياذوق |
| | | ١٦٧، ١٦٦، ٢٤، ٢٢ | الثآليل |

حرف «ج»

| | | | |
|--------------------|---------------|----------------------|---------------|
| ٣١ | جبال الأطلس | ٧ | الجاحظ |
| ٢٠٣، ١٨٧، ١٢٦، ٨١ | الجدري | ١٠٢، ١٠١، ٧٩، ٤٥، ٣٧ | جالينوس |
| ٣٠٩، ٢٠٠ | الجدام | ١٢٣، ١١٣، ١٠٤، ١٠٣ | |
| ١٢٥ | الجراثيم | ٢٧١، ١٧١، ١٥٨، ١٣٦ | |
| ٢٦٩، ٢٣٩، ٥٩، ٢٥ | الجراح | ٣٠٨، ٢٩٨، ٢٨٣، ٢٧٠ | |
| ٥٢، ٥١، ٢٥، ٢٢، ١١ | الجراحة | ٣٢٣ | |
| ٩٢، ٨٧، ٨١، ٨٠، ٧١ | | ١٥ | جامعة اليرموك |
| ١٥٥، ١٢٥، ٩٩، ٩٣ | | ١٢ | جامعة حلب |
| ٢٧٩، ٢٧٣، ٢١٨ | | ٨٠، ٣٠، ٢٤ | الجاهلية |
| ٢٣، ٢٢ | الجرجاني | ٨٢ | جاي دي شولياك |
| ١٨٧، ١٨ | جراحة الأطفال | ٢٤٤، ٢٢١، ٢١٦، ٢١٥ | الجباثر |

| | | | |
|----------------|------------------|--------------------|-----------------|
| ١٦٢ | جلدة الخصى | ١٩٧، ٦٠، ١٨ | جراحة الأورام |
| ١٥٩ | جلنار | ٢٢٧، ١٥٥، ١٩ | جراحة الحروب |
| ٢١٧، ١٤٩، ١٤٨ | الجماع | ٢١١، ١٨ | جراحة العظام |
| ٩٩، ٨٩، ٤٣، ٢٦ | الجمجمة | ٢١٦، ١١٦، ١١٥، ٩١ | جرائحي |
| ٣١٥، ٢٧، ١٥ | جمعية الهلال | ٣٢٠ | |
| | الأحمر الفلسطيني | ١٥٥ | جروح البطن |
| ٧٣ | جنديسابور | ٣٥ | الجزائر |
| ٣٥، ٣٢ | جواد علي | ٣٥، ٣٤، ٣١، ٣٠، ٢٢ | الجزيرة العربية |
| ٣٢٤ | جورجيوس بن | ٨١، ٧٩، ٦٣، ٤٩ | |
| | بختشوع | ٢٤٤ | جسور |
| ٥٩ | جوسر | ٤٩ | الجمعة |
| ٣١ | جيرلند | ٢٤٢ | جفت |

حرف «ح»

| | | | |
|-------------------|---------------|--------------------|----------------|
| ٢٩٦ | الحروق | ٨٠، ٧٣ | الحارث بن كلده |
| ٢٤، ٢٢ | الحزاز | ١٧٧ | الحالب |
| ٣٠٦ | الحسن الغنوي | ١٢٩ | حامض الكبريتيك |
| ١٨٢، ١٨١، ١٨٠، ٨٩ | الحصا | ٣٢ | حامي |
| ١٨٣ | | ٣٢٤، ٨٧ | حاوي |
| ٢٠٠، ١٨٧، ٨١ | الحصبة | ٣٢ | الحيثية |
| ١٠٠، ٣٤، ١٧، ٧ | حضارات قديمة | ٥٢، ٤٤ | حنوسيل |
| ٢٧٣، ٢٧٢ | حضارة إسلامية | ٥٢ | الحثيين |
| ٣٠٠، ١٧ | حضارة إنسانية | ٧٩ | الحجاز |
| ٣٢ | حضارة مصرية | ١٦٦، ١٤٥، ١٣٠، ٩٣ | الحديد |
| ٣٤ | حضارة وادي | ٢٤٠، ٢٣١، ٢٠٠، ١٨٢ | |
| | الرافدين | ٨٣، ٨١ | الحران |

| | | | |
|----------------------|----------------|---------------|----------------|
| ٢٤، ٢٣ | حمارنه د. نشأت | ٧٩ | حضر موت |
| ٨٧، ٥٢، ٥١، ٥٠ | حمورابي | ٥٩ | حفريات |
| ٢١٩، ١٨٩، ٨٤، ٢٠، ١٩ | حنين العبادي | ٥٠ | الحقن |
| ٣٢٤ | | ٣١١، ١٦٥ | الحكة |
| ٢٧٧ | الحميدة | ٨٧ | الحلاق |
| ٩١ | الحيزوم | ٣٠٩، ٢١٣، ٢٠٠ | الحمرة |
| ٧ | الحيويه | ٨١ | حماد بن ثعلبه |
| ٥٩ | حورس | ٢٦، ١٥، ١١ | حمارنه د. سامي |
| ٣٢١ | حيرام | | خلف |

حرف «خ»

| | | | |
|--------------------|------------------|-------------------|--------------|
| ١٨٣، ١٨٢ | خصيتين | ٢٢٩، ٢٨١، ١٣٧، ٩١ | خادم |
| ١٢٩، ١٢٧، ١٢٦، ١١٣ | الخل | ٢٩٦ | |
| ٢٧٢، ١٣٠ | | ٣٢٤ | خالد بن يزيد |
| ٢١١ | خلع | ٨٠، ٦٢ | الختان |
| ٢٧٧ | الخليفة | ٨٨، ٢٢ | الخراجات |
| | عبدالرحمن الثالث | ٣١٥ | خريس د. حسن |
| ١١١ | الخليفة المعتصم | ٢٩٦ | الخزف |
| ٢٢٩، ٣٦ | الخمور | ١٦٨، ١٦٧ | خزم |
| ٢٣٠، ١٣٨، ١٢٩ | الخمير | ١١٦، ٢٢ | الخنس |
| ١٩٠ | الخشى | ٣٠٦ | الخشرو شاهي |
| ١٣٤، ١٣٢، ٦٠، ٢٤ | الخيطة | ١٤٦ | خشكريشه |
| ١٣٨، ١٣٦، ١٣٥ | | ١١٦، ١١٣، ٩٣، ٢٢ | الخشخاش |
| ١٣٤ | خيطة الجروح | ٢٢٩، ١١٧ | |

حرف «د»

| | | |
|----------------|----------------------|-----------------------|
| داء الثعلبية | ٢٠١ | ٣١٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٧ |
| داء الحية | ٣١١، ٢١١ | ٢٠١، ٢١، ٢٠ |
| داء الخنازير | ٢٠٠، ٨٨ | ١٩٩، ١٠٩ |
| داريوس | ٣٢٢، ٧٣ | ٣١٦، ٣٠٧، ٣٠٦، ٩٤، ٢٠ |
| دان فان تاري | ٤٥ | ٢٧٢، ١٦٤، ١٦٣، ٩٠ |
| داود الأنطاكي | ٣٢٦، ٢٩٠ | ٢٩٥، ٢٠٠ |
| درنقة | ٢٩٥، ٢٧٢، ١٣٧، ١٢٧ | ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢ |
| دروزة محمد عزه | ٣٥، ٣٢ | ١٩١، ١٢٦، ١١٥ |
| دسقوريدس | ٢٧٢ | ١١٥ |
| دشبذ | ٢٧٣، ٢٢١، ٢١٧، ٢١٦ | ١١٥ |
| دلنا | ٥٩ | ٣٣ |
| الدم | ١٢٨، ١٠٣، ٨١، ٧٠، ٤٩ | |

حرف «ذ»

| | |
|----------|---------------|
| الذرورات | ٢٢٩، ١٨ |
| الذهب | ٢٤٠، ١٤٥، ١٣٠ |

حرف «ر»

| | | |
|--------------|--------------|---------------------|
| راباسي | ٥٢ | ٩٣، ٨٨، ٨٧، ٢٢، ١٩ |
| رحمة بن جحشي | ٢٢٧ | ١٨٧، ١٨٣، ١٢٩، ١٠١ |
| رع | ٦١، ٥٩، ٤٢ | ٢٩٨، ٢٧٣، ٢٧٠، ١٩٨ |
| رفيدة | ٢٢٧، ٩٤، ٨١ | ٣٢٤، ٣٠٥ |
| رقم | ٥٢ | ١٠٣، ٩٩، ٦٢، ٢١، ٢٠ |
| راباشا مردوخ | ٥٢، ٤٤ | ٨٩ |
| روما | ٣٢٣، ٤٢٢، ٧١ | ٢٤، ٢ |
| الرازي | | |
| الرثتين | | |
| الراس | | |
| الرباط | | |

| | | | |
|------------|--------------------|---------|---------------------|
| الرباطات | ١٢٧، ٢١٤، ٢١٥، ٢٣١ | الرفائد | ١٣٧، ١٨٩، ٢١٦، ٢٢٨، |
| | ٢٤٤ | | ٢٤٤ |
| الربو | ١٥١ | الرقبي | ٥٠ |
| ريح الشوكة | | الري | ٢٨٩، ٢٩٠ |
| الرخد | ٩٩ | ريسلىر | ١٢٩ |

حرف «ز»

| | | | |
|----------|----------------------|--------------|--------------------|
| زامولكيس | ٣٣ | | ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٢٩ |
| زجاج | ٣٦ | | ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٤ |
| الزراعة | ٤١ | | ٢٤٥، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٧ |
| الزراقة | ١٧٩، ١٨٣، ٢٤٣، ٣١٢ | | ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩٤، ٣١٣ |
| زكام | ١٦٩ | | ٣٢٥ |
| الزهراء | ٢٧٧ | زهير بن جناب | ٨١ |
| الزهرأوي | ٦، ١١، ١٦، ٢٤، ٢٦ | زوال | ٢١٢ |
| | ٨٨، ٨٩، ٩٤، ١٠١، ١٠٦ | الزوان | ١١٦ |
| | ١٢١، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢ | زيوس | ٥٩ |
| | ١٣٥، ١٣٦، ١٤٥، ١٤٦ | زيت الجروح | ٦١ |
| | ١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ١٦٣ | زيتون | ٣١ |
| | ١٦٥، ١٦٨، ١٨١، ١٨٢ | زنيب الأودية | ٨١ |

حرف «س»

| | | | |
|----------|-------------|---------------|-------------------|
| سافينيوس | ١٠٣ | سبرغل | ١٨٢ |
| ساليرنو | ١٠، ٢٩، ٢٩١ | ست الحسن | ٩٣، ١١٦ |
| ساحر | ٢٤٠ | السحر | ٤٢ |
| سامي | ٣٢ | سرجون الأكردي | ٤٩ |
| | ٣٢٢ | السرطان | ٨٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٧٢ |

| | | | |
|--------------------|-----------------|--------------------|--------------|
| ٢٨١، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٣١ | سماد | ٣٠٩، ٢٨٠ | |
| ٣١٢، ٣٠٨ | | ٣٧ | السريان |
| ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٣٩ | سامرائي د. كمال | ١٥٩ | سرة |
| ٣٠٦ | السامري | ٨١ | سعد بن معاذ |
| | د. موفق الدين | ٣١٠، ٢٤، ٢٢ | السعفة |
| ٧٩، ٣١ | الساميين | ٥٩ | سقي، حرم |
| ٣٠٩، ٢٠٠، ٩٣، ٨١ | السوداء | ٤٥ | سقراط |
| ٨٢ | سورة الأعراف | ٣٦٠، ٢٠١، ٢٠ | سقيروس |
| ٨٢ | سورة الأنبياء | ٢٢٨، ٢٢١، ٢١٤، ٢١٣ | السكر |
| ٨٢ | سورة الانسان | ١٣١ | سكين |
| ٨٢ | سورة الحج | ١٩٩ | السلع |
| ٣٢٥، ٣٠٥ | سوريا | ١٢ | سليمان قطايا |
| ١١ | السويد | ١٥٠ | السمنة |
| ٤٢، ٣٧ | سبارتون | ٤٤ | سميث أدوين |
| ٧٩ | السبتية | ٢٤٢، ٢٤ | سنائير |
| ٢٢ | سيكران | ٦١ | سنو |
| | | ٢٧٩، ٢٧٨ | سينيك ولويس |

حرف «ش»

| | | | |
|------------------|----------------|--------------------|-----------------|
| ٢٩٣ | الشرح | ٣١٦، ١٥ | الشاذلي بن جديد |
| ٨٧ | الشريان | ٣٠٦ | الشافعي |
| ١١٣، ١٠٠، ٩٩، ٩٣ | الشعوب القديمة | ٢٣٠، ١٢٩ | الشجاج |
| ١٠٤ | الشعيرات | ٢٣٠ | الشجه |
| ١٤٥ | الشفاء | ٢٢٨، ١١٤، ١١٣، ١٢١ | الشد |
| ٢٩٠ | الشق | ١٣٠ | شدري |
| ١٦٤ | شقاق المقعدة | | د. حسين نور |

| | | | |
|--------------|--------------|--------------|-----|
| الشق العجاني | ١٨٣، ١٢٨، ٨٨ | شمال افريقيا | ٣٦ |
| الشقيقة | ١٤٧ | الشمردل | ٨١ |
| الشكوك على | ٨٨ | شمس الدولة | ٢٨٩ |
| جالينوس | | شوينفرت | ٣١ |
| شملنصر | ٣٠ | شوسروتا | ٤٥ |
| شلوتسر | ٣٢ | الشيخوخة | ١٥٠ |

حرف «ص»

| | | | |
|--------------|----------------------|------------|--------------------|
| صابون | ٣٦ | الصليبين | ٣٠٥، ٣٣ |
| صدأ | ١٤٨ | الصمامات | ١٠٤ |
| الصراع | ٤٣، ٤٢ | الثلاثية | |
| صرخد | ٣٠٥ | صنارة | ١٦٧، ١٦٤ |
| الصدر | ٢١ | صناعة | ٢٤٥ |
| صرع | ٤٢ | صناعة اليد | ٢٥، ١٧ |
| الصفاف | ١٣٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢ | الصبيان | ١٨٨، ١٨٧، ١٩١، ٢١٣ |
| | ١٦٣، ٢٩٢، ٢٩٦، ١٨٢ | | ٢١٩، ٢٩٥، ٣١٢ |
| | ١٦١، ١٩٣، ٢٣٣ | الصيدلية | ٧١ |
| الصفراء | ٤٥، ٨١، ١٦٠، ٩٣، ٢٧١ | الصين | ٢٠، ٣١، ٤٥ |
| | ٢٠٠، ٣٠٩ | | |
| صفية بنت عمر | ٢٢٧ | | |
| ابن الخطاب | | | |

حرف «ض»

| | |
|--------|----------|
| ضمادات | ١٦٣، ١٢٩ |
|--------|----------|

حرف «ط»

| | | | |
|--------------------|--------|----------------------|----------|
| ٦٩ | طروادة | ١٢٦، ٦٠ | الطاعون |
| ١٩٣، ١٩٠، ١٨٣، ١٨٠ | الطهور | ٢٩٠ | الطبائعي |
| ٣١٠، ١٩٩ | طواعين | ٥١ | طب بيطري |
| ٣٢١، ٥٩ | طيبة | ٣٢٤، ١٨٧، ٨٧، ٢٠، ١٩ | الطبري |
| ١٥٩ | الطين | ٧ | الطبيعي |
| | | ٢٠، ٩٩، ١٦٠، ٢٠١، | الطحال |
| | | ٢٠٥، ٢٠٢ | |

حرف «ظ»

| | |
|--------|-----------------------------|
| ٢٤، ١٦ | الظاهر بأمر الله الفاطمي |
|--------|-----------------------------|

حرف «ع»

| | | | |
|----------------------|---------------|------------|----------------|
| ١٢٨، ١٢٧، ٨٧، ٣٠، ١٠ | العرب | ٢٤، ٢٠، ١٩ | العبادي |
| ١٤٨ | العرق | ٢٧٧ | عبد الرحمن |
| ٣١٦ | عرفات د. فتحي | | الثالث الخليفة |
| ١١٥، ٢٢ | عرق النساء | ٣٠٨، ١٠٤ | عبد اللطيف |
| ١٨٨ | عريب بن سعد | | البغدادى |
| ١٣٠، ١٢٧، ٨٣، ٦١ | عسل | ٣٢ | العبرانية |
| ٣١ | العصر الجليدي | ٦٩ | العبودية |
| ٤١، ٣١ | العصر الحجري | ٢٤٤ | عتلات |
| ٣١١ | عضه | ١٨٣ | العجان |
| ١١٣، ٦٢، ٦٠، ٤٩، ١٨ | عقاقير | ٣٠٦ | عجلون |
| ٢٠٤ | عقد باذين | ١٠٣ | عدد العظام |
| ١٣٧، ١٣٦، ١٣٠، ١٢٨ | العفونة | ٧٥، ٥٢، ٣١ | العراق |

| | | | |
|---------------------|----------------|---------------------|------------------|
| ١٣٢ | علاج الجروح | ٨٣ | عمر بن عبدالعزيز |
| ٢٠ | علم الجنين | ١٧٧، ١٤٦، ٩١، ١٩، ٦ | العمدة |
| ٢٧١، ٩٩، ٩٤، ٥٩، ١٨ | علم وظائف | ٣٠٧، ١٨١ | |
| | الأعضاء | ٢٢، ٢١، ٢٠ | عيسى بن حكم |
| ٣١٦ | العلمي - نادبة | | الدمشقي |
| ٨٧ | علي ابن | ٣٢٥، ٣١٣ | عين جالوت |
| | الطبري | ٣٢٥، ٧٣ | عيون الأنباء |
| ١٨٨ | علي بن هبل | | |

حرف «غ»

| | |
|-------------|----------------|
| ٢٠٦، ٩٩، ٦١ | الغدة الدرقية |
| ١٢٩ | الغزنويون |
| ١٢٦، ١١ | غرناطة |
| ١٠٣، ٤٢ | غليونجي د. بول |

حرف «ف»

| | | | |
|---------------|--------------|---------------------|-------------|
| ١٤٧ | الفاصد | ١٨، ٢٠، ٨٧، ٩٢، ١٣٢ | فصد |
| ٢٨٩ | الفاطميون | ١٤٢، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١ | |
| ٢٤ | فالج | ٢٠٣، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٨٠ | |
| ٢٠٤، ١٧١، ١٣٧ | فتائل | ٢٩٣، ٣١٠ | |
| ٨٩ | الفتق | ١٧٩، ١٣١ | الفضة |
| ٣١ | الفرات | ٩٩ | الفك |
| ١٨٧، ٨٧ | فردوس الحكمة | ٢٧٨ | فلختر |
| ٣٣ | الفرس | ٣٢٥ | فلسطين |
| ٢٣٠، ١٣٠ | الفساد | ٢٧، ٢٣ | فؤاد سفرجين |
| ٨٧ | الفسخ | ٣٢ | الفنيقية |

٣٣، ٣٢

ننيقية

٧٠

فيثاغورس

٣١

فيلولوجيا

٥٩

فيلة

حرف «ق»

٨٧، ٢٤، ٢٢، ١٨

القروح

١٤٧، ١٠٥، ١٠١، ٩، ٦

القانون

٢٨٩

قزوين

٢٩٠، ٣٠١، ١٨٧، ١٦٠

١٨٣، ١٧٨، ١٧٣، ٩٠

قساطير

٣٦٩، ٣٢٥، ٢٩٧، ٢٩١

١٦٧

القسم محمد

٣٢٤، ٢٤، ٢٣

القاهرة

ابن محمود

٤١

قبائل

٧٩

القتبانية

٧١

قبرص

١٦٥

قطع البواسير

٣٤٣

القدس

٤٥

قورش

٣٦

قرآن

٧٧

قوص

١٢٧، ٨٧

القرحة

١٥٨، ٩٠، ٢٥، ٢٤، ٢٠

قولنج

٢٧٠، ١٠١

القرده

١٨٣، ١٧١، ١٦١، ١٦٠

٣٢٢

قرطاجة

١٨٣، ٩٠

قيلة دوائية

٢٧٧، ١١

قرطبة

٩٠

قيلة نظفية

٢٧٠، ١٢٨

القرو

حرف «ك»

٢٢

الكحال

٢٦، ٢٤، ١٨

الكافي

١١٦

الكحالين

٤٥

كاراكا

١٣٠

كحل

١٩٧، ١٨٧

الكامل

١٥٥، ١٣٠، ٩٤، ٨٨

كحول

١٦٩

كاويه

٢٧٢، ١٦٩

١٧٧، ١٥٩، ١٠٠، ٦١

كبد

٣٠٥

الكرك

٢٠٤

| | | | |
|---------------------|-----------|--------------------|-----------------|
| ٢٠ | الكندي | ٦٩ | كروتون |
| ٣٢ | الكنعانية | ١٠ | كروتشه |
| ١١ | كنوت هيجر | ٣٩٣ | كرت |
| ٧١ | كنيدس | ١٣ | الكزبره |
| ١٠٠، ٧٣ | كنيسة | ٨٠ | كسرى |
| ٣٧ | كهنوت | ٢٢ | كسر العظام |
| ٥٩ | كهنة | ٢٢٠ | كسر الفك |
| ٤٩ | كولا | ٢١٧ | الكسر مع |
| ١٠٣ | كولومبو | | الجراحة |
| ٤٥ | كونفوشيوس | ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤ | كسور |
| ١٨، ٦٢، ٨٧، ٨٨، ١٣١ | الكي | ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١ | |
| ١٣٧، ١٤٥، ١٥٠، ١٦٦ | | ٢٨٢، ٢٩٦ | |
| ١٧٢، ١٧٩، ٢٠٣، ٢٢٩ | | ٢٤٢ | كلاليب |
| ٢٤٠، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٩٣ | | ٣٣ | كلدان |
| ٣١١، ٣١٢، ٣٣٧ | | ٨، ٢٤، ٩٩، ١٧٧ | الكلى |
| ٣١ | كيتاني | ٢١، ٢٠٣ | الكلية |
| ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦ | كيلوس | ٤٩، ٥٠ | كمادة |
| ٣٢٢ | كيلوباترا | ١٨٠، ١٨٩ | كمدة |
| ١٢٩ | كيمياء | ٨١، ٣٢٤ | الكناني عبدالله |
| | | | ابن ابجر |

حرف «ل»

| | | | |
|--------------------|--------------|--------|---------------|
| ٢٧٨، ٢٤٠، ٢٣، ١١ | لكرك، لوسيان | ٢٢، ٢٤ | اللحم الزائدة |
| ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥ | اللبدى | ٣١ | لغات قديمة |
| ٢٦، ٢٤، ٢٢ | د. عبدالعزيز | ٣٦ | لغة عربية |
| ٣٢ | لويون غوشان | ٤٢ | لغة لاتينية |

| | |
|---------------|---------|
| لوكنو | ٢٧٨ |
| لولب | ٢٤٣، ٨٩ |
| لييا | ٣٣ |
| ليلى العنادية | ٢٢٧ |

حرف «م»

| | | |
|-----------------------|--------------------|--------------------|
| الماء الازرق | ٥١، ٥٠ | ١٧٧، ١٥٥، ١٢٨، ٩٠ |
| ما بين النهرين | ٤٩، ٣٧، ١٧ | ٢٩٤، ٢٨٠، ١٨٠، ١٧٩ |
| مأرب | ٧٩ | ١٨٢ |
| ماسر جويه | ٣٢٣ | ٢٤٤ |
| الماء في رؤوس الصبيان | ١٨٨ | ٢١١ |
| ماء ورد | ١٥٦، ١٤٦ | ٣٢١ |
| ماكس مايرهوف | ٢٣ | ١٧٩ |
| المالكي | ٨٨ | ١٣٣ |
| مانيتو | ٩٩ | ٣٢ |
| مباضع | ٢٤١، ٢٤٠ | ١٢٥ |
| مبرد | ٢٤٤ | ١٨٧، ١٣٥، ١٠٢، ٨٨ |
| مبضع | ٢٤٢، ٢٤١، ١٤٨، ٥١ | ٣١٣، ٢٩٨، ٢٧٢، ١٩٧ |
| المشقاوص | ١٨٠ | ٢٤٣، ١٥٠ |
| المتحف البريطاني | ٦٠ | ١٧٩ |
| البريطاني | | ٨١، ٨٠ |
| المتوكل | ٨٣ | ٢٩٦، ١٧٠ |
| مثاقب | ٢٤٣ | ١١٦، ١١٥، ٢٤، ١٨ |
| مثانة | ١٨، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٨٩ | ٢٠٧، ١٦٠، ١١٨ |
| | | ٢٧١، ٢٢٠، ١٦٠، ٢٠ |

| | | | |
|--------------------|--------------|----------------------|---------------|
| ٨٤ | مضغة | ٢٩٦، ١٦٠، ١٥٩ | المراق |
| ١٥٥، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٤ | مطهرات | ٤١ | المرآة |
| ٢٧٢ | | ١٣٤ | مراهم |
| ١٢٨ | معاجين | ١١٥ | مرهم الشازلنج |
| ١٠١ | المعتصم | ١٣١ | المركبة |
| ١٥٩، ١٥٨، ١٥٥، ٢١ | المعدة | ٣٢٣ | مروان بن |
| ٢٠١ | | | الحكم |
| ٣١٥، ٧ | معمر د. نبيه | ١٦٤ | مروء |
| ٧٩ | المعينين | ٢٠١، ١٥٩ | مريء |
| ٥٠ | مقليات | ١٢٨ | مساحيق |
| ٢٤٢ | مقادح | ١٨ | مسالك بولية |
| ١٤٨ | المعتضد | ١٤٧ | مسامير |
| ٨١ | المقصص | ٢٠٥ | المستحكم |
| ٢٤٢ | مقصات | ٢٨٩، ٢٤٥، ٩٤، ٩٣، ٥٢ | مستشفيات |
| ٢٤٠ | المكاوي | ٢٢٧ | المستنصر |
| ٣٠٥ | مكة المكرمة | ١٠٠ | المسلمين |
| ٢٤١، ١٤٦ | مكوى | ١٨ | مسكنات |
| ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٤٢ | ملقط | ٣٦، ٣٤ | المسمارية |
| ١٦٥ | ملينات | ٣٤ | المسند |
| ٣٢٢، ٦٣، ٥٩ | ممفيس | ١٨ | مشعوزين |
| ٥٢ | مملكة ماري | ٤١، ٣٧، ٣٥، ٢٤، ٢٣ | مصر |
| ٢٤٣، ٢١٨ | مناشير | ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧١، ٥٢ | |
| ٢٩٥، ١٣٣ | منتجات اللحم | ٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٢، ٩٩ | |
| ٢٣ | المنتخب | ١٧١، ١٥٧، ١٣٤، ٨٨ | مصرات |
| ١٠١٧٨٨، ٢٢ | المنصوري | ١٢٩، ١٢٨ | مضادات |

| | | | |
|------------|--------------|-----------------|------------|
| ٤٤ | ميشافيزيقية | ١١٣، ٧١، ٥٩، ٥٢ | منف |
| ٣١ | ميلاد المسيح | ٤٢ | الموت |
| ٩٩، ٧٩، ٥٩ | مينا | ٢٤، ٢٣ | الموصللي |
| ٥٢ | ميناوي | ٣٠٥ | مؤمن الدين |
| | | ٢٢٧ | المؤيد |

حرف «ن»

| | | | |
|----------|------------------|---------------------|-------------------|
| ١١٥ | النسيان | ٣٠٥ | الناصر صلاح الدين |
| ٣٤ | النصارى | | داود |
| ٨٢ | نطفة | ٢٧٨ | الناعور |
| ٨٠ | النضر بن الحارث | ١٦٩ | نافذ |
| ٥٢ | نغر | ١١ | نابولي |
| ٣٠٩، ٢٠٠ | نملة | ٣٢ | النبطيه |
| ١٨٧ | نمو الجنين | ١٤٩، ٧١، ٦١، ٦٠، ٣٧ | نبض |
| ١٠ | النهضة الأوروبية | ٣٤٣، ٣٢٢ | نبوخذ نصر |
| ١٦٨ | نواصير | ١٢٧، ١٢٩، ١٦٦، ٢٧٢، | النييد |
| ٣٢ | نوح | ٢٩٤ | |
| ٣١ | نيوليتيك | ٢٣١، ١٦٠، ١٣ | النحاس |
| ٤٩ | نينجيشيدا | ٢٢٧ | التدرومي |
| ٥٢ | نينوس | ١٥٠ | نزيف |
| | | ٧٣ | النساطره |

حرف «هـ»

| | | | |
|---------------|----------|---------|--------------|
| ٣٢٢ | هاينجل | ١٠٣ | هارفي |
| ٣٢٥، ٣١٣، ٣٠٦ | هولاكو | ٣٢٤، ٢٠ | هارون الرشيد |
| ٩٩ | هليوبولس | ٢٢، ٢٠ | الهارونية |
| ٢٩٠، ٢٨٩ | همذان | ٣٥ | الهاشميين |

| | | | |
|-------------|------------------|---------------|------------|
| الهند | ٣١، ٣٠ | هيرشبرغ جوليس | ٢٣ |
| هوانغ شو | ٤٥ | هيرودوس | ٦٢، ٥٣، ٣٠ |
| هوانغ فو | ٤٥ | هيروغليفية | ٣٧، ٣٦، ٣٤ |
| هونكة ذيجرد | ١٢٧، ١١٦، ٩٣، ٩٠ | هيروقليدس | ٧١ |
| هوميروس | ٣٢٢، ٦٩ | الهيلينية | ٣٣ |

حرف «و»

| | | | |
|---------|---------------------------|----------------|---------------|
| ويث | ٢١٣، ٢١٢ | ورم خيث | ١٧٩ |
| ورم | ١٨٢، ١٢٧، ١١٨، ٨٩، ٦٠، ٢٥ | وظائف الأعضاء | ٤٥ |
| الورماء | ٣٠٩، ٢١٣، ٢٠٥، ٢٠٣، ١٩٧ | وفاة النبي (ﷺ) | ٣٢٣ |
| | ٥٢ | وقف التزيد | ٢٨٠، ٢٨٨، ١٣٣ |

حرف «ي»

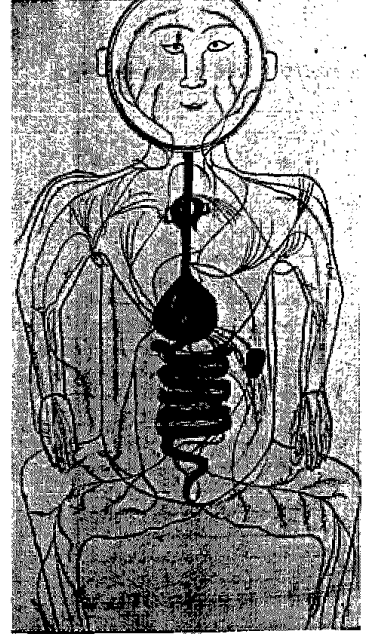
| | | | |
|-----------|--------------------|------------------|----------|
| اليابان | ٤٥ | اليافتي | ٣٢ |
| الياقوتية | ٢٠ | اليحيى بن عيسى | ١٨٨ |
| اليانسون | ١١٣ | ابن جذلة | |
| البرقان | ١٦٠، ٨١ | اليومن بن مساويه | ٣٢٤، ١٠١ |
| اليمن | ٨٠، ٧٩، ٦٣، ٣٥، ٣١ | اليوسف حسن | ٣١٦ |
| اليهودية | ٣٣ | | |
| اليونان | ٨٧، ٧٣، ٦٩، ٦٣، ٥ | | |
| | ٣٠٨، ١٨٢، ١١٤، ١٠٠ | | |

عنوان

د. عبد العزيز طاهر البدي

عمان - ص.ب ١٤٠٣٨٩

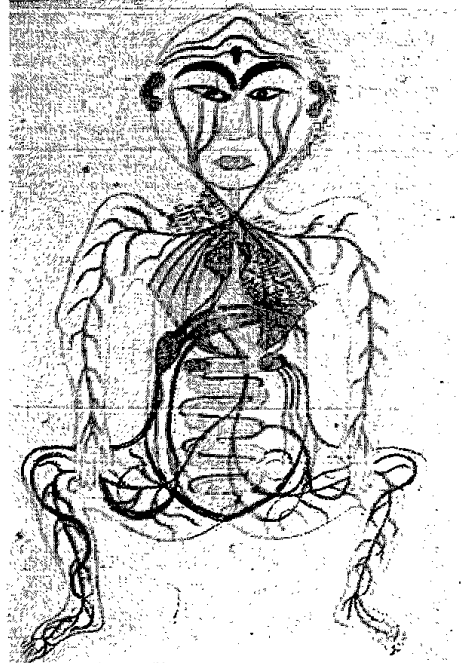
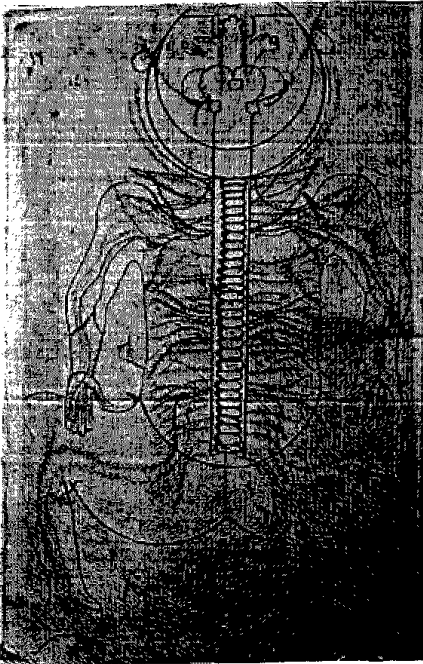
ت ٦٩٥٨٧٢



(شكل ٥٥)

(شكل ٥٤)

صور تشرح جسم الانسان عن كتاب (Islamic Science)
(Sayyed Hassein -Nasr)



(شكل ٥٧)

(شكل ٥٦)



(Islamic Science)

مريض يشكو من البواسير

(شكل ٥٨)



علاج خلع في الكتف عن كتاب (Islamic Science)

(شكل ٥٩)



طبيب اسنان اثناء العمل عن كتاب (Islamic Science)

(شكل ٦٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

كتاب الفقه

مؤلفه الميرزا محمد باقر الخليلي
مترجمه الميرزا محمد باقر الخليلي
مصححه الميرزا محمد باقر الخليلي
مطبعة الميرزا محمد باقر الخليلي

كتاب الفقه

مؤلفه الميرزا محمد باقر الخليلي

مترجمه الميرزا محمد باقر الخليلي
مصححه الميرزا محمد باقر الخليلي

مطبعة الميرزا محمد باقر الخليلي

مطبعة الميرزا محمد باقر الخليلي



د. اللبدي مع الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بعد تسلم الجائزة نوفمبر ١٩٩١م.



رئيس اتحاد الأطباء العرب د. حسن خريس يهنئ الدكتور اللبدي بعد إعلان الجائزة في المؤتمر التاسع

والعشرون لاتحاد الأطباء العرب اكتوبر ١٩٩١ م.

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com